(الجزء الرابع عشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت

الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا

وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر

محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير

القرآن رحمه الله

وأثابه رضاه

آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الرابع عشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

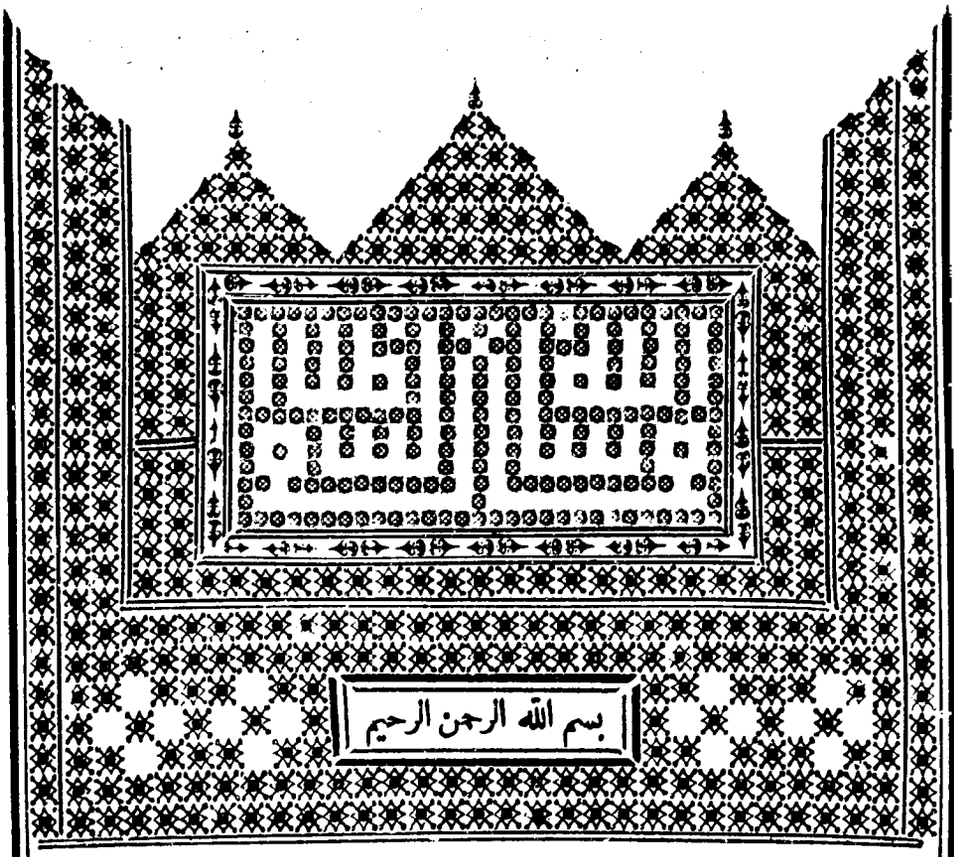

(تفسير سورة الحجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تاويل قوله تعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) اما قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه الر فقد تقدم بياننا فيما مضى قبل واما قوله تلك آيات الكتاب فانه يعنى هذه الآيات آيات الكتاب التى كانت قبل القرآن كالتوراة والانجيل وقرآن يقول وآيات قرآن مبين يقول يبين من تامله وتدبره رشده وهداه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال تبين والله هداه ورشده وخيره حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد الر فواتح يفتتح بها كلامه تلك آيات الكتاب قال التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله الر تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن القول فى تاويل قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) اختلفت القراء فى قراءة قوله ربما فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ربما بتخفيف الباء وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها * والصواب من القول فى ذلك عندنا ان يقال انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبايتهما قرأ القارئ فهو مصيب واختلف أهل العربية فى معنى ما التى مع رب فقال بعض نحوى البصرة ادخل مع رب ما ليتكلم بالفعل بعدها وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ فكانك قلت ربشئ يود أى رب ود يوده الذين كفروا وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحوى الكوفة وقال المصدر لا يحتاج الى عائد والود قد وقع على لو وربما يودون لو كانوا ان يكونوا قال واذا أضمر الهاء فى لو ليس بمفعول وهو موضع المفعول ولا ينبغى ان يترجم المصدر بشئ وقد ترجمه بشئ ثم جعله وداثم أعاد عليه عائدا فكان الكسائى والفراء يقولان لانكاد العرب توقع رب على مستقبل وانما يوقعونها

(سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها ألف وسبعمائة واحد وسبعون وكلماتها سبعمائة وأربعة وخمسون وآياتها تسع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستاخرون وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يا تيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين

على الماضى من الفعل كقولهم ربما فعلت كذا وربما جاءنى أخوك قالوا وجاء فى القرآن مع المستقبل ربما يود وانما جاز ذلك لان ما كان فى القرآن من وعد ووعيد وما فيه فهو حق كانه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان كما قيل ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت كانه ماض وهو منتظر لصدقه فى المعنى وانه لا مكذب له وان القائل لمقول اذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول اما والله لرب ندامة لك تذكر قولى فيها لعله بانه سيندم والله ووعده أصدق من قول المخلوقين وقد يجوز ان يصحبه بما الدائم وان كان فى لفظ يفعل يقال ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن وان أوليت الاسماء كان معها ضمير كان كما قال ابن دؤاد

ربما الحامل الموبل فيهم * وعناجيج بينهن المهار

فتأويل الكلام ربما يود الذين كفروا بالله لجحدوا وحدانيته لو كانوا فى دار الدنيا مسلمين كما

حدثنا على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا خالد بن نافع الاشعرى عن سعيد بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى قال بلغنا انه اذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فسمع الله ما قالوا فامر بكل من كان من أهل القبلة فى النار فاخرجوا فقال من فى النار من الكفار يا ليتنا كنا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القطعى وروح القيسى وعفان بن مسلم واللفظ لابى قطن قالوا

حدثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبى جروة قال كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قالا ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار وقال عفان حين تحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون زاد أبو قطن قد جمعنا واياكم وقال أبو قطن وعفان فيغضب الله لهم بفضل رحمته ولم يقله روح بن عبادة وقالوا جميعا فيخرجهم الله وذلك حين يقول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا أبو عوانة قال ثنا عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يدخل الجنة ويرحم حتى يقول فى آخر ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة قال فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذلك يوم القيامة يعنى الذين كفروا لو كانوا موحدين

حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا فى الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار

حدثنى المثنى قال أخبرنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبى فروة العبدى ان ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت ابراهيم عن هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال حدثت ان المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين ما أغنى

وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم القرآن ربما بفتح الباء مخففة أبو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد ما تنزل بضم

التاء وفتح الزاي المشددة الملائكة بالرفع أبو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط على بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جارا ومجرورا وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي مثل نبئنا عبادي أني بالفتح فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والآخرون بالاسكان * الوقوف الجزء الرابع عشر الر قف كوفي مبين ه مسلمين ه يعلمون ه معلوم ه ومايستأخرون ه لمجنون ه ط لان التخصيص له صدر الكلام الصادقين ه منظرين ه لحافظون ه الاولين ه يستهزؤن ه المجرمين ه الاولين ه يعرجون ه مسحورون ه الناظرين لا رجيم لا ه مبين ه موزون ه رازقين ه خزائنه ز لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيي الجمع في التقدير والتغريق في التنزيل فاسقينا كموه ج لاحتمال مابعده الاستئناف أو الحال بخازنين ه الوارثون ه المستأخرين ه يحشرهم ط عليم لامسنون ه ج لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثانية السموم ه مسنون ه ساجدين ه أجمعون ه لا الا ابليس ط الساجدين ه مسنون ه رجيم ه الدين ه يبعثون ه من المنظرين لا ه المعلوم ه أجمعين لا ه المخلصين ه مستقيم ه الغاوين ه أجمعين ه أبواب ط مقسوم ه وعيون ه لارادة القول بعده آمنين ه متقابلين ه بمخرجين ه الرحيم لا الاليم ه * التفسير قال جار الله تلك اشارة الى ماتضمنته السورة من الآي والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان أما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات أخر بعد المشهورة رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة أو مضمومة أو مسكنة ورب بالراء مفتوحة والباء كذلك مشددة وربة بالتاء مفتوحة والباء كذلك أي مفتوحة مخففة أو

عنكم ما كنتم تعبدون قال فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا فيشفعون فيخرجون من النار حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان يخرج معهم قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثني** المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ابراهيم انه قال في قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يقول من في النار من المشركين للمسلمين ما أغنت عنكم لا اله الا الله قال فيغضب الله لهم فيقول من كان مسلما فليخرج من النار قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن حماد عن ابراهيم في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال ان أهل النار يقولون كنا أهل شرك وكفر فما شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم اياه قال فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حماد عن ابراهيم عن خصيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم ايمانكم قال فاذا قالوا ذلك قال اخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة فعند ذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثني** المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا هشام عن حماد قال سألت ابراهيم عن قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الكفار يعيرون أهل التوحيد ما أغنى عنكم لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون فيخرج أهل التوحيد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان يخرج فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال هذا في الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه قال من كان مسلما فليدخل الجنة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يوم القيامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن جويبر عن الضحاك في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فيها وجهان اثنان يقولون اذا حضر الكافر الموت ودلو كان مسلما ويقول آخرون بل يعذب الله ناسا من أهل التوحيد في النار بذنوبهم فيعرفهم المشركون فيقولون ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم في النار فيغضب لهم فيخرجهم فيقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال نزلت في الذين يخرجون من النار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وذلك والله يوم القيامة ودوا لو كانوا في الدنيا مسلمين **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس قال ما زال الله يدخل الجنة ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو

مشددة وانما دخلت على المضارع مع انه مختص بالماضى لان المترقب فى أخبار الله بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل وربما
ودوما هذه كافة أى تكف رب عن العمل فتنهيأ بذلك للدخول على الفعل وقيل ان ما بمعنى شئ أى رب شئ يودّ الذين كفروا ورب للتقليل فاورد
عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل وأجيب بانه على عادة العرب اذا أرادوا (٥) التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل

كما اذا أرادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك أرادوا لو كان الندم قليلا أو مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الكثير ومن الغم الظنون كما من المتيقن ففى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة وقوله لو كانوا مسلمين اخبار عن ودادهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كانوا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى تكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب أو رأى حالا من أحوال المسلم ودلو كان مسلما على هذا فقد قيل فى وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمنى فلذلك قل وقال الضحاك هى عند الموت اذا شاهد أمارات العذاب وقيل اذا سودت وجوههم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة اجتمع أهل النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة فيقال الكفار لهم ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من أهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى فى آخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه

كانوا مسلمين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا فى هذه الدنيا ما هم آكلوه ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها الى أجلهم الذى أجلت لهم ويلههم الامل عن الاخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها جاريقربهم من ربهم فسوف يعلمون غدا اذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله انهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا فى خسار وتباب ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) يقول تعالى ذكره وما أهلكنا يا محمد من أهل قرية من أهل القرى التى أهلكنا أهلها فيما مضى الا ولها كتاب معلوم يقول الا ولها أجل موقت ومدة معروفة لانهلاكهم حتى يبلغوها فاذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكذلك أهل قريتك التى أنت منها وهى مكة لانهلك مشركى أهلها الا بعد بلوغ كتابهم أجله لان من قضائى أن لا أهلك أهل قرية الا بعد بلوغ كتابهم أجله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ما تسبق من أمة أجلها وما يستاخرون) يقول تعالى ذكره ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذى جعله الله أجلا لهلاكها ولا يستاخر هلاكها عن الاجل الذى جعل لها أجلا كما حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون قال نرى انه اذا حضر أجله فانه لا يؤخر ساعة ولا يقدم وانما مالم يحضر أجله فان الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد يا أيها الذى نزل عليه الذكر وهو القرآن الذى ذكر الله فيه مواعظ خلقه انك لمجنون فى دعائك اياانا الى ان نتبعك ونذر آلهتنا ولو ما تاتينا بالملائكة قالوا هلا تاتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول ان كنت من الصادقين يعنى ان كنت صادقا فى ان الله تعالى بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا فان الرب الذى فعل ما تقول بك لا يتعذر عليه ارسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا وآية لك على نبوتك وصدق مقالتك والعرب تضع موضع لو الولا وموضع لولا لو ما من ذلك قول ابن مقبل

لو ما الحياء ولو ما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى

يريد لولا الحياء ونحو الذى قلنا فى معنى الذكر قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك نزل عليه الذكر قال القرآن ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين) اختلفت القراء فى قراءة قوله ما ننزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ما تنزل الملائكة بالتاء من تنزل وفتحها ورفع الملائكة بمعنى ما تنزل الملائكة على ان الفعل للملائكة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ما نزل الملائكة بالنون فى نزل وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ما ننزلها نحن والملائكة حينئذ منصوب بوقوع نزل عليها وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ما تنزل الملائكة برفع الملائكة والتاء فى تنزل وضمها على وجه ما لم يسم فاعله * قال أبو جعفر وكل هذه القراآت الثلاث متقاربات المعانى وذلك ان الملائكة اذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت اليه واذا تنزلت اليه فانما تنزل بانزال الله اياها اليه فبأى هذه القراآت الثلاث قرأ ذلك القارئ فصيب الصواب

يحلبهم وشاهم فاحفت الاشارة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذا ولا تجوز انما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه انهم من أهل الخذلان ولا يجيء منهم الاما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حتى لا ينفعهم الوعظ وفي الآية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين ومعنى يلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة لهيت عن الشيء بالكسر لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه والهاني غيره عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا الانسان وخط آخر الى جنبه وقال هذا أجله وخطا آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم مزيد تاكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتحذير فقال وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لكان الفاصلة بالواو كيف وقد زادت الفاصلة في الآية بكلمة الاو ذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما أهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون أراد الموت والاول أقرب لانه في الزجر أبلغ وكانه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل فان لكل كانوا أمة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقيل أراد بجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا أي جازه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلانا عام كذا

في ذلك وان كنت أحب لقارئه ان لا يعدو في قراءته احدى القراءتين اللتين ذكرت من قراء أهل المدينة والاخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين لان ذلك هو القراءة المعروفة في العامة والاخرى أعني قراءة من قرأ ذلك ما تنزل بضم التاء من تنزل ورفع الملائكة شاذ قليل من قرأ بها فتأويل الكلام ما تنزل ملائكتنا الا بالحق يعني بالرسالة الى رسلنا أو بالعذاب بان أردنا تعذيبه ولو أرسلنا الى هؤلاء المشركين على ما يسألون ارسالهم بمعنى آية فكفروا لم ينظروا فيؤخروا بالعذاب بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الامم حين سألوا الآيات فكفروا حين أتتهم الآيات فعاجلناهم بالعقوبة وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قال بالرسالة والعذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) يقول تعالى ذكره انا نحن نزلنا الذكر وهو القرآن وانا له لحافظون قال وانا للقرآن لحافظون من ان يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص عنه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه والهاء في قوله له من ذكر الذكر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وانا له لحافظون قال عندنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قال في آية أخرى لا يأتيه الباطل والباطل ابليس من بين يديه ولا من خلفه فانزله الله ثم حفظه فلا يستطيع ابليس ان يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا حفظه الله من ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانا له لحافظون قال حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو ينقص منه حقا وقيل الهاء في قوله وانا له لحافظون من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى وانا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الامم الاولين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله ولقد أرسلنا من قبلك عليه وعنى بشيع الاولين أمم الاولين واحدتها شيعة ويقال أيضا لاولياء الرجل شيعته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين يقول أمم الاولين حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة في قوله ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين قال في الامم وقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن يقول وما يأتي شيع الاولين من رسول من الله يرسله اليهم بالدعاء الى توحيده والاذعان بطاعته الا

معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه (يعنى الآية) انه لا يحصل أجل أمة قبل رفثه ولا بعده كما فى كل حادث وقد مر بحث الاجل فى أول سورة الانعام وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا فى قوله وما يستأخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ فى تهديد الكفار شرع فى تعديد بعض شبههم وسطاعنهم فى النبى فالاولى انهم كانوا (٧) يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون

كانوا به يستهزؤن يقول الا كانوا يسخرون بالرسول الذى بعثه الله اليهم عتوا منهم وتمردا على ربهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين) يقول تعالى ذكره كما سلكنا الكفر فى قلوب شيع الاولين الاستهزاء بالرسل كذلك نفعل ذلك فى قلوب مشركى قومك الذين أجرموا الكفر بالله لا يؤمنون به يقول لا يصدقون بالذكر الذى أنزل اليك والهاء فى قوله نسلكه من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال التكذيب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال اذا كذبوا رسل الله فى قلوبهم أن لا يؤمنوا به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حميد عن الحسن فى قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال الشرك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن حميد قال قرأت القرآن كله على الحسن فى بيت أبى خليفة ففسره أجمع على الاثبات فسألته عن قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال أعمال سيعملونها لم يعملوها حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل قال قرأت القرآن كله على الحسن فما كان يفسره الا على الاثبات قال وقفته على نسلكه قال الشرك قال ابن المبارك سمعت سفيان يقول فى قوله نسلكه قال نجعله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال هم كما قال الله هو أضلهم ومنعهم الايمان يقال منه سلكه يسلكه سلكا وسلوكا وأسلكه يسلكه اسلاكا ومن السلوك قول عدى بن زيد

وكنت لزاز خصمك لم أعود * وقد سلكوك فى يوم عصيب

ومن الاسلاك قول الآخر

حتى اذا أسلكوهم فى قتائده شلا * كما تطرد الجمالة الشردا

وقوله وقد خلت سنة الاولين يقول تعالى ذكره لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت فى قلوبهم التكذيب حتى يروا العذاب الاليم أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضرائبهم من الامم التى كذبت رسلها فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حل بها سخط الله فهلكت وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الامم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) اختلف أهل التاويل فى المعنيين بقوله فظلوا فيه يعرجون فقال بعضهم معنى الكلام ولو فتحنا على هؤلاء القائلين يا محمد لولا تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يقول لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه لقال أهل الشرك انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا فذلك قولهم لولا تاتينا بالملائكة ان كنت من

منه صلى الله عليه وسلم ما لا يوافق آراءهم ولا يطابق أهواءهم وانما نادوه يا أيها الذى نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحى عليه تعكيسا للكلام استهزاء ونحكما أو أرادوا يا أيها الذى نزل عليه الوحى فى زعمه واعتقاده وعند أصحابه واتباعه الثابتة لولا تاتينا بالملائكة لولا حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمنى ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تاتينا بملائكة العذاب ان كنت صادقا فى ان تكذيبنا يقتضى التعذيب العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قالت المعتزلة أى تنزيلا متلبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة فى ان تأتيكم عيانا فان أمر التكليف حينئذ يؤل الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا أو لا حكمة فى انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم تؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك قوله وما كانوا اذا منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم أو ايمان أولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق أى الا بالوحى أو العذاب قال صاحب النظام لفظ اذن مركبة من اذ بمعنى حين ومن ان الدال على مجىء فعل بعده فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين اذ ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم ثم أنكر على الكفار استهزاءهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه آية معجزة

من هذه فقال واتاه الحافظون لانه لو كان من قول البشر أولم يكن آية لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول أوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيأ ظهر ذلك للعقلاء (٨) ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظا بالدرس والبحث ولم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان أخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه انه سبحانه أخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما أخبر بعد تسعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار والتقدير ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في أممهم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في آخر الانعام قال جار الله معنى أرسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي وقوله وما ياتيهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الغطاء عن المألوف شديد وكون الانسان سخرا لامر من هو مثله أو أقل حالا منه في المال والجاه والقبول أشد على ان السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه وقوعهم مظاهر القهر في الازل قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشئ في الشئ كالخيط في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى أقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزؤن واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فيعود الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء

الصادقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فظلوا فيه يعرجون فظلت الملائكة يعرجون فيه براهم بنو آدم عيانا قالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين قال ما بين ذلك الى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال رجع الى قوله لو ما تاتينا بالملائكة ما بين ذلك قال ابن جريج قال ابن عباس فظلت الملائكة تعرج فنظروا اليهم لقالوا انما سكرت أبصارنا قال قريش نقوله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قال ابن عباس لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه يقول يختلفون فيه جائين وذاهبين لقالوا انما سكرت أبصارنا حدث عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الآية يعني الملائكة يقول لو فتحت على المشركين بابا من السماء فنظروا الى الملائكة تعرج بين السماء والارض لقال المشركون نحن قوم مسحورون سحرنا وليس هذا بالحق ألا ترى انهم قالوا قبل هذه الآية لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمر عن نصر عن الضحاك في قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال لو انى فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والارض لقال المشركون بل نحن قوم مسحورون ألا ترى انهم قالوا لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقال آخرون انما عنى بذلك بنو آدم ومعنى الكلام عندهم ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قتادة كان الحسن يقول لو فعل هذا ببني آدم فظلوا فيه يعرجون أي يختلفون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون واما قوله يعرجون فان معناه يرقون فيه ويصعدون يقال منه عرج يعرج عروجا اذا رقا وصعد واحدة المعارج معرج ومعراج ومنه قول كثير

الى حسب عود تنا المرء قبله * أبوه له فيه المعارج سلم

وقد حكى عرج يعرج بكسر الراء في الاستقبال وقوله لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ماهذا بحق انما سكرت أبصارنا واختلفت القراء في قراءة قوله سكرت فقرأ أهل المدينة والعراق سكرت بتشديد الكاف بمعنى غشيت وغطيت هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه وذكر عن مجاهد انه كان يقرأ لقالوا سكرت حدثني بذلك الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت الكسائي يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد انه قرأها سكرت أبصارنا خفيفة وذهب مجاهد في قراءته ذلك كذلك الى حبست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح وذلك سكونها وركودها يقال منه سكرت الريح اذا سكنت وركدت وقد حكي عن أبي عمرو بن العلاء انه كان يقول هو ماخوذ من سكر الشراب وان معناه قد غشي أبصارنا السكر واما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تاويله فقال بعضهم معنى سكرت سدت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال

ثنا

وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شئ واحد وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه أي نجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به فثبت دلالة الآية على ان الكفر (٩) والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل آخر قبله وليس الانزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره ما اذا أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له أثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماع القرآن وتحفيظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل أي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم و بالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا أي هؤلاء الكفار فيه يعرجون يتصاعدون لقالوا انما سكرت أبصارنا هو من سكر الشراب أو من سكر سدا الفتق يقال

ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سكرت أبصارنا قال سدت **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حجاج يعني ابن محمد عن ابن جريج قال أخبرني ابن كثير قال سدت **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سكرت أبصارنا يعني سدت فكأن مجاهدا ذهب في قوله وتأويله ذلك بمعنى سدت الى انه بمعنى منعت النظر كما يسكر الماء فيمنع من الجري بحبسه في مكان بالسكر الذي يسكر به وقال آخرون معنى سكرت أخذت ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول سحرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا شيبان عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة يعني سدت ومن قرأ سكرت مخففة فانه يعني سحرت وكأن هؤلاء وجهوا معنى قوله سكرت الى ان أبصارهم سحرت فشبه عليهم ما يبصرون فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب سكر على فلان رأيه اذا اختلط عليه رأيه فيما يريد فلم يدر ما الصواب فيه من غيره فاذا عزم على الرأي قالوا ذهب عنه التسكير وقال آخرون هو ماخوذ من السكر ومعناه غشي على أبصارنا فلا نبصر كما يفعل السكر بصاحبه فذلك اذا دير به وغشي بصره كالسماد ير فلم يبصر ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما سكرت أبصارنا قال سكرت السكران الذي لا يعقل وقال آخرون معنى ذلك عميت ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الكلبي سكرت قال عميت * وأولى هذه الاقوال بالصواب عندي قول من قال معنى ذلك أخذت أبصارنا وسحرت فلا تبصر الشئ على ما هو به وذهب حد ابصارها وانطفأ نوره كما يقال للشئ الحار اذا ذهب فورته وسكن حدوره قد سكر يسكر قال المثنى ابن جندل الطهوي

جاء الشتاء واحتال القبر * واستخفت الامعاء وكانت تطير * وجعلت غبرا الحرور تسكر

أي تسكن وتذهب وتنطفئ وقال ذو الرمة

قبل انصداع الفجر والتهجر * وحوضهن الليل حين يسكر

يعني حين تسكن فورته وذكر عن قيس انها تقول سكرت الريح تسكر سكورا بمعنى سكنت وان كان ذلك عنها صحيحا فان معنى سكرت وسكرت بالتخفيف والتشديد متقاربان غير ان القراءة التي لا أستجيز غيرها في القراءة سكرت بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليها وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) يقول تعالى ذكره ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر وزيناها للناظرين يقول وزينا السماء بالكواكب ان نظر اليها وأبصرها و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال

سكرت النهر اذا شده وحبسه من الجري والتركيب بالحمل على قطع الشئ من سننه الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع مما كان عليه من المضاء في حال الصحو فمعنى الآية حيرت أبصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران أو حبست عن أفعالها بحيث لا ينفذ نورها ولا يدرك الاشياء على حقائقها عن (ح) ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت

ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولقد جعلنا في السماء بروجا قال كواكب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد جعلنا في السماء بروجا وبروجها نجومها **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة بروجا قال الكواكب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين) يقول تعالى ذكره وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه الا من استرق السمع يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها فيتبعه شهاب من النار مبين يبين أثره فيه اما باخباله وافساده أو باحراقه وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول في قوله الا من استرق السمع هو استثناء خارج كما قال ما اشتكى الا خيرا يريد اذكر خيرا وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم و يقول اذا كانت الا بمعنى لكن عملت عمل لكن ولا يحتاج الى اضمار أذكر و يقول لو احتاج والامر كذلك الى اضمار أذكر احتاج قول القائل قام زيد لا عمرو الى اضمار أذكر * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حفان بن مسلم قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع قال فينفرد المارد منها فيعلو فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته أو جنبه أو حيث شاء الله منه فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلتهب فيقول انه كان من الامر كذا وكذا قال فيذهب أولئك الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون عليه اضعافه من الكذب فيخبرونهم به فاذا رأوا شيأ مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاؤهم به من الكذب **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع قال أراد ان يخطف السمع وهو كقوله الا من خطف الخطفة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا من استرق السمع وهو نحو قوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الا من استرق السمع قال خطف الخطفة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا من استرق السمع هو كقوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب كان ابن عباس يقول ان الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبل وتجرح من غير ان تقتل **حدثني** الحارث قال ثنا القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج من كل شيطان رجيم قال الرجيم الملعون قال وقال القاسم عن الكسائي انه قال الرجم في جميع القرآن الشتم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون) يعني تعالى ذكره بقوله والارض مددناها والارض دحوناها فبسطناها وألقينا فيها رواسي يقول وألقينا في ظهورها رواسي يعني جبالا ثابتة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والارض مددناها وقال في آية أخرى والارض بعد ذلك دحاها وذكر لنا ان أم القرى مكة منها دحيت الارض قوله وألقينا فيها رواسي رواسيها جبالها وقد بينا معنى الرسو فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله وأنبتنا فيها من كل شئ

الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لتشككوا في تلك الرؤية و بقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يغني انه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وانما قال سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير في وظلوا للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح وأجيب بانهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلي العدد لجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد لا سيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة أو غلبة خصم ولما أجاب عن شبه منكري النبوة بما أجاب وكان القول بالنبوة مفرعا على القول بالصانع اتبعه دلائل ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي اثنا عشر عند أهل النجوم وذلك انهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم باثني عشر قسما متساوية ثم أجيز بمنتهى كل قسم و باوله مبتدأة من أول الحمل نصف دائرة عظيمة مارة بقطبي الفلك فصار الفلك أيضا منقسما باثني عشرة قطعة كل منها تشبه ضلعا من أضلاع البطيخ تسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فالذي يسمى الحمل والاسد والقوس

موزون

مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت أجزاء الفلك مختلفة فى الماهية على ما يجوزه المتكلمون أو كانت متساوية فى تمام الماهية مختلفة فى التأثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة أو بتأثير معين مع تساوى الكل فى (١١) حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم

موزون يقول وأنبتنا فى الارض من كل شئ يقول من كل شئ بقدر مقدر وبحد معلوم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى جبلة عن أبى صالح أو عن أبى مالك فى قوله من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح أو عن أبى مالك مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا على يعنى ابن الجعد قال أخبرنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة قال بقدر **حدثنا** أحمد قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير من كل شئ موزون قال معلوم **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا عبد الله بن يونس قال سمعت الحكم ابن عتيبة وسأله أبو مخزوم عن قوله من كل شئ موزون قال من كل شئ مقدور **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا عبد الله بن يونس قال سمعت الحكم وسأله أبو عروة عن قول الله عز وجل من كل شئ موزون قال من كل شئ مقدور هكذا قال الحسن وسأله أبو عروة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى، **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من كل شئ موزون قال مقدور بقدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من كل شئ موزون قال مقدور بقدر **حدثنى** المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال مقدور بقدر **حدثنا** المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من كل شئ موزون يقول معلوم وكان بعضهم يقول معنى ذلك وأنبتنا فى الجبال من كل شئ موزون يعنى من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الاشياء التى توزن * وأولى القولين عندنا بالصواب القول الاول لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون قال الاشياء التى توزن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وجعلنا لكم فيها معايش ومن استم له برازقين) يقول تعالى ذكره وجعلنا لكم أيها الناس فى الارض معايش وهى جمع معيشة ومن استم له برازقين * اختلف أهل التأويل فى المعنى فى قوله ومن استم له برازقين فقال بعضهم عنى به الدواب والانعام ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى**

ومدبر قدر الدليل الآخر قوله وزيناها أى بالشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار وقال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا ينافى الآية على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لانها سواء كن فى سماء الدنيا أو فى سموات أخر فوقها فلا بد أن يكون ظهورها فى السماء الدنيا فتكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى فى حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله فى سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظناها أى البروج أو السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع أى لكن من استرق وجائز ان يكون محفوظا أى الا من استرق وعن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة فاتبعه أى أدركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون من السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما لو حفظ أحدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السعى فى استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التى دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنية فيه فيحدث منها أنواع النيران من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين فى زمن عيسى عليه السلام ثم فى زمن محمد

صلى الله عليه وسلم أسؤولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان أو أكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمى البصر فاذا قبض الله طائفة منهم الحرق لطغيانهم اقدره من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل فهؤلاء الجن ان قدر واعلى خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور ان لم يقدروا فكيف عكنهم استماع أسرار الملائكة من ذلك البعد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض وأجيب بانا سلمنا ان بعد ما بين كل سماء ذلك القدر الا ان ثخن الفلك لعله قدر قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح أهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون * آخر الشياطين مخلوقون من نار فكيف تحرق النار النار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه * آخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يبقى بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة * آخر ان الشهب قد تحدث بالقرب من الارض والالم يمكن الاحساس بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاسترقاق وأجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بانهم اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة * آخر لو كان يمكنهم نقل أخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على

المقصود منها عندها يقدم على العمل

المغضي الى الهلاك والبوار * آخر قد ورد في الاخبار ان ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام

الحارث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله جميعا عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن لستم له برازقين الدواب والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال آخرون عنى بذلك الوحش خاصة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور في هذه الآية ومن لستم له برازقين قال الوحش فتأويل من في ومن لستم له برازقين على هذا التأويل بمعنى ما وذلك قليل في كلام العرب * وأولى ذلك بالصواب وأحسن ان يقال عني بقوله ومن استم له برازقين من العبيد والاماء والدواب والانعام فعني ذلك وجعلنا لكم فيها معايش والعبيد والاماء والدواب والانعام واذا كان ذلك كذلك حسن ان توضع حينئذ مكان العبيد والاماء والدواب ومن ذلك ان العرب تفعل ذلك اذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا اليه معنى الكلام اذا كانت من في موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين وقيل ان من في موضع خفض عطفا به على الكاف والميم في قوله وجعلنا لكم بمعنى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وأحسب ان منصورا في قوله هو الوحش قصد هذا المعنى واياه أراد وذلك وان كان له وجه في كلام العرب فبعيد قليل لانهم الا نكاد نظاهر على معنى في حال الخفض وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة كما قال بعضهم

هلا سألت بذي الجماجم عنهم * وأبي نعيم ذي اللواء المخرق

فردا بانعيم على الهاء والميم في عنهم وقد بينت قبح ذلك في كلامهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) يقول تعالى ذكره وما من شيء من الامطار الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم لكل أرض عندنا حده ومبلغه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن رجل عن عبد الله قال ما من أرض أمطر من أرض ولكن الله يقدره في الارض ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله قال ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه عمن يشاء ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا ابراهيم بن مهدي المصيصي قال ثني علي بن مسهر عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله بن مسعود ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج وان من شيء الا عندنا خزائنه قال المطر خاصة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الحكم بن عتيبة في قوله وما ننزله الا بقدر معلوم قال ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر قال وبلغنا انه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد ابليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)

اختلفت

نقل أسرار المؤمنين الى الكفار وأجيب بانه تعالى أقدرهم على شئ وأعجزهم عن شئ ولا يسئل عما يفعل وأقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات أكثر * آخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى أخبرانهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو أثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلائل أخر حتى لا يدور ولكن لاريب ان اخباره عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وقد مر تفسير مثله في أول سورة الرعد الدليل الخامس قوله وأنبتنا فيها أي في الارض أو في الجبال الرواسي من كل شئ موزون بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل أي له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وقيل أراد ان مقدارها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل أي متناسب أي محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون أي مناسب وفلان موزون الحركات وقيل أراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كما كثر الفواكه والنبات وجعلنا لكم فيها أي في الارض أو في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في أول الاعراف ومن عطف على معايش أي جعلنا لكم من استم له برازقين أو عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحده لا الآباء والسادات والمخادم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من

اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وأرسلنا الرياح لواقح وقرأ بعض قراء أهل الكوفة وأرسلنا الريح لواقح فوحد الريح وهي موصوفة بالجمع أعني بقوله لواقح وينبغي ان يكون معنى ذلك ان الريح وان كان لفظها واحدا فمعناها الجمع لانه يقال جاءت الريح من كل وجه وهبت من كل مكان فقيل لواقح لذلك فيكون معنى جمعهم نعتها وهي في اللفظ واحدة معنى قولهم أرض سباسب وأرض اعفال وثوب اخلاق كما قال الشاعر

جاء الشتاء وقميصي اخلاق * شراذم تضحك منه الراق

وكذلك تفعل العرب في كل شئ اتسع * واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح وانما هي ملقحة لا لاقحة وذلك انها تلقح السحاب والشجر وانما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح كما يقال ناقة لاقح وكان بعض نحوي البصرة يقول قيل الرياح لواقح لجعلها على لاقح كان الرياح لقحت لان فيها خيرا فقد لقحت بخير قال وقال بعضهم الرياح تلقح السحاب فهذا يدل على ذلك المعنى لانها اذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك اليه وكان بعض نحوي الكوفة يقول في ذلك معنيان أحدهما ان يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال ناقة لاقح قال ويشهد على ذلك انه وصف ريح العذاب فقال عليهم الريح العقيم فجعلها عقيما اذ لم تلقح قال والوجه الآخر ان يكون وصفها باللقح وان كانت تلقح كما قيل ليل نائم والنوم فيه وكما قيل المبرور والمختوم فجعل مبرورا ولم يقل مبرر ابناء على غير فعل أي ان ذلك من صفاته فجاز مفعول لمفعل كما جاز فاعل لمفعول اذا لم يرد البناء على الفعل كما قيل ماء دافق * والصواب من القول في ذلك عندي ان الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها وان كانت قد تلقح السحاب والاشجار فهي لاقحة ملقحة ولقحها حملها الماء وابقاحها السحاب والشجر حملها فيه وذلك كما قال عبد الله بن مسعود حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن سكن عن عبد الله بن مسعود في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجري السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن قيس بن سكن عن عبد الله وأرسلنا الرياح لواقح قال يبعث الله الريح فتلقح السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا اسباط بن محمد عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الرياح فتحمل الماء من السماء ثم تمري السحاب فتدر كما تدر اللقحة فقد بين عبد الله بقوله يرسل الرياح فتحمل الماء انها هي اللاقحة بحملها الماء وان كانت ملقحة بالقاحها السحاب والشجر وأما جماعة أخر من أهل التأويل فانهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره اياها بانها لواقح الى انه بمعنى ملقحة وان اللواقح وضعت موضع ملاقح كما قال نهشل بن حري

لبيك يزيد بائس اضراعة * وأشعث ممن طوحته الطوائح

يريد المطاوح وكما قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

بمعنى منصب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال تلقح السحاب حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو

جهة انها طالبة لارزاقها عند الحاجة يحكى انه قلت مياه الاودية فى بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال وان من شئ الا عندنا خزائنه قال جمع من المفسرين أراد بالشئ ههنا المطر الذى هو سبب لارزاق بنى آدم وغيرهم من الطير والوحش وذلك انه لما ذكر معايشهم بين ان خزائن المطر الذى هو سبب المعايش عنده أى فى أمره وحكمه وتدبيره قوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحليمى ما من عام باكثر مطرا من عام آخر ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر واعلم ان لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح أمكن ان يقبلهما العقل والا كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهى وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع فى أوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام فى الاحياز وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وشكل معين وحيز ووقت معينين الى غير ذلك من الصفات المعينة دون اضدادها لابد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة فى أن المعدوم شئ قيل المراد ان تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى نزل أى أخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السادس قوله وأرسلنا الرياح ومن قرأ الريح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء وتجمعه فى السحاب أو لانها تلقح الشجر الحكم أى تقويها وتنميها الى أن يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء فى كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال * ومختبط مما تطيح الطوائح * يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانبارى تقول العرب أبقل النبت فهو باقل أى مبقل وقال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب

أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم مثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال لواقح للشجر قلت أو للسحاب قال وللسحاب تضربه حتى يمطر **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسحق بن سليمان عن أبى سنان عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد بن عمير قال تبعث المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا عبيد وأرسلنا الرياح لواقح **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأرسلنا الرياح لواقح يقول لواقح للسحاب وان من الريح عذابا وان منها رحمة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لواقح قال تلقح الماء فى السحاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن عباس لواقح قال تلقح الشجر وتمرى السحاب **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه فتمتلئ ماء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا عيسى بن ميمون قال ثنا أبو المهزم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح الجنوب من الجنة وهى الريح اللواقح وهى التى ذكر الله تعالى فى كتابه وفيها منافع للناس **حدثنى** أبو الجماهر الحمصى أو الحضرمى محمد بن عبد الرحمن قال ثنا عبد العزيز بن موسى قال ثنا عيسى بن ميمون أبو عبيدة عن أبى المهزم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء وقوله فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه يقول تعالى ذكره فانزلنا من السماء مطرا فاسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم ولو كان معناه أنزلناه لتشربوه لقيل فسقيناكموه وذلك ان العرب تقول اذا سقت الرجل ماء شربه أو لبنا أو غيره سقيته بغير ألف اذا كان لسقيه واذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته قالوا أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته وكذلك اذا استسقت له قالوا أسقيته واستسقيته كما قال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتى * فما زلت أبكى نحوه وأخاطبه
وأسقيته حتى كادما أتيته * تكلمنى أحجاره وملاعبه

وكذلك اذا وهبت لرجل اهابا ليجعله سقاء قالت أسقيتكه اياه وقوله وما أنتم له بخازنين يقول واستم بخازنى الماء الذى أنزلناه من السماء فاسقيناكموه فنمنعوه من أسقيه لان ذلك بيدى والى أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء كما **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال سفيان وما أنتم له بخازنين قال بمانعين

القول فى تاويل قوله تعالى (وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)

يقول تعالى ذكره وانا لنحن نحيى من كان ميتا اذا أردنا ونميت من كان حيا اذا شئنا ونحن الوارثون يقول ونحن نرث الارض ومن عليها بان نميت جميعهم فلا يبقى حى سوانا اذا جاء ذلك الاجل وقوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولقد علمنا من مضى من الامم فتقدم هلاكهم ومن قد خلق وهو حى ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون من قد خلق ومن خلا من الامم والمستأخرون من لم يخلق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا

الحكم قال ثنا عمرو بن قيس عن سعيد بن مسروق عن عكرمة فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال هم خلق الله كلهم قد علم من خلق منهم الى اليوم وقد علم من هو خالقه بعد اليوم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن عكرمة قال ان الله خلق الخلق ففرغ منهم فالمستقدمون من خرج من الخلق والمستأخرون من بقى فى أصلاب الرجال لم يخرج **حدثنى** محمد بن أبى معشر قال أخبرنى أبو معشر قال سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود خير صفوف الرجال المقدم وشر صفوف الرجال المؤخر وخير صفوف النساء المؤخر وشر صفوف النساء المقدم فقال محمد بن كعب ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين منكم الميت والمقتول والمستأخرين من يلحق بهم من بعد وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال قتادة المستقدمين من مضى والمستأخرين من بقى فى أصلاب الرجال **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو الاحوص قال ثنا سعيد بن مسروق عن عكرمة وخصيف عن مجاهد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال من مات ومن بقى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم قال كان ابن عباس يقول آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته ولقد علمنا المستأخرين من بقى فى أصلاب الرجال **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون آدم ومن بعده حتى نزلت هذه الآية والمستأخرون قال كل من كان من ذريته قال أبو جعفر أظنه أنا قال لم يخلق وما هو مخلوق **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة قال المستقدمون ما خرج من أصلاب الرجال والمستأخرون ما لم يخرج ثم قرأ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * وقال آخرون عنى بالمستقدمين الذين قد هلكوا والمستأخرين الاحياء الذين لم يهلكوا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين يعنى بالمستقدمين من مات ويعنى بالمستأخرين من هو حى لم يمت **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم يعنى الاموات منكم ولقد علمنا المستأخرين يعنيهم وهم الاحياء يقول علمنا من مات ومن بقى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون منكم الذين مضوا فى أول الامم والمستأخرون الباقون * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين فى أول الخلق والمستأخرين فى آخرهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال أول الخلق وآخره **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال ما استقدم فى أول الخلق وما استأخر فى آخر الخلق **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم

(١٥) اختلاف القراء فى قوله نسقيكم مما فى بطونه ولم يختلفوا فى قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وأرضه وما أنتم له بخازنين نفى منهم لما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه أى نحن الخازنون للماء لا أنتم أراد عظم قدرته وعجز من سواه الدليل السابع قوله وانا لنحن نحيى ونميت والغرض الاستدلال بانحصار الاحياء والاماتة فيه على انه واحد فى ملكه وملكه قال أكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر فى آخر آل عمران فى قوله ولله ميراث السموات والارض قوله ولقد علمنا عن ابن عباس فى رواية عطاء المستقدمين يريد أهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته وروى أنه صلى الله عليه وسلم رغب الناس فى الصف الاول فى الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعنى فى صف القتال وقال ابن عباس فى رواية أبى الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا أيديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة

ولا ينبغي ان تخص الآية بحالة دون أخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر أمر واجب ولا يقدر على ذلك أحد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فلحكمته بنى أمر العباد على التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفية مقاديرالجزاء الدليل الثامن الاستدلال على خلق الانسان خاصة وذلك انه لابد من انتهاء الناس الى انسان أول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا أول لها وقد أجمع المفسرون

قال في العصر والمستأخرين منكم في أصلاب الرجال وأرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين من الامم والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد المستقدمين منكم قال القرون الاول والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثني عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون ما مضى من الامم والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد بنحوه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ولم يذكر قيسا * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال كان الحسن يقول المستقدمون في طاعة الله والمستأخرون في معصية الله **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال المستقدمين في الخير والمستأخرين يقول المبطئين عنه * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين فيها بسبب النساء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم انه قال أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء قال فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرني عمرو بن مالك قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين **حدثني** محمد بن موسى الحرشي قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قال ابن عباس لا والله ما ان رأيت مثلها قط فكان بعض المسلمين اذا صلوا استقدموا وبعض يستأخرون فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت أيديهم فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا نوح بن قيس **وحدثنا** أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس فكان بعض الناس يستقدم في الصف الاول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه في الصف فانزل الله في شأنها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال معنى ذلك ولقد علمنا الاموات منكم يا بني آدم فتقدم موته ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد لدلالة ما قبله من

على انه آدم عليه السلام ورأيت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه انه قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو أول انسان هو أول الناس والاقرب انه تعالى خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من حما مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من أي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة أو لما كان فيه من زلة الملائكة والجن أو لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور أعجب من خلق الشئ من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل أي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو خزف وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن والحما الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه أي صورته قاله سيبويه وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصورة من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول معناه متغير منتن وكانه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حأ صفة صلصال أي خلقه من صلصال كائن من حما قلت ولا يبعد أن يكون بدلا اي خلقه من حما قال وحق مسنون بمعنى مصورا ان يكون صفة لصلصال كانه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا انقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وعن ابن عباس في رواية أخرى هو أبو الجن كآدم أبي الناس وهو

قول الاكثرين والتركيب يدل على السبق والتوارى عن الاعين وقدمر فيما سلف ولا سيما فى تفسير الاستعاذة فى أول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس أى من قبل خلق آدم والسموم الريح الحارة النافذة فى المسام تكون فى النهار وقد تكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التى يبرز منها العرق و بخار الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها نفح على ما ورد فى الخبر انه نفح جهنم قال ابن مسعود وهذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان ولا استبعاد فى خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندر قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن ان يغلب عليه أحدها وحينئذ يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقى والملائكة والجن لا يباشرون للطافة أجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته وأكملتها أو سويت أجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا أو شخصيا ونفخت فيه من روحى النفخ اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء سار فى البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال فى متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يجىء به وتمام الكلام فى الروح سوف يجىء ان شاء الله فى قوله و يسئلونك عن الروح ولا خلاف فى ان الاضافة فى قوله روحى للتشريف والتكريم

الكلام وهو قوله وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون وما بعده وهو قوله وان ربك هو يحشرهم على ان ذلك كذلك اذ كان بين هذين الخبرين ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ولا جاء بعد و جائز ان تكون نزلت فى شان المستقدمين فى الصف اشان النساء والمستاخرين فيه لذلك ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق فقال جل ثناؤه لهم قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما كانوا يعملون ومن هو حى منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس وأعمال جميعكم خيرها وشرها وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم فنجازى كلا بأعماله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستاخرين فى الصفوف لشان النساء ولكل من تعدى حد الله وعمل بغير ما أذن له به ووعدا لمن تقدم فى الصفوف لسبب النساء وسارع الى محبة الله و رضوانه فى أفعاله كلها وقوله وان ربك هو يحشرهم يعنى بذلك جل ثناؤه وان ربك يا محمد هو يجمع جميع الاولين والآخرين عنده يوم القيامة أهل الطاعة منهم والمعصية وكل أحد من خلقه المستقدمين منهم والمستاخرين و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان ربك هو يحشرهم قال أى الاول والآخر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشى قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة فى قوله وان ربك هو يحشرهم قال هذا من هها وهذا من هاهنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان ربك هو يحشرهم قال وكلهم ميت ثم يحشرهم ربهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر وان ربك هو يحشرهم قال يجمعهم الله يوم القيامة جميعا قال الحسن قال على قال داود سمعت عامرا يفسر قوله انه حكيم عليم يقول ان ربك حكيم فى تدبيره خلقه فى احيائهم اذا أحياهم وفى ماتتهم اذا أماتهم عليم بعددهم وأعمالهم وبالحى منهم والميت والمستقدم منهم والمستأخر كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كل أولئك قد علمهم الله يعنى المستقدمين والمستأخرين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا آدم وهو الانسان من صلصال واختلف أهل التأويل فى معنى الصلصال فقال بعضهم هو الطين اليابس لم تصبه نار فاذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب وأما اللازب فالجيد وأما الحمأ فالحمأة وأما الصلصال فالتراب المدقق وانما سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال قال والصلصال التراب اليابس الذى يسمع له صلصلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من صلصال من حمأ مسنون قال الصلصال الطين اليابس يسمع له صلصلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس من صلصال قال الصلصال الماء يقع على الارض الطيبة ثم يحسر عنها فيشقق ثم يصير مثل الخزف الرقاق حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الانسان من ثلاثة من طين لازب

مثل ناقة الله و بيت الله والغاء فى قوله فقعوا تدل على ان وقوعهم فى السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله كلهم أزال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجدوا وقوله أجمعون أزال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل أجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان أجمع معرفة فلا

يقع حالا ولو مع ان يكون حالا وكان منتصبا لافاد المعنى الذى ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء فى أول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال أبى أن يكون مع الساجدين يعنى اباه استكبارا ثم قال سبحانه وتعالى خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف ينا له اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه أى غرض لك فى الامتناع من السجود قال لم أكن لاسجد اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى و ينافى حالى أن اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحانى لطيف وآدم جسمانى كثيف وأصله نورانى شريف وأصل آدم ظلمانى خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم أجيب بقوله فاخرج منها أى من الجنة أو من السماء أو من جملة الملائكة وضرب يوم الدين أى يوم الجزاء حدا للعنة جريا على عادة العرب فى التأبيد كما مر فى قوله مادامت السموات والارض أو أراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف وأقول هذا ان أريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان أريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من أثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال انى خالق بشرا ولما خص آدم بالاضافة الى نفسه فى سورة ص حيث قال لما خلقت بيدى خص اللعنة أيضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتى فافهم قال رب فانظرنى قد مر مثله فى أول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لما عاين وأشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذى يموت فيه الخلائق كلهم قال ليشمل الموت اللعين أيضا وقيل لم يجب الى ذلك وانظر الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما أغويتنى قد مر مباحثه فى الاعراف ومفعول لازينن محذوف أى أزين لهم المعاصى فى الارض أى فى الدنيا التى هى دار الغرور أو أريد انه اذا قدر على الاحتيال لآدم وهو فى السماء فهو

وصلصال وحمأ مسنون والطين اللازب اللازق الجيد والصلصال المدقوق الذى يصنع منه الفخار والمسنون الطين فيه الحمأة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون قال هو التراب اليابس الذى يبل بعد يبسه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن مسلم عن مجاهد قال الصلصال الذى يصلصل مثل الخزف من الطين الطيب **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الصلصال طين صلب يخالطه الكثيب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من صلصال قال التراب اليابس وقال آخرون الصلصال المنتن وكأنهم وجهوا ذلك الى انه من قولهم صل اللحم وأصل اذا أنتن يقال ذلك باللغتين كليهما بفعل وأفعل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من صلصال الصلصال المنتن * والذى هو أولى بتأويل الآية ان يكون الصلصال فى هذا الموضع الذى هو صوت من الصلصلة وذلك ان الله تعالى وصفه فى موضع آخر فقال خلق الانسان من صلصال كالفخار فشبهه تعالى ذكره بانه كان كالفخار فى يبسه ولو كان معناه فى ذلك المنتن لم يشبهه بالفخار لان الفخار ليس بمنتن فيشبهه به فى النتن غيره واما قوله من حمأ مسنون فان الحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير الى السواد وقوله مسنون يعنى المتغير واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله مسنون فكان بعض نحوى البصريين يقول عنى به حمأ منصورا ثم ذكر عن العرب انهم قالوا سن على مثال سنة الوجه أى صورته قال وكان سنة الشئ من ذلك أى مثاله الذى وضع عليه قال وليس من الآسن المتغير لانه من سنن مضاعف وقال آخرون منهم هو الحمأ المصبوب قال والمصبوب المسنون وهو من قولهم سننت الماء على الوجه وغيره اذا صببته وكان بعض أهل الكوفة يقول هو المتغير قال كانه أخذ من سننت الحجر على الحجر وذلك ان يحك أحدهما بالآخر يقال منه سننته أسنه سنا فهو مسنون قال ويقال للذى يخرج من بينهما سنن ويكون ذلك منتنا وقار منه سمى المسن لان الحديد يسن عليه واما أهل التأويل فانهم قالوا فى ذلك نحوا مما قلنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** عبد الله بن يوسف الجبيرى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله من حمأ مسنون قال الحمأ المنتنة **حدثنى** يحيى بن ابراهيم السعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من حمأ مسنون قال الذى قد أنتن **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس من حمأ مسنون قال منتن **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من حمأ مسنون قال هو التراب المبتل المتغير فجعل صلصالا كالفخار **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من حمأ مسنون قال منتن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين

على التزيين لاولاده وهم فى الارض أقدر أو أراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان أزين الارض فى أعينهم وأحدثهم ان الزينة هى فى الارض وحدها كقوله وان يعتذر بالمحل من ذى ضروعها * من الصيف يجرح عراقيبها نصل أراد يجرح عراقيبها نصل ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس (١٩) بهذا الاستثناء من الكذب فعلم منه ان

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من حمإ مسنون والحمإ المسنون الذى قد تغير وأنتن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر من حمإ مسنون قال قد أسن قال منتنة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله من حمإ مسنون قال من طين لازب وهو اللازق من الكثيب وهو الرمل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من حمإ مسنون قال الحمإ المنتن وقال آخرون منهم فى ذلك هو الطين الرطب ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من حمإ مسنون يقول من طين رطب ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) يقول تعالى ذكره والجان وقد بينا فيما مضى معنى الجان ولم قيل له جان وعنى بالجان ههنا ابليس أبا الجن يقول تعالى ذكره وابليس خلقناه من قبل الانسان من نار السموم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والجان خلقناه من قبل وهو ابليس خلق قبل آدم وانما خلق آخر الخلق فحسده عدو الله ابليس على ما أعطاه الله من الكرامة فقال أنا ناري وهذا طينى فكانت السجدة لآدم والطاعة لله تعالى ذكره فقال اخرج منها فانك رجيم واختلف أهل التأويل فى معنى نار السموم فقال بعضهم هى السموم الحارة التى تقتل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فى قوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال السموم الحار التى تقتل **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن ابن عباس والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال هى السموم التى تقتل فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هى السموم التى تقتل * وقال آخرون يعنى بذلك من لهب النار ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فى قوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال من لهب من نار السموم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان عن سعد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال دخلت على عمرو بن الاصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله سمعت عبد الله يقول هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خرج منها الجان قال وتلا والجان خلقناه من قبل من نار السموم وكان بعض أهل العربية يقول السموم بالليل والنهار وقال بعضهم الحرور بالنهار والسموم بالليل يقال سم يومنا يسم سموما **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه وسئل عن الجن ما هم وهل يأكلون أو يشربون أو يموتون أو يتناكحون قال هم أجناس فاما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون وهى التى منها السعالى والغول وأشباه ذلك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى

الكذب فى غاية السماجة والاخلاص فعل الشئ خالصا لله من غير شائبة الغير لا أقل من أن يكون حق الله فيه راجحا أو مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ماذكر قال الله سبحانه هذا يعنى الاخلاص طريق مستقيم على ان أراعيه أو على مرورة أى على رضوانى وكرامتى وقيل لما ذكر اللعين انه يغوى بنى آدم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشير اليه بقوله هذا أى تفويض الامور الى ارادتى ومشيئتى صراط على تقديره وتاكيده ومن قرأ على بالتنوين فهو من علو الشرف أى الاخلاص أو طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الكلبى المذكورون فى هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر الاعبادك بين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله تعالى فى الاستثناء قائلا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك أى ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب أصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس وذلك انه أوهم بما ذكر ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم وهذا يناسب أصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم أجمعين قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة أبواب أى سبع طبقات بعضها فوق بعض أعلاها الموحدون والثانى اليهود والثالث النصارى والرابع

فقعوا له ساجدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته يقول فاذا صورته فعدلت صورته ونفخت فيه من روحي فصار بشرا حيا فقعوا له ساجدين سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة وقد حدثني جعفر بن مكرم قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا لا نفعل فارسل عليهم نارا فاحرقتهم وخلق ملائكة أخرى فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فابوا قال فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فابوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا سمعنا وأطعنا الا ابليس كان من الكافرين الاولين ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) يقول تعالى ذكره فلما خلق الله ذلك البشر ونفخ فيه الروح بعد ان سواه سجد الملائكة كلهم جميعا الا ابليس فانه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا فقال الله تعالى ذكره يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين يقول ما منعك من أن تكون مع الساجدين فان في قول بعض نحوي الكوفة خفض وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين) يقول تعالى ذكره قال ابليس لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وهو من طين وأنا من نار والنار تاكل الطين وقوله فاخرج منها يقول قال الله تعالى ذكره لابليس فاخرج منها فانك رجيم والرجيم الرجوم صرف من مفعول الى فعيل وهو المشتوم كذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانك رجيم والرجيم الملعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فاخرج منها فانك رجيم قال ملعون والرجم في القرآن الشتم وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين يقول وان غضب الله عليك باخراجه اياك من السموات وطردك عنها الى يوم الجزاء وذلك يوم القيامة وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يقول تعالى ذكره قال ابليس رب فاذ أخرجتني من السموات ولعنتني فاخرني الى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة قال الله له فانك ممن أخرهلاكه الى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي وذلك حين لا يبقى على الارض من بني آدم ديار ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قال رب بما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) يقول تعالى ذكره قال ابليس رب بما أغويتني باغوائك لازينن لهم في الارض وكان قوله بما أغويتني خرج مخرج القسم كما يقال بالله أو بعزة الله لاغوينهم وعنى بقوله لازينن لهم في الارض لاحسنن لهم معاصيك ولاحببنها اليهم في الارض ولاغوينهم أجمعين يقول ولاضلنهم عن سبيل الرشاد الا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته بتوفيقك فهديته فان ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به وقد قرئ الا عبادك منهم المخلصين فمن

قرا

شهوتهم و يحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل ان يقول لهم الله تعالى و بعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما أرادوا أن ينتقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ذلك ومعنى

الصابئين والخامس المجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لما ادعى الربوبية واطغى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة أقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر متفاوتة بالغلظ والخفة فلاجرم صارت مراتب العقاب أيضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون فزعم جهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي والآلم يفد المدح وقال جهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه آتيا بجميع أصنافه وافراده الا ان الامة أجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والآية أيضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزمه اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر ان لا يراد شرط آخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان أقل كان أوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين يتناول جميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من أهل الطاعة أو من أهل المعصية ثم ان الجنات أقلها أربع لقوله تعالى وان خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان وأما العيون فاما أن يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية واما أن يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين و ينتفع بها كل من في جملته من الحور والولدان و يكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب

بسلام أى مع السلامة من آفات البغض والانقطاع قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل قدم تفسيره فى الاعراف اخوانا نصب على الحال وكذلك على سرر متقابلين والمراد لاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العين مستقره الذى يطمأن عليه فى حال سروره وفرحه والتركيب يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادى لافضل موضع منه ومنه السر الذى يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد ولتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات آمنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها رمز الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لايمسهم فيها نصب أى تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات الا أن قوله ونزعنا ما فى صدورهم اشارة الى نفى المضار الروحانية وقوله لايمسهم اشارة الى نفى المضار الجسدانية وقوله وماهم منها بمخرجين مفيد المعنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا فى النفوس فقال نبئ عبادى وفيه من التوكيدات مالا يخفى منها اسنادها لرسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتى الغفور والرحيم مع نوع تكرر وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتى غضبى * التأويل

قرأ ذلك كذلك فانه يعنى به الامن أخلص طاعتك فانه لاسبيل لى عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا عبادك منهم المخلصين يعنى المؤمنين **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا عمرو عن سعيد عن قتادة الا عبادك منهم المخلصين قال قتادة هذه ثنية الله تعالى ذكره * القول فى تأويل قوله تعالى (قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) اختلفت القراء فى قراءة قوله قال هذا صراط على مستقيم فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة هذا صراط على مستقيم بمعنى هذا طريق الى مستقيم فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الى فاجازى كلا باعمالهم كما قال الله تعالى ذكره ان ربك لبالمرصاد وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده وينهدده طريقك على وأنا على طريقك فكذلك قوله هذا صراط معناه هذا طريق على وهذا طريق الى الله وكذلك تاول من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هذا صراط على مستقيم قال الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لايعرج على شئ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا مروان بن شجاع عن خصيف عن زياد بن أبى مريم وعبد الله بن كثير انهما قرآها هذا صراط على مستقيم وقالا على هى الى وبمنزلتها **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وسعيد عن قتادة عن الحسن هذا صراط على مستقيم يقول الى مستقيم وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذكر عنهم هذا صراط على مستقيم برفع على على انه نعت للصراط بمعنى رفيع ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنى جعفر البصرى عن ابن سيرين انه كان يقرأ هذا صراط على مستقيم يعنى رفيع **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا صراط على مستقيم أى رفيع مستقيم قال بشر قال يزيد قال سعيد هكذا نقرؤها نحن وقتادة **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن أبى العوام عن قتادة عن قيس بن عباد هذا صراط على مستقيم يقول رفيع * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ هذا صراط على مستقيم على التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد والحسن البصرى ومن وافقهما عليه لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ما خالفها وقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين يقول تعالى ذكره ان عبادى ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك على ما دعوته اليه من الضلالة ممن غوى وهلك **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبيد الله بن موهب قال ثنا يزيد بن قسيط قال كانت الانبياء لهم مساجد خارجة من قراهم فاذا أراد النبى ان يستنبئ ربه عن شئ خرج الى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سال ما بدا له فبينما نبى فى مسجده اذ جاء عدو الله حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذى تعوذ منه فهو هو زبما يود الذين كفروا أى النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت أحوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمتحين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هدد النفس التى ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشوم

الى طبعها واستعملت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ألهاهم الامل فسوف يعلمون ولكنا من قرية من القرى البدنية بافساد استعدادها الاولها كتاب مكتوم في علم الله من سوء أعماله وأحواله ما تسبق من أمة أجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها ولا يستأخرون لحظة بعد استيفاء أسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس المنغمرة بحار طبا للقلب الذاكر لوما تاتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى أن النفس الامارة لا تؤمن بما أنزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو أنزلت قبل أوانها وكمال استعداد القلوب ما كانوا اذا منظرين مؤخرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من أسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لانكروا فتح الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاطوار فكما ان السر بروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات وأقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها لاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهو اجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان فادركه شعلة من أنوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه ان أرض البشرية تميل كنفس الحيوانات الى ان أرساها الله بحبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي أسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان غذاءه من مواهب الحق وتجلي جماله فقط ولكل شئ خزانة فلصورة الاجسام خزانة ولاسمها خزانة ولمعناها خزانة وكذا لونها ولطعمها ولحواصها من المنافع والمضار وكذا الظلمانها ونورها ولمكانها ولمكونها ومامن شئ الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى بأجمعها وأرسلنا رياح العناية لواقح لاثمار القلوب بانها لا تكشوف و يأتملوا الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على أسرار العارفين أعتقتهم من هواجس أنفسهم ورعونات طبائعهم من

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فردد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني باي شئ تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أخبرني باي شئ تغلب ابن آدم مرتين فاخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ذكره يقول ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل ان تولد قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى ذكره واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم واني والله ما أحسست بك قط الا استعذت بالله منك فقال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرني باي شئ تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) يقول تعالى ذكره لابليس وان جهنم لموعد من تبعك أجمعين لها سبعة أبواب يقول لجهنم سبعة أطباق لكل طبق منهم يعني من اتباع ابليس جزء يعني قسما ونصيبا مقسوما وذكر ان أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا هرون الغنوي قال سمعت حطانا قال سمعت عليا وهو يخطب قال ان أبواب جهنم هكذا ووضع شعبة احدى يديه على الاخرى **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله قال قال علي تدرون كيف أبواب النار قلنا نعم كنحو هذه الابواب فقال لا ولكنها هكذا فوصف أبو هرون اطباقا بعضها فوق بعض وفعل ذلك أبو بشر **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله عن علي قال هل تدرون كيف أبواب النار قالوا كنحو هذه الابواب قال لا ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض **حدثنا** هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال أخبرنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن هبيرة عن علي قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم تمتلئ كلها **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن هبيرة عن علي قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض وأشار باصابعه على الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن هبيرة بن مريم قال سمعت عليا يقول ان أبواب جهنم بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الذي يليه الى آخرها **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا علي قال أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن جهضم قال سمعت عكرمة يقول في قوله لها سبعة أبواب قال لها سبعة أطباق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لها سبعة أبواب قال أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية والجحيم فيها أبو جهل **حدثنا** أبو بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهي والله منازل بأعمالهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله باطاعته وخافوه فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين من عقاب الله أو ان تسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم وكرامة أكرمكم بها قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل يقول وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض * واختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك

وظهر في القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزل لنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما أنتم له بخازنين في أصل الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا نحن نحيي قلوب أوليائنا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فنائه وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشر المستقدمين الى عظائر قدسه والمستأخرين الى أسفل (٢٣) سافلين الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين أي الى ان تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير أرض النفس مشرقة وتتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الجيدة الى يوم يبعثون أي يبعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلي من الارواح الى النفوس فتجعلها مطمئنة بما أغويتني أضللتني من طريق الامارية لازينن الارواح في أرض البشرية من الاعمال الصالحات التي تورث الاخلاق الجيدة وبها تربية الارواح وترقيها ولاغوينهم أجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا تتأتى الا لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط أي هو طريق أهل الاستقامة في السير في الله المنقطعين عن غيره ان عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة تتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بلاهم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية عما سواها لها سبعة أبواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر أو الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما أصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية أعني المفكرة والحافظة والذاكرة

من صدورهم فقال بعضهم ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن بشر البصري عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى اذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ ونزعنا ما في صدورهم من غل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو فضالة عن لقمان عن أبي امامة قال لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غل ثم ينزع منه مثل السبع الضاري **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا سفيان بن عيينة عن اسرائيل عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول قال علي فينا والله أهل بدر نزلت الآية ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة ونزعنا ما في صدورهم من غل قال من عداوة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد الواسطي عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما في صدورهم من غل قال العداوة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن رجل عن علي ونزعنا ما في صدورهم من غل قال العداوة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فتجفوهم قال علي بغيك التراب اني لارجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جعفر عن علي نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن حراش نحوه وزاد فيه قال فقام الى علي رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال فصاح على صيحة ظننت ان القصر قد هد لها ثم قال اذا لم نكن نحن هم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا أبو مالك الاشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال دخل عمران بن طلحة على علي بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال اني لارجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله اخوانا على سرر متقابلين ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالامس وتكونون اخوانا فقال على قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هو اذا ان لم أكن أنا وطلحة وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الواحد قال ثنا أبو مالك قال ثنا أبو حبيبة قال قال علي لابن طلحة اني لارجو ان يجعلني الله وأباك من الذين نزع ما في صدورهم من غل ويجعلنا اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حماد بن خالد الخياط عن أبي الجويرية قال ثنا معاوية بن اسحق عن عمران بن طلحة قال لما نظر لي علي قال مرحبا بابن أخي فذكر نحوه **حدثنا** الحسن قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا هشام عن محمد قال استأذن الاشتر على علي وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له فلما دخل قال اني لارالك انما حبستني لهذا قال أجل قال اني لاراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني قال أجل اني لارجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** الحسن قال ثنا اسحق الازرق قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين نحوه **حدثنا** الحسن قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي قال ثنا السكن بن المغيرة قال ثنا معاوية بن راشد قال قال علي اني لارجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا

من أعوانهم وأكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلاجرم صارت أبوابا لجهنم فاذا استعملها في تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل الغريزي صرن مع العقل أبوابا أسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله الجذبات آمنين من رفع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبرئيل ليلة

المعراج لودنوت أنملة لاحترقت ونزعنا فيه ان نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الله وأن الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرآت من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم ان النفوس المصفاة عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها أنوار جمال الله (٢٤) أو جلاله انعكست منها الى من في مثل درجاتها كما تتعاكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها في نفسها بخفاء صفائها وفي قوله نبئ عبادي اشارة الى أن سلوك السالكين وطير الطائرين يجب ان يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجذب والله الموفق للصواب

(ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق

ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا ابن المتوكل الناجي ان أبا سعيد الخدري حدثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا أهذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة قال فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان في الدنيا وقال بعضهم ما شبهه بهم الا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد بن أبي عروبة في هذه الآية ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال ثنا قتادة ان أبا المتوكل الناجي حدثهم ان أبا سعيد الخدري حدثهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الى قوله وأذن لهم في دخول الجنة ثم جعل سائر الكلام عن قتادة قال وقال قتادة فوالذي نفسي بيده لاحدهم أهدى بمنزله ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث بشر غير ان الكلام الى آخر عن قتادة سوى انه قال في حديثه قال قتادة وقال بعضهم ما يشبهه بهم الا أهل الجمعة اذا انصرفوا من الجمعة **حدثني** نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا عمر بن زرعة عن محمد بن اسمعيل الزبيدي عن كثير النواء قال سمعته يقول دخلت على أبي جعفر محمد بن علي فقلت ولي وليكم وسلمي سلمكم وعدوي عدوكم وحربي حربكم اني أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر فقال قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قولها مايا كثيرا فما أدركك فهو في رقبتي ثم تلا هذه الآية اخوانا على سرر متقابلين يقول اخوانا يقابل بعضهم وجه بعض لا يستدبره فينظر في قفاه وكذلك تأويله أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد في قوله على سرر متقابلين قال لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله والسرر جمع سرير كما الجدد جمع جديد وجمع سرر وأظهر التضعيف فيها والرا آن متحركتان لخفة الاسماء ولا تفعل ذلك في الافعال الثقل الافعال ولكنهم يدغمون في الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف فاذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني أظهر واحينئذ التضعيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم في الجنات نصب يعني تعب وما هم منها بمخرجين يقول وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين بل ذلك دائم أبدا وقوله نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اخبر عبادي يا محمد أني أنا الذي أستر على ذنوبهم اذا تابوا منها وأتوب ترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها الرحيم بهم ان أعذبهم بعد توبتهم منها عليها وأن عذابي هو العذاب الاليم يقول وأخبرهم أيضا ان عذابي لمن أصر على معاصي وأقام عليها ولم يتب منها هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه وأمر منه لهم بالانابة والتوبة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه **حدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا ابن المكي قال أخبرنا ابن المبارك

العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين
وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف (٢٥) يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك

قال أخبرنا مصعب بن ثابت قال ثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلع النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال ألا أراكم تضحكون ثم أدبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال اني لما خرجت جاء جبرئيل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقول لم تقنط عبادي نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف ابراهيم يعني الملائكة الذين دخلوا على ابراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم الى قوم لوط لاهلاكهم فقالوا سلاما يقول فقال الضيف لابراهيم سلاما قال انا منكم وجلون يقول قال ابراهيم أنا منكم خائفون وقد بينا وجه النصب في قوله سلاما وسبب وجل ابراهيم من ضيفه واختلاف المختلفين ودللنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واما قوله قالوا سلاما وهو يعني به الضيف فجمع الخبر عليهم وهم في لفظ واحد فان الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل فلذلك جمع خبره وهو في لفظ واحد وقوله قالوا لا توجل يقول قال الضيف لابراهيم لا توجل لا تخف انا نبشرك بغلام عليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون يقول فبأي شئ تبشرون وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قال عجب من كبره وكبر امرأته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال على أن مسني الكبر ومعناه لان مسني الكبر وبان مسي الكبر وهو نحو قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق بمعنى بان لا أقول وبمثله في الكلام أتيتك انك تعطي فلم أجدك تعطي ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يقول تعالى ذكره قال ضيف ابراهيم له بشرناك بحق يقين وعلم منا بان الله قد وهب لك غلاما عليما فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه ولكن ابشر بما بشرناك به واقبل البشرى واختلفت القراء في قراءة قوله من القانطين فقرأته عامة قراء الامصار من القانطين بالالف وذكر عن يحيى بن وثاب انه كان يقرأ ذلك القنطين * والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة على ذلك وشذوذ ما خالفه وقوله قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للضيف ومن ييأس ومن رحمة الله الا القوم الذين قد أخطؤا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله ولا يخيب من رجاه فضلوا بذلك عن دين الله واختلفت القراء في قراءة قوله ومن يقنط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ومن يقنط بفتح النون الا الاعمش والكسائي فانهما كسرا النون من يقنط فاما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فانهم قرؤا من بعد ما قنطوا بفتح القاف والنون واما الاعمش فكان يقرأ ذلك من بعد ما قنطوا

بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) القراء آن اذ دخلوا بابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف غيرهشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة الآخرون بالتشديد ينشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها علامة رفع يقنط بكسر النون أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف وكذلك بابه الآخرون بالفتح آل لوط مدغما حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان أبو بكر وحماد بناتي ان بفتح الياء أبو جعفر ونافع اني أنا بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو * الوقوف ابراهيم ه لئلا يصيراذ دخلوا ظرفا لنبئهم فانه محال سلاما ط وجلون ه عليم ه تبشرون ه القانطين ه الضالون ه المرسلون ه مجرمين ه لا للاستثناء آل لوط ط أجمعين ه لا قدرنا لان الجملة بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين ه المرسلون ه لان ما بعده جواب لما منكرون ه يمترون ه لصادقون ه تؤمرون ه مصبحين ه يستبشرون ه فلا تفضحون ه لا للعطف ولا تخزون ه العالمين ه فاعلين ه ط لابتداء القسم

يعمهون ه مشرقين ه لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ه ط للمتوسمين ه مقيم ه للمؤمنين ه ط لتمام القصة لظالمين ه لا لاتصال الانتقام بظلمهم منهم ه لان الواو للابتداء فلو وصل لشبه الحال وهو محال مبين ه ط لتمام قصتهم المرسلين ه لا لان الواو بعده للحال أي وقد آتيناهم معرضين ه لا للعطف آمنين ه ط مصبحين ه ط للانتقال

معنى يكسبون ٭ لا لتمام القصص الا بالحق ط الجميل ٭ العليم ٭ العظيم ٭ للمؤمنين ٭ المبين ٭ ج لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم أو بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف أي أنزلنا عليهم العذاب كما أنزلنا وتمام البحث سيجيء في التفسير المقتسمين ٭ لا عضين ٭ أجمعين ٭ لا يعملون ٭ المشركين (٣٦) ٭ المستهزئين ٭ لا آخر لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ٭ يقولون ٭ لا لاتصال الامر

بالتسبيح تبعية الساجدين ٭ لا للعطف البيقين ٭ ٭ التفسير انه سبحانه عطف ونبههم على نبئ عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوى ماذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وأن عذابه عذاب أليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقدمر تفسيرا كثر هذه القصة في سورة هود فنذكر الآن ماهو مختص بالمقام فقوله وجلون معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل أو لدخولهم بغير اذن وفي غير وقت انا نبشرك استئناف في معنى تعليل النهي عن الوجل بشروه بالولد الذكر وبكونه عليما فقيل أرادوا بعلمه نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله على أن مسني في موضع الحال أي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الهرم لانها أمر عجيب عادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي أعجوبة تبشرونني أو انكم لا تبشرونني بشيء في الحقيقة لان ذلك أمر غير متصور في العادة وأحسن ماقيل فيه ان لا يكون قوله بما صلة للتبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأي طريق تبشرونني بالولد فلذلك قالوا في جوابه بشرناك بالحق أي باليقين عن الذي لا لبس فيه أو بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله تعالى ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير أبوين فضلا من شيخ فان ويجوز عاقر قال أبو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز وأجيب بانه لم يحذف الا الياء اكتفاء بالكسرة ونون

بكسر النون وكان الكسائي يقرأه بفتح النون وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا على النحو الذي ذكرنا من قراءة الكسائي ٭ وأولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة من قرأه من بعد ماقنطوا بفتح النون ومن يقنط بكسر النون لاجماع الحجة من القراء على فتحها في قوله من بعد ماقنطوا فكسرها في ومن يقنط أولى اذ كان مجمعا على فتحها في قنط لان فعل اذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ولم تكن من الحروف الستة التي هي حروف الحلق فانها تكون في يفعل مكسورة أو مضمومة فاما الفتح فلا يعرف ذلك في كلام العرب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة فما شأنكم ما أمركم أيها المرسلون قالت الملائكة له انا أرسلنا الى قوم مجرمين يقول الى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله الا آل لوط يقول الا اتباع لوط على ماهو عليه من الدين فانا لنهلكهم بل لننجيهم من العذاب الذي أمرنا ان نعذب به قوم لوط سوى امرأة لوط قدرنا انها من الغابرين يقول قضى الله فيها انها من الباقين ثم هي مهلكة بعد وقد بينا معنى الغابر فيما مضى بشواهده ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يقول تعالى ذكره فلما أتى رسل الله آل لوط أنكرهم لوط فلم يعرفهم وقال لهم انكم قوم منكرون أي ننكركم لا نعرفكم فقالت له الرسل بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون انه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قال انكم قوم منكرون قال أنكرهم لوط وقوله فيما كانوا فيه يمترون قال بعذاب قوم لوط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وآتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون) يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط وجئناك بالحق اليقين من عندالله وذلك الحق هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذبهم به وقولهم وانا لصادقون يقولون انا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من ان الله مهلك قومك فاسر باهلك بقطع من الليل يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله انهم قالوا للوط فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع يا لوط ادبار أهلك الذين تسري بهم كن من ورائهم وسر خلفهم وهم امامك ولا يلتفت منكم وراءه أحد وامضوا حيث يامركم الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يلتفت منكم أحد لا يلتفت وراءه أحد ولا يعرج حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يلتفت منكم أحد لا ينظر وراءه أحد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا

الوقاية لم يوردها كما أوردت فى قراءة التشديد وانما كسروا الجيم لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب منزله الطاهر أنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ماقضى الله ان يخرج من صلب ابراهيم اسحق ومن صلب اسحق أكثر الانبياء وقوله فلا تكن (٢٧) من القانطين لا يدل على انه كان قانطا فقد ينهى عن الشئ ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك أنكر ابراهيم تبشيرهم بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون أى المخطؤن طريق الصواب أو الكافرون نظيره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى أجراها الله هما لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسى ان الاولى أعلى اللغتين ثم سئل عما لاجله أرسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشأن العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فاوجه السؤال عن مجيئهم وأجاب الاصم بان المراد ما الامر الذى وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضى انه علم ان المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها أول ما دخلوا قيل ان يوجس ابراهيم منهم خيفة قلت لعله استصغر أمر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذى هو أعظم من ذلك وأعم تعظيما لشأنهم قالوا انا أرسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا فى معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر أو السهم الى المرمى وأقول كانه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله فى سورة الذاريات انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا أرسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن كانه قيل لكن قوم لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء من الاستثناء أى أرسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط الا امرأته كقول المقر لفلان على عشرة الا ثلاثة الا واحدا وجوز

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتبع أدبارهم قال أمر ان يكون خلف أهله يتبع أدبارهم فى آخرهم اذا مشوا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسر باهلك بقطع من الليل قال بعض الليل واتبع أدبارهم أدبار أهله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون) يقول تعالى ذكره وفرغنا الى لوط من ذلك الامر وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يقول ان آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم وان من قوله أن دابر فى موضع نصب ردا على الامر بوقوع القضاء عليها وقد يجوز ان تكون فى موضع نصب بفقد الخافض ويكون معناه وقضينا اليه ذلك الامر بان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وذكر ان ذلك فى قراءة عبد الله وقانا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وعنى بقوله مصبحين اذا أصبحوا وحين يصبحون ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يعنى استئصال هلاكهم مصبحين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال أوحينا اليه وقوله وجاء أهل المدينة يستبشرون يقول وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لما سمعوا ان ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم فى ركوب الفاحشة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء أهل المدينة يستبشرون استبشروا باضياف نبى الله صلى الله عليه وسلم لوط حين نزلوا لما أرادوا ان يأتوا اليهم من المنكر ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين) يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه ان هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفى وحق على لرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون أيها القوم فى ضيفى وأكرمونى فى ترككم التعرض لهم بالمكروه وقوله واتقوا الله يقول وخافوا الله فى وفى أنفسكم ان تحل بكم عقابه ولا تخزون يقول ولا تذلونى ولا تهينونى فيهم بالتعرض لهم بالمكروه قالوا أولم ننهك عن العالمين يقول تعالى ذكره قال للوط قومه أولم ننهك ان تضيف أحدا من العالمين كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم ننهك عن العالمين قال ألم ننهك ان تضيف أحدا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين) يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه تزوجوا النساء فأتوهم ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من اتيان الرجال ان كنتم فاعلين ما آمركم به ومنتهين الى أمرى كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين أمرهم نبى الله لوط ان يتزوجوا النساء وأراد أن يقى أضيافه ببنانه وقوله لعمرك يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحياتك يا محمد ان قومك من قريش لفى سكرتهم يعمهون يقول لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم

فى الكشاف ان يكون قوله لا آل لوط مستثنى من الضمير فى مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا أى الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم ولم لا يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان آل لوط مستثنى من معمول أرسلنا أو مجرمين والامر أنه من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على انه اذا جعل الارسال بمعنى (٢٨) الاهلاك كما قرره هو آل الامر الى ماذكرنا فلا أدرى لم استبعده مع وفور فضله قال

أهل اللغة قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعل الشئ على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات أى جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور أى جعلها على مقدار ما يكفى فى أبواب الخير والشر وقيل فى معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد فى هذا المعنى أكثر استعمالا وانه جواب سؤال كانه قيل ما بالها استثنيت من الناجين فقيل قدرنا انها لمن الغابرين أى الباقين فى الهوالك ويقال للماضى أيضا غابر وهو من الاضداد قال فى الكشاف علق فعل التقدير مع أن التعليق من خصائص أفعال القلوب لانه فى معنى العلم وانما أسندوا الفعل الى أنفسهم مع أن التقدير لله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا أو أمرنا بكذا ولعل المدبر والآمر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء آل لوط المرسلون قال أى لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسى وتنفر منكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أى ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرجك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تخوفهم به وهم يشكون فى وقوعه وآتيناك بالحق باليقين الثابت وقال الكلبى بالعذاب الذى لاشك فيه وانا لصادقون فيما أخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل أى فى آخره وقدم فى سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع أدبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بمجامعهم ولا يخفى عليه حالهم ففى الآية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد فى البيان فقال ولا يلتفت

بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمى قال ثنا الحسن بن أبى جعفر قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قول الله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك فى الدنيا انهم لفى سكرتهم يعمهون أى فى ضلالتهم يعمهون أى يلعبون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال لفى غفلتهم يترددون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وهى كلمة من كلام العرب لفى سكرتهم أى فى ضلالتهم يعمهون أى يلعبون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال لفى غفلتهم يترددون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى سكرتهم قال فى ضلالتهم يعمهون قال يلعبون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال مجاهد يعمهون قال يترددون **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى أبى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعمرك يقول لعيشك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال يترددون **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يكرهون ان يقول الرجل لعمرى برونه كقوله وحياتى وقوله فاخذتهم الصيحة مشرقين يقول تعالى ذكره فاخذتهم الصاعقة وهى الصيحة مشرقين يقول اذا أشرقوا ومعناه اذا أشرقت الشمس ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى اذا أصبحوا واذا أشرقوا يقال منه صبحهم اذا أهلكوا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاخذتهم الصيحة مشرقين قال حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) يقول تعالى ذكره فجعلنا عالى أرضهم سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل أى من طين وقوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين يقول ان فى الذى فعلنا بقوم لوط من اهلاكهم وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به وانما يعنى تعالى ذكره بذلك قوم نبى الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول فلقومك يا محمد فى قوم لوط وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم وتمادوا فى غيهم وضلالهم معتبر وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله للمتوسمين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الاعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا عبد الملك بن أبى سليمان عن قيس عن مجاهد فى قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عبد الملك **وحدثنا** الحسن الزعفرانى قال ثنى محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهد ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا

شبل

منكم أحد ولم يستثن امرأته اكتفاء بما مر في السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قال جار الله انما أمر باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليسوا من أهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز أن يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني لان من يلتفت لا بد ان يقع له أدنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشئ مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا أنفذه وقال في الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه قلت حاصل الكلام يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه أو انفذوا أمر الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط ثم أخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا ضمن معنى أوحينا ولذلك عدى بالى كانه قيل وأوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين أي يستأصلون عن آخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشأن الامر وتعظيم له ثم حكى ما أبدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال وجاء أهل المدينة أي أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل فقيل أجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور السرور بمجيء الملائكة لانهم رأوهم مردا حسان الوجوه قال لوط لما قصدوا أضيافه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا أسيء اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مرفي هود قالوا في جواب لوط أولم ننهك عن العالمين أي ألسنا نهيناك عن ان تتكلمنا في شان أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط عليه السلام ينهاهم عن ذلك فاوعدوه

شبل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المتوسمين المتفرسين قال * وتوسمت فيك الخير نافلة * **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفرسين **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول للناظرين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك للمتوسمين قال للناظرين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لآيات للمتوسمين أي للمعتبرين **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله للمتوسمين قال للمعتبرين **حدثني** محمد بن عمارة قال ثني حسن بن مالك قال ثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في ذلك لآيات للمتوسمين **حدثنا** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا محمد بن كثير مولى بني هاشم قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا الفرات بن السائب قال ثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله **حدثنا** عبد الاعلى بن واصل قال ثني سعيد بن محمد الجويني قال ثنا عبد الواحد بن واصل قال ثنا أبو بشر المزلق عن ثابت البناني عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الاشياء ويتفكرون فيها ويعتبرون **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله للمتوسمين يقول للناظرين **حدثني** أبو شرحبيل الحمصي قال ثنا سليمان بن سلمة قال ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي قال ثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي قال ثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين) يقول تعالى ذكره وان هذه المدينة مدينة سدوم لبطريق واضح مقيم يراها المجتازة بها لانخفاء بها ولا يبرح مكانها فيجهل ذو لب أمرها ورغب معصية الله والكفر به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء **وحدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانها لبسبيل مقيم قال لبطريق معلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانها لبسبيل مقيم يقول بطريق واضح **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله

تطيروه لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي من الصلب أو أراد نساء أمته كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه (٣٠) السلام لعمرك مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال أي قسمي أو هو مما أقسم به

والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح اتباعا للخفض فان الحلف كثير الدور على ألسنتهم انهم لفي سكرتهم غوايتهم التي أذهبت عقولهم حتى لم يميز وا بين خطائهم وصوابك يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والذي نأمرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم بحياته صلى الله عليه وسلم كرامة له صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد قط وذلك يدل على انه أكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من أول الصبح لقوله مصبحين أليس الصبح بقريب وغلبته كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت ويحتمل ان تكون صيحة قلب المدائن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وأمطرنا عليهم وفي سورة هود وأمطرنا عليها لانه أراد ههنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا أرسلنا الى قوم مجرمين ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشئ فعبر به عن التأمل والتفكر وانها يعني تلك القرى وآثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار قهر الله وغضبه هنالك قال بعضهم انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين لانه أشار الى ما تقدم من ضيف ابراهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من حولها من العرب وقال في الثانية وانها أي القرية لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما جاء من

وانها لبسبيل مقيم قال طريق السبيل الطريق **حدثني** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لبسبيل مقيم يقول بطريق معلم وقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به وانقاذه من عذابه اذا نزل بقوم أهل الايمان به منهم كما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير في قوله ان في ذلك لآية قال هو كالرجل يقول لاهل علامة ما بيني وبينكم ان أرسل اليكم خاتمي أو آية كذا وكذا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان في ذلك لآية قال اما ترى الرجل يرسل بخاتمه الى أهله فيقول هاتوا خذي هاتوا خذي فاذا رأوه علموا انه حق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان كان أصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين) يقول تعالى ذكره وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين يقول كانوا بالله كافرين والايكة الشجر الملتف المجتمع كما قال أمية * كبكا الحمام على فرو * ع الايك في الطين الجوانح * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عقاب بن بشير عن خصيف قال في قوله أصحاب الايكة قال الشجرة وكانوا يا كلون في الصيف الفاكهة الرطبة وفي الشتاء اليابسة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان أصحاب الايكة لظالمين ذكر لنا انهم كانوا أهل غيضة وكان عامة شجرهم هذا الدوم وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم والى أهل مدين أرسل الى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى اما أهل مدين فاخذتهم الصيحة واما أصحاب الايكة فكانوا أهل شجر متكاوس ذكر لنا انه سلط عليهم الحر سبعة أيام لا يظلهم منه ظل ولا يمنعهم منه شئ فبعث الله عليهم سحابة فخلوا تحتها يلتمسون الروح فيها فجعلها الله عليهم عذابا بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فاكلتهم فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال أصحاب الايكة أصحاب غيضة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله وان كان أصحاب الايكة لظالمين قال قوم شعيب قال ابن عباس الايكة ذات آجام وشجر كانوا فيها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أصحاب الايكة قال هم قوم شعيب والايكة الغيضة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة انه قال ان أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف وقوله فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين يقول تعالى ذكره فانتقمنا من ظلمة أصحاب الايكة ومدينة قوم لوط والهاء والميم في قوله وانهما من ذكر المدينتين لبامام يقول لبطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به مبين يقول بين لمن ائتم به استقامته وانما جعل الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وانهما لبامام مبين يقول على الطريق **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين يقول طريق ظاهر

حدثني

القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية لنظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم أجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان أصحاب الايكة الظالمين ان مخففة عن الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا أصحاب (٣١) غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها والايكة الشجر الملتف والضمير في قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر أحد الموضعين ههنا وهو الايكة على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء أولان القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين وآتيناهم أي أعطينا رسولهم آياتنا أراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف وكانوا عنها أي عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من أن تهدم ويتداعى بنيانها أو يقع سقفهم عليهم أو آمنين من عذاب الله أو من حوادث الدهر فما أغنى عنهم لم يدفع عنهم شيأ من عذاب الله ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وانهما لبامام مبين قال بطريق معلم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانهما لبامام مبين قال طريق واضح حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لبامام مبين بطريق مستبين ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يقول تعالى ذكره ولقد كذب سكان الحجر وجعل سكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها كما قال تعالى ذكره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها والحجر مدينة ثمود وكان قتادة يقول في معنى الحجر ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أصحاب الحجر قال أصحاب الوادي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب وهو يذكر الحجر مساكن ثمود قال قال سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال مر رسول الله مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر فاسرع حتى خلفها حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن أبي عباد المكي قال ثنا داود بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابن سابط عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله الا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل يا رسول الله من هو قال أبو رغال وقوله وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يقول وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثناه به اليهم رسولنا صالحا فكانوا عن آياتنا التي آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره وكان أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال وقيل آمنين من الموت وقوله فاخذتهم الصيحة مصبحين يقول فاخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذي وعدوا العذاب وقيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فما رفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الاعمال الخبيثة قبل ذلك ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم) يقول تعالى ذكره وما خلقنا الخلائق كلها سماءها وأرضها وما فيهما وما بينهما يعني بقوله وما بينهما ما في الطباق ذلك الا بالحق يقول الا بالعدل والانصاف لا بالظلم والجور وانما يعني تعالى ذكره بذلك انه لم يظلم أحدا من الامم التي اقتص قصصها في هذه السورة وقصص اهلاكه اياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق لانه لم يخلق السموات والارض وما بينهما بالظلم والجور ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل وقوله وان

ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق أي متلبسة بالفوائد والغايات والحكم الصحيحة منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم وهذا النظم يناسب أصول الاعتزال قال الجبائي فيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون ان أكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل

وأجيب بأن أفعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب أن يكون الله خالقها ويمكن ان يقال فى وجه النظم ان هذا ابتداء شروع فى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتصبيره على أذيات قومه بعد اقتصاص أحوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع أنبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية معناه ان الله سينتقم لك فيهما من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ماخلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال أمرك ولما صبره على أذى قومه رغبه فى الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل أى فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذى يشتمل على حقد واجهال ومكر وان كان للعهد فلعل المراد ما أمر به فى نحو قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ بآية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالفة مامور به ما أمكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم الكامل العلم يعلم ما يجرى بين الخلائق من الاحوال والاخلاق وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيامة على حسب ذلك وقيل أراد انه الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح أصلح فاصفحوا الى أن يكون السيف أصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بتذكر النعم العظام التى خصه بها فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى أكثر المفسرين على ان المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلى رضى الله عنهم وابن مسعود وأبى هريرة والحسن وأبى العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك انها سبع آيات والمثانى جمع مثناة من التثنية أو جمع مثنية وانها تثنى فى كل صلاة وقال الزجاج تثنى مما يقرأ بعدها معها وأيضا قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد قال وردا الحديث فى هذا المعنى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وقد مر فى أول الكتاب وأيضا كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتمجيده مقرر ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضى عن أبى بكر الاصم انه

الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة لجائية فارض بها مبشرا لى قومك الذين كذبوك وردوا عليك ما جئتهم به من الحق فاصفح الصفح الجميل يقول فاعرض عنهم اعراضا جميلا واعف عنهم عفوا حسنا وقوله ان ربك هو الخلاق العليم يقول تعالى ذكره ان ربك هو الذى خلقهم وخلق كل شئ وهو عالم بهم وبتدبيرهم وما يأتون من الافعال وكان جماعة من أهل التأويل يقول هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاصفح الصفح الجميل ثم نسخ ذلك بعد فامره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله لا يقبل منهم غيره **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله فاصفح الصفح الجميل فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وأعرض عن المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه حتى أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد فاصفح الصفح الجميل قال هذا قبل القتال **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان ابن عيينة فى قوله فاصفح الصفح الجميل وقوله وأعرض عن المشركين قال كان هذا قبل أن ينزل الجهاد فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال أتانى الرحمة ونبى الملحمة وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة

القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) اختلف أهل التأويل فى معنى السبع الذى أتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى فقال بعضهم عنى بالسبع السبع السور من أول القرآن اللواتى يعرفن بالطول وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى فكان بعضهم يقول المثانى هذه السبع وانما سمين بذلك لانهن ثنى فيهن الامثال والخبر والعبر ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن يونس عن ابن سيرين عن ابن مسعود فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال السبع الطول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سعيد الجريرى عن رجل عن ابن عمر قال السبع الطول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال السبع الطول **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن الوليد ابن العيزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هن السبع الطول ولم يعطهن أحدا لا النبى صلى الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن اثنتين **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتى النبى صلى الله عليه وسلم سبعا من المثانى الطول وأوتى موسى ستا فلما ألقى الالواح رفعت اثنتان وبقيت أربع **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا على بن عبد الله بن جعفر قال ثنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف قال اسرائيل وذكر السابعة فنسيتها **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم

قال كان ابن مسعود لا يكتب فى مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه رأى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب أن تكون السبع المثانى غير القرآن والجواب انه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل أو بالعكس كما فى الآية والمقصود فى الوصفين تميز البعض عن الكل تنبيها على مزيته ذلك البعض وشرفه فان قلت ليس لعطف الكل على البعض نظير والاستدلال بالآية استدلال بصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفى بقوله ولقد آتيناك دليلا على انه من القرآن وعن ابن عمرو سعيد بن جبير فى رواية ان السبع المثانى هى السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك أو لانها تثنى على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى وأنكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية وأكثر تلك السور مدينة وأجيب بان المراد من الايتاء انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية فى ذلك سيان وضعف بان اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثانى هى التى دون الطوال والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المئين مكان الانجيل وأعطانى المثانى مكان الزبور وفضلنى ربى بالمفصل قال الواحدى والقول فى تسمية هذه السور مثانى كالقول فى تسمية الطول مثانى وروى عن ابن عباس واليه ذهب طاوس انها هى القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثانى وانها سبعة أسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على

قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس فيهن الفرائض والحدود **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير بنحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن خوات عن سعيد بن جبير قال السبع الطول **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أبو بشر أخبرنا عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول قال وقال مجاهد هن السبع الطول قال ويقال هن القرآن العظيم **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا سعيد عن جعفر عن سعيد فى قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس تثنى فيها الاحكام والفرائض **حدثنا** الحسن بن محمد بن الصباح قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس قال قلت ما المثانى قال يثنى فيهن القضاء والقصص **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السبع الطول **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشى قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد عن سفيان عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال هى السبع الطول **حدثنا** الحسن بن محمد بن عبيد قال ثنا عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى السبع الطول **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال من القرآن السبع الطول السبع الاول **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد قال هن السبع الطول **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السبع الطول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هى الامثال والخبر والعبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن اسمعيل عن خوات عن سعيد بن جبير قال هى السبع الطول أعطى موسى ستا وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم سبعا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى

هذا القول الجمعية كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وكانه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثانى ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج ووافقه صاحب الكشاف ومن فى المثانى للبيان أو للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان اذا أردت الاسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية ورغبه فيها نفر من اللذات العاجلة الزائلة لان كل

نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن أى لم يستغن به فليس منا وقول أبى بكر من أوتى القرآن فرأى ان أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن الواقف على معانيه ان لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهراتها قال (٣٤) الواحدى انما يكون ما داعينيه الى الشئ اذا أدام النظر نحوه وادامة النظر اليه تدل على استحسانه وتمنيه وقال فى الكشاف معنى لا تمدن لا تطمع بصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به أزواجا منهم أى أصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهرى الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك أى لا تحسدن أحدا على ما أوتى من الدنيا وضعف بان الحسد منهى عنه مطلقا فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن أن يجاب بان المراد منه نهى التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد الغبطة فهى محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة منصبه وان كانت جائزة لامته وروى انه وافت من بلاد الشام سبع قوافل لبهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع وانما قال فى هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما فى سورة طه ثم لما نهاه عن الالتفات الى أموالهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم أنفسهم وان لم يحصل لهم فى قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم أى على انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما أمره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا أمره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك ابن للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال فى سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر ان اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من

قوله سبعا من المثانى يعنى السبع الطول * وقال آخرون عنى بذلك سبع آيات وقالوا هن آيات فاتحة الكتاب لانهن سبع آيات وهم أيضا مختلفون فى معنى المثانى فقال بعضهم انما سمين مثانى لانهن يثنين فى كل ركعة من الصلاة ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن أبى نضرة قال قال رجل منا يقال له جابر أو جوبير طلبت الى عمر حاجة فى خلافته فقدمت المدينة ليلا فقلت بين ان أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد منزلا فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا الى جنبى رجل يصلى يقرأ بأم الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو عمر فكانت فى نفسى فغدوت عليه فقلت يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة قال هات حاجتك قلت قدمت ليلا فقلت بين ان أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا الى جنبى رجل يقرأ بام الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو أنت وليس كذلك تفعل قبلنا قال وكيف تفعلون قال يقرأ أحدنا أم الكتاب ثم يفتتح السورة فيقرؤها قال ما لهم يعلمون ولا يعملون ما لهم يعلمون ولا يعملون ما لهم يعلمون ولا يعملون وما ينبغى عن السبع المثانى وعن التسبيح صلاة الخلق **حدثنى** طلق بن محمد الواسطى قال أخبرنا يزيد عن الجريرى عن ابن نضرة عن جابر أو جوبير عن عمر بنحوه الا أنه قال فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ويسبح أحيانا ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب وما ينبغى بعد المثانى وصلاة الخلق التسبيح ٧ **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن عبد خير عن على قال السبع المثانى فاتحة الكتاب **حدثنا** نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حفص بن عمر عن الحسن بن صالح وسفيان عن السدى عن عبد خير عن على مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عن عبد خير عن على مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن السدى عن عبد خير عن على مثله **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا هشام عن ابن سيرين قال سئل ابن مسعود عن سبع من المثانى قال فاتحة الكتاب **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب قال وقال ابن سيرين عن ابن مسعود هى فاتحة الكتاب **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن ابن سيرين عن ابن مسعود سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب **حدثنى** سعيد بن يحيى الاموى قال ثنى أبى قال ثنا ابن جريج قال أخبرنا أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال فى قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى فاتحة الكتاب فقرأها على ستاثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال سعيد وقرأها ابن عباس على كما قرأها عليك ثم قال الآية السابعة بسم الله الرحمن الرحيم فقال ابن عباس قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لاحد قبلكم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن جريج ان أباه حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس فاستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم قال ندرى ما هذا ولقد آتيناك سبعا من المثانى **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى يقول السبع الحمد لله رب العالمين والقرآن العظيم ويقال هن السبع الطول وهن المئون **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن

ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فاتحة الكتاب **حدثني** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر وعن أبي فاختة في هذه الآية ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قالا هي أم الكتاب **حدثني** المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن السدي عمن سمع عليا يقول الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني **حدثنا** أبو المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت العلاء بن عبد الرحمن يحدث عن أبيه عن أبي بن كعب انه قال السبع المثاني الحمد لله رب العالمين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب سبع آيات قلت للربيع انهم يقولون السبع الطول فقال لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطول شئ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال فاتحة الكتاب قال وانما سميت المثاني لانه يثنى بها كل ما قرأ القرآن قرأها فقيل لابي العالية ان الضحاك بن مزاحم يقول هي السبع الطول فقال لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثاني وما أنزل شئ من الطول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن أبيه عن سعيد بن جبير قال فاتحة الكتاب **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن وكيع قال ثنا أبي جميعا عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال الكتاب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن هرون بن أبي ابراهيم النوبري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال السبع من المثاني فاتحة الكتاب **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن أبي مليكة ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب قال وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبي قبله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن شهر بن حوشب في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب **حدثني** محمد بن خداش قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا هرون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال هي الحمد لله رب العالمين **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها الحمد لله رب العالمين حتى أتى على آخرها فقال تثنى في كل قراءة **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال فاتحة الكتاب **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد قال فاتحة الكتاب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ذكر لنا انهن فاتحة الكتاب وانهن يثنين في كل قراءة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة مكتوبة وتطوع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حماد بن زيد وحجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبي عن سعيد بن جبير انه أخبره انه سئل ابن عباس عن السبع المثاني فقال أم القرآن قال سعيد ثم قرأها وقرأ منها بسم الله الرحمن الرحيم قال أبي قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس

والاحذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله كما أنزلنا وجهان بعد ما مر به في الوقوف أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على المقتسمين ومن هم قيل أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أجزاء واعضاء أو فعلة من عضهته اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة فينقصانها الهاء أيضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف لجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما لحقها من الحذف كسنين فمعنى الآية ان اليهود اقتسموا القرآن الى حق وباطل وجزؤه فقالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا وسط بين المتعلق بقوله لانمدن الآية لانه مد لتسليته لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني أن يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بدمن التزام اضمار أو زيادة أما الاضمار فان يكون التقدير أنا النذير عذابا كما أنزلنا كقولك رأيت القمر في الحسن أي وجها كالقمر وأما الزيادة فان تكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شئ ويمكن أن يقال الكاف بمعنى مثل ولا حاجة الى الالتزام والتقدير

أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود و يراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاخبار لانه اخبار بما سيكون وقد كان وأما غيرهم من أهل مكة أو من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة ومداخلها أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين (٣٦) لينفروا الناس عن الايمان بالله و رسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر و يقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من أربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي و يقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل اقتسموه قال بعضهم سحر و بعضهم شعر و بعضهم كذب و بعضهم أساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله ليبيتن صالحا كما سيجيء في سورة النمل فرمتهم الملائكة بالحجارة وقتلوهم وعلى هذا يكون قوله الذين يجعلوا منصوبا بالنذر أي أنذرتكم العضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين ثم أقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسئلنهم الآية وقد مر تفسيره مثله في أول الاعراف وذلك قوله فلنسئلن الذين أرسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه قائلا فاصدع أي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل وأصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل أمرتك الخير وجوزان تكون

وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال سعيد قلت لابن عباس رضي الله عنهما المثاني قال هي أم القرآن استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فرفعها في أم الكتاب فذخرها لهم حتى أخرجها لهم ولم يعطها الا احدا قبله قال قلت لابي أخبرك سعيد أن ابن عباس قال لبسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن قال نعم قال ابن جريج قال عطاء فاتحة الكتاب وهي سبع بسم الله الرحمن الرحيم والمثاني القرآن **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء أنه قال السبع المثاني أم القرآن **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد الله العتكي عن خالد الحنفي قاضي مرو في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب * وقال آخرون عني بالسبع من المثاني معاني القرآن ذكر من قال ذلك **حدثني** اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيدي قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن زياد بن أبي مريم في قوله سبعا من المثاني قال أعطيتك سبعة أجزاء مروانه و بشر وأنذر واضرب الامثال واعدد النعم وآتيتك نبأ القرآن * وقال آخرون من الذين قالوا عني بالسبع من المثاني فاتحة الكتاب المثاني هو القرآن العظيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك قال القرآن كله مثاني **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن أبي مالك قال القرآن كله مثاني **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبيد أبو زيد عن حصين عن أبي مالك قال القرآن مثاني وعد البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف وبراءة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن جريج عن مجاهد وعن ابن طاوس عن أبيه قال القرآن كله يثني **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال المثاني ما ثنى من القرآن ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول المثاني القرآن يذكر الله القصة الواحدة مرارا وهو قوله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بالسبع الآيات السبع اللواتي هن آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بن خداش الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن اسحق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها **حدثني** أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي اني أحب ان أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله قال اني لارجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث فلما دنوت قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني قال ما تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب العكلي قال ثنا مالك بن أنس قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى لعروة عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان أو ابن فلان عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اذا

ما مصدرية أي بأمرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال وأعرض عن المشركين أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم

أكفك المنهي عن الاكثرات بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة ذوشوكة قدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والآية لا تفيد الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم وأسماءهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فمال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى أنف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجر ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم أمره لكشف ما نابه باربعة أشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه أمر متيقن ولا يجب الاخلال بالعبادة مادام المكلف حيا وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له اضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدانها ولا يستأنس بوجدانها وقال أهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر أنواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكاره وقالت المعتزلة من اعتقد تنزه الله من القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عن لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه * التأويل في بشارة ابراهيم اشارة الى أن

افتتحت الصلاة بهم تفتتح قال الحمد لله رب العالمين حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو اسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها قلت بلى قال اني لارجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه فجعل يحدثني ويدي في يده فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها فلما قرب من الباب قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت فاتحة الكتاب قال هي هي وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربي عن ابراهيم بن الفضل المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الركعتان اللتان لا يقرأ فيهما كالخداج لم يتما قال رجل أرأيت ان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم القرآن هي السبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن ابراهيم بن الفضل عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة التي لا يقرأ فيها كالخداج قلت لابي هريرة فان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها يعني أم القرآن وانها لهي السبع المثاني التي أثناني الله تعالى **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون وشبابة قالا أخبرنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب قال هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب فقال أتحب ان أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله قال فكيف تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزلت سورة في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها السبع المثاني والقرآن العظيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا سعيد بن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلي فصلى ثم أتاه فقال ما منعك أن تجيبني قال اني كنت أصلي قال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعلمنك أعظم سورة في القرآن فكاد بينها أو نسي فقلت يا رسول الله الذي قلت قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته فاذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا الذي به استشهدنا فالواجب أن يكون المثاني مرادا بها القرآن كله فيكون معنى الكلام ولقد آتيناك سبع آيات مما يثنى بعض آيه بعضا واذا كان ذلك كذلك كانت المثاني جمع مثناة

الطالب الصادق وان كان مسنا ضعيف القوى كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد فانه ينبغى أن لا يقنط من رحمة الله و يتقرب اليه بالاعمال القلبية ليتقرب اليه ربه باصناف الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب ووجه ورحم قلبه محلا ما علمها بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله الذى فى قلب المؤمن ان فى ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد أحكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق أى الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة يعنى قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين انصادقين من أصحاب الرياضات لان أنفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصبح أيها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بان تداويها وتواسيها فان فى قيمة العشق يحصل من تزكية النفس فى لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة فى سنين كثيرة ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق له ورالمخلوقات ولمعانيها ولحقائقها العليم الذى خلقه مستعدا لاظهرية ذاته وصفاته ومظهريتهما وليس ذلك فى السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا أى سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم والارادة والقدرة من المثانى أى من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لاتمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا من أهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا قهر الله على أنفسهم فصار وامظاهر القهر الذين جعلوا القرآن جعلوا عضين أى جزؤه فى الاستعمال فقوم قرأوه ليقال لهم القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ وبه يجرون الرزق وقوم حصلوا تفسيره وتأويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه وفقهه على وفق آرائهم ومذاهبهم فكفروا اذ فسروا القرآن برأيهم

وتكون آى القرآن موصوفة بذلك لان بعضها تثنى بعضا و بعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها فيعرف انقضاء الآية وابتداء التى تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك ان القرآن انما قيل له مثانى لان القصص والاخبار كررت فيه مرة بعد أخرى وقد ذكرنا قول الحسن البصرى انها انما سميت مثانى لانها تثنى فى كل قراءة وقول ابن عباس انها انما سميت مثانى لان الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء غيره فادخرها له وكان بعض أهل العربية يزعم انها سميت مثانى لان فيها الرحمن الرحيم مرتين وانها تثنى فى كل سورة يعنى لبسم الله الرحمن الرحيم وأما القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك فهو أحد أقوال ابن عباس وهو قول طاوس ومجاهد وأبى مالك وقد ذكرنا ذلك قبل وأما قوله والقرآن العظيم فان القرآن معطوف على السبع يعنى ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن وغير ذلك من سائر القرآن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والقرآن العظيم قال سائره يعنى سائر القرآن مع السبع من المثانى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والقرآن العظيم يعنى الكتاب كله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للاغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يتمتعون فيها فان من ورائهم عذابا غليظا ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على ما متعوا به فنجعل لهم فان لك فى الآخرة ما هو خير منه مع الذى قد عجلنا لك فى الدنيا من الكرامة باعطائنا السبع المثانى والقرآن العظيم يقال منه مد فلان عينه الى مال فلان اذا اشتهاه وتمناه وأراده وذكر عن ابن عيينة انه كان يتأول هذه الآية قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أى من لم يستغن به و يقول ألا تراه يقول ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم فامره بالاستغناء بالقرآن عن المال قال ومنه قول الآخر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيرا وصغر عظيما و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الاغنياء الامثال الاشباه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم قال نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه وقوله واخفض جناحك للمؤمنين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وألن لمن آمن بك واتبعك واتبع كلامك وقرآنهم منك ولا تخف بهم ولا تغلظ عليهم يامره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين والجناح من بنى آدم جنباه والجناحان الناحيتان ومنه قول الله تعالى ذكره واضمم يدك الى جناحك قيل معناه الى ناحيتك وجنبك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين

انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لانك استهنهم وكن من الساجدين سجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى يأتيك اليقين أى الى الابدلان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد العرفان فانه يحصل فوقه مقام آخر مشكوك فيه الى ان يحصل برد اليقين فيه أيضا فهناك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الابد

جعلوا القرآن عضين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمشركين انى أنا النذير الذى قد أبان انذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم فى غيكم كما أنزلنا على المقتسمين يقول مثل الذى أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله المقتسمين فقال بعضهم عنى به اليهود والنصارى وقال كان اقتسامهم انهم اقتسموا القرآن وعضوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ذكر من قال ذلك **حدثنى** عيسى بن عثمان الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قول الله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال المقتسمين أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين قال يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض **حدثنى** مطر بن محمد الضبى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير انه قال فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم أهل الكتاب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير انه قال فى هذه الآية كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كاعضاء الجزور **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم أهل الكتاب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب قسموا الكتاب فجعلوه أعضاء يقول أحزابا فآمنوا ببعض وكفروا ببعض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس المقتسمين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وفرقوا الكتاب وقال آخرون المقتسمون أهل الكتاب ولكنهم سموا المقتسمين لان بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لى وقال بعضهم هذه لى ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة انه قال فى هذه الآية الذين جعلوا القرآن عضين قال كانوا يستهزؤن يقول هذا لى سورة البقرة ويقول هذا لى سورة آل عمران * وقال آخرون هم أهل الكتاب ولكنهم قيل لهم المقتسمون لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم ذلك بايمان بعضهم ببعضها وكفره ببعض وكفر آخرين بما آمن به غيرهم وايمانهم بما كفر به الآخرون ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد كما أنزلنا

* (سورة النحل مكية غير ثلاث آيات وان عاقبتم الخ نزلت فيها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة كلمها ألف وثمانمائة وأحد وأربعون آيا نها مائة وثمان وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم

يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) القرا آت تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على الغيبة تنزل بالتخفيف الثلاث الملائكة بالرفع سهل (٤٠) وروح وزيد وأبو زيد مثله لكن بضم التاء الفوقانية جبلة ينزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو عمرو رويس والباقون بالتشديد من التنزيل بشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها نبت بالنون يحيى وحماد الآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على أن مسخرات حال يسرون ويعلنون بالياء التحتانية فيهما الخزاز عن هبيرة الآخرون بناء الخطاب يدعون على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب ه الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ه فاتقون ه بالحق ط تشركون ه مبين ه ج خلقها ج لاحتمال تمام الكلام واحتمال أن يكون لكم متعلقا به والوقف حينئذ على لكم ه ياكلون ه ص للعطف تسرحون ه ص لذلك الانفس ط رحيم ه لان الخيل مفعول خلق وزينة ط مالا تعلمون ه جائر ط أجمعين ه تسيمون ه الثمرات ط يتفكرون ه والنهار ط لمن قرأ والشمس ومابعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن وقف على الكل وقف على بأمره ط يعقلون ه لا لان مابعده مفعول سخر ألوانه ط يذكرون ه تلبسونها ج لان قوله وترى فعل مستأنف مع اتصال المعنى تشكرون ه لا يهتدون ه لا لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ه لا يخلق ط فذلك

على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وجعلوه أعضاء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنى الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب فرقوه وبدلوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب * وقال آخرون عنى بذلك رهط من كفار قريش باعيانهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين رهط خمسة من قريش عضهوا كتاب الله وقال آخرون عنى بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال الذين تقاسموا بصالح وقرأ قول الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله حتى بلغ الآية وقال بعضهم هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم كان أهلها يعشوهم في عقابها وتقدموا الى بعضهم أن يشيع في الناحية التي توجه اليها المن سأله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم أن يقول هو مجنون والى آخر انه شاعر والى بعضهم انه ساحر * والصواب من القول في ذلك عندي ان يقال ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه انه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته أن يحل بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين التوراة والانجيل لانهم اقتسموا كتاب الله فاقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالانجيل والفرقان وأقرت النصارى ببعض الانجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان وجائز أن يكون عنى بذلك المشركون من قريش لانهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعرا وبعض كهانة وبعض أساطير الاولين وجائز أن يكون عنى به الفريقان وممكن أن يكون عنى به المقتسمون على صالح من قومه فاذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في فطرة عقل وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت وجب أن يكون مقضيا بان كل من اقتسم كتبا بالله بتكذيب بعض وتصديق بعض واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية فداخل في ذلك لانهم لاشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة واختلف أهل التأويل في معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين فقال بعضهم معناه الذين جعلوا القرآن فرقا مفترقة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال فرقا **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كاعضاء الجزور **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة عن عطاء الذين جعلوا القرآن عضين قال المشركون من قريش عضوا القرآن فجعلوه أجزاء فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم مجنون

تذكرون ه لا تحصوها ط رحيم ه ومايعلنون ه وهم يخلقون ه ط لان التقدير هم أموات غير أحياء ج لاختلاف الجملتين فهما يشعرون ه لان مابعده مفعول يبعثون ه واحد ط لان مابعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون ه ومايعلنون ه المستكبرين ه * التفسير

هذه السورة تسمى سورة النحل أيضا وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية * وقال الآخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدنية وما سواها مكى وعن قتادة بالعكس منه قال أهل النظم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيأ من ذلك أقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله أتى أمر الله جواب عن شبهتهم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع أو المراد ان أمر الله بذلك وحكمه قد وقع وأتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانهم قالوا هب يا محمد انا سلمنا صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في أول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الازواج والاجساد أن يشفع عنده الا باذنه أو يستعجل في حكم من أحكامه أو قضية قبل أوانه ثم انهم كانهم قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة بالاطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف صرنا واقفا على أسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن أين حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الآية والمراد انه يلقي

فذلك العضون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله جعلوا القرآن عضين جعلوا كتابهم أعضاء كاعضاء الجزور وذلك انهم تقطعوه زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهو قوله فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذين جعلوا القرآن عضين عضهوا كتاب الله زعم بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه شعر وزعم بعضهم انه كاهن * قال أبو جعفر هكذا قال كاهن وانما هو كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس الذين جعلوا القرآن عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة قال بعضهم كهانة وقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم أساطير الاولين اكتتبها الآية جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة فوجه قائلو هذه المقالة قوله عضين الى أن واحدها عضو وان عضين جمعه وانه ماخوذ من قولهم عضيت الشئ تعضية اذا فرقته كما قال رؤبة

* وليس دين الله بالمعضى * يعني بالمفرق وكما قال الآخر

وعضا بني عوف فاما عدوهم * فارضى وأما العز منهم فغيرا

يعني بقوله وعضا سباهم وقطعاهم بالسنتهما وقال آخرون بل هي جمع عضة جمعت عضين كما جمعت البرة برين والعزة عزين فاذا وجه ذلك الى هذا التأويل كان أصل الكلام عضهة ذهبت هاؤها الاصلية كما نقصوا الهاء من الشفة وأصلها شفهة ومن الشاة وأصلها شاهة يدل على ان ذلك الاصل تصغيرهم الشفة شفيهة والشاة شويهة فيردون الهاء التي تسقط في غير حال التصغير اليها في حال التصغير يقال منه عضهت الرجل أعضهه عضها اذا بهته وقذفه ببهتان وكان تاويل من تاول ذلك كذلك الذين عضهوا القرآن فقالوا هو سحر أو هو شعر نحو القول الذي ذكرناه عن قتادة وقد قال جماعة من أهل التأويل انه انما عنى بالعضة في هذا الموضع نسبتهم اياه الى أنه سحر خاصة دون غيره من معاني الذم كما قال الشاعر * للهامة من عضاريز مزمه * يعني من سحرهن ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة الذين جعلوا القرآن عضين قال سحرا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عضين قال عضهوه وبهتوه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان عكرمة يقول العضة السحر بلسان قريش تقول للساحرة انها العاضهة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله جعلوا القرآن عضين قال سحرا أعضاء الكتب كلها وقريش فرقوا القرآن قالوا هو سحر * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قوما عضهوا القرآن انه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضهم اياه مثل ما أنزل بالمقتسمين وكان عضههم اياه قذفهموه بالباطل وقيلهم انه شعر وسحر وما أشبه ذلك وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده وذلك

ان يخص بعض عبيده بانزال الوحي عليه ويامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة الله وتوحيده وبعبادته فظهر بهذا البيان ان هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه قال الواحدي وروى عطاء عن ابن عباس انه أراد بالملائكة ههنا جبريل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة على هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي فيه بيان المبدأ والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق العقل وبالعقل يكمل ضياء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة يسمى جبريل روحا وعيسى روحا وعن أبي عبيدة ان الروح ههنا جبريل والباء بمعنى مع أي تنزل الملائكة مع جبريل وذلك انه في أكثر الاحوال كان ينزل ومعه أقوام من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من أمره أي بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من أمره معناه ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان أنذروا بدل من الروح أي ينزلهم بان أنذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف أي بان الشأن أقول لكم أنذروا أي اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله فاتقون رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحياة أبدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه يتوقف على أن هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبريل صادق مبرأ من التلبيس وأفعال الشياطين وحينئذ يلزم الدور وهذا مقام صعب أقول قد ذكرنا مرارا أن

قوله انا كفيناك المستهزئين على صحة ما قلنا وانه انما عنى بقوله الذين جعلوا القرآن عضين مشركي قومه واذا كان ذلك كذلك فعلوم انه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض بل انما كان قومه في أمره على أحد معنيين اما مؤمن بجميعه واما كافر بجميعه واذا كان ذلك كذلك فالصحيح من القول في معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قول الذين زعموا أنهم عضوه فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو شعر وقال بعضهم هو كهانة وما أشبه ذلك من القول أو عضوه ففرقوه بنحو ذلك من القول واذا كان ذلك معناه احتمل قوله عضين أن يكون جمع عضة واحتمل أن يكون جمع عضو لان معنى العضه التفريق كما يعضى الجزور والشاة فتفرق أعضاءه والعضة البهت ورميه بالباطل من القول فهما يتقاربان في المعنى ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا فيما أمرناهم به ونهيناهم عنه وفيما بعثناك اليهم من آي كتابي الذي أنزلته اليهم وفيما دعوناهم اليه من الاقرار به من توحيدي والبراءة من الانداد والاوثان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن بشير عن أنس في قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين قال عن شهادة أن لا اله الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فوربك لنسئلنهم أجمعين قال عن لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا حجر عن ليث عن بشير عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ليث عن مجاهد في قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن هلال بن عبد الله بن عكيم قال قال عبد الله والذي لا اله غيره ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك مني ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ما أجبت المرسلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحسين الجعفي عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابن عمر لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر فانه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل اليه ويعني بقوله فاصدع بما تؤمر فامض وافرق كما قال أبو ذؤيب

وكأنهن ذبابة وكأنه نسر * يفيض على القداح ويصدع

الفرق بين المعجز والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف تشتبه المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس ومن أين يلزم الدور لما بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجساد هو أن يعرف الحق لذاته والخير (٤٣) لاجل ان يعمل به اتبعه دلائل التوحيد مبتدأ من

يعني بقوله يصدع يفرق بالقداح ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فاصدع بما تؤمر يقول فامضه **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاصدع بما تؤمر يقول افعل ما تؤمر **حدثني** الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن **حدثني** نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال القرآن **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله فاصدع بما تؤمر قال الجهر بالقرآن في الصلاة **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن في الصلاة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال اجهر بالقرآن في الصلاة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو اسامة قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال مازال النبي صلى الله عليه وسلم مختفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فخرج هو وأصحابه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن الذي يوحى اليه أن يبلغهم اياه وقال تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر ولم يقل بما تؤمر به والامر يقتضي الباء لان معنى الكلام فاصدع بامرنا اياك أن تدعو الى ما بعثناك به من الدين خالقي وأذنا لك في اظهاره ومعنى ما التي في قوله بما تؤمر معنى المصدر كما قال تعالى ذكره بما أبت افعل ما تؤمر معناه افعل الامر الذي تؤمر به وكان بعض نحوي أهل الكوفة يقول في ذلك حذفت الباء التي يوصل بها تؤمر من قوله فاصدع بما تؤمر على لغة الذين يقولون أمرتك أمرا وكان يقول للعرب في ذلك لغتان احداهما أمرتك أمرا والاخرى أمرتك بامر فكان يقول ادخال الباء في ذلك واسقاطها سواء واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشي ليزيد بن المهلب

أمرتك أمرا جازما فعصيتني * فاصبحت مسلوب الامارة نادما

فقال أمرتك أمرا ولم يقل أمرتك بامر وذلك كما قال تعالى ذكره ألا ان عادا كفروا ربهم ولم يقل بربهم وكما قالوا مددت الزمام ومددت بالزمام وما أشبه ذلك من الكلام وأما قوله وأعرض عن المشركين يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم بلغ قومك ما أرسلتك به واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم وذلك قبل أن يفرض عليه جهادهم ثم نسخ ذلك بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم كما **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأعرض عن المشركين وهو من المنسوخ **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك في قوله وأعرض عن المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله في القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ثم أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واقتلوهم الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) يقول

الاشرف وهو السماويات الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقدم تفسير مثله مرارا وقوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عن يشاركه في الازلية والقدم والتدبير والتاثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في أول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان أشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور بقوله خلق الانسان من نطفة قال الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزأ من العضو المغتذي شبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء وتجتمع منه النطفة في أوعيتها وعلى هذا تكون النطفة جسما مختلفة الاجزاء والطبائع وان كانت تخيل في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيفما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هي الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب أن يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب أن تكون أفلاكها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه ينحل الى بسائط فانه يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وكل الامر بخلاف ذلك غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة

الاستحالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب قد يحصل فى الفوق فلا يكون حدوث أعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا أكثريا وحيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير أما قوله فاذا هو خصيم مبين فقد ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة لا حس به ولا حراك وتقرير ذلك ان النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء من نفوس سائر الحيوانات ألا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذى يوافقه والذى لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى أن يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثانى ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم فعلى الوجه الاول جوز أن يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وأن يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثانى تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لاجل وصف الانسان بالتمادى فى القحة والكفران وقد يرجح الثانى بما روى ان أبى بن خلف الجمحى جاء بعظم رميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم ثم أردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التى ينتفع بها الانسان فى ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفى غير ضروريات من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال والانعام خلقها هى الازواج الثمانية المذكورة فى سورة الانعام

تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا كفيناك المستهزئين يا محمد الذين يستهزؤن بك ويسخرون منك فاصدع بامر الله ولا تخف شيأ سوى الله فان الله كافيك من ناصبك وأذاك كما كفاك المستهزئين وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين ذكر أسمائهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد قال كان عظماء المستهزئين كما ثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوى انساب وشرف فى قومهم من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الاسود بن المطلب أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده ومن بنى زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان زفلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الى قوله فسوف يعلمون قال محمد بن اسحق فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ان جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حينا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى أثر جرح باسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبيله يعنى ازاره وذلك انه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل السهمى فاشار الى أخمص رجله فخرج على حماره يريد الطائف فوقص على شبرقه فدخل فى أخمص رجله منها شوكة فقتلته * قال أبو جعفر الشبرقة المعروف بالحسك منه حينا والحين الماء الاصفر ومر به الحارث بن الطلاطلة فاشار الى رأسه فامتخط قيحا فقتله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد القرشى عن رجل عن ابن عباس قال كان رأس هم الوليد بن المغيرة وهو الذى جمعهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال كان المستهزئين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والاسود بن عبد يغوث والحارث بن عيطلة فاتاه جبرئيل فاومأ باصبعه الى رأس الوليد فقال ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ بيده الى أخمص العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ فقال كفيت وأومأ بيده الى عين أبى زمعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ باصبعه الى رأس الاسود فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعنى لى خالى فقال كفيت وأومأ باصبعه الى بطن الحارث فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ قال كفيت قال فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه بروة أو شوكة وبين يديه نساء فجعل يستحى أن يطامن ينتزعها وجعلت تضرب ساقه فلم يزل مريضا حتى مات وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء الى حاجة له باسفل مكة فذهب ينزل فوضع أخمص قدمه على شبرقة فمكث رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمى أبو زمعة وأخذ الاكلة فى رأس الاسود وأخذ الحارث الماء فى بطنه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير

وهى الضأن والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال فى الكشاف وأكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن أن يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل أثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز أن يكون معطوفا على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أى ما خلقها (٤٥) الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان قال صاحب النظم وأحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها بدليل انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر قال الجوهرى الدفاء نتاج الابل وألبانها وما ينتفع به منها والدفاء أيضا السخونة وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة أعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والشراء بالنقود والاثواب وبسائر الحاجات أما قوله ومنها تأكلون بتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى مآكلهم عادة وأما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجارى مجرى التفكه ويحتمل أن يراد ان غالب أطعمتكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون باكراء الابل وتشترون بنتاجها وألبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تأوى اليه ليلا ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها أظهر حين تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضى فى قوله لم تكونوا راجع الى الغرض والتقدير أى لو لم يخلق الابل لم يكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا حاملين الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل أثقالكم لاجل المبالغة كأنه قيل قد علمتم انكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم

جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة رهط من قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والحارث بن عيطلة والاسود بن قيس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن عيطلة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة كلهم هلك قبل بدر العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة بن عبد الاسود والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والحارث بن عيطلة **حدثنا** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى بكر الهذلى قال قلت للزهرى ان سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين فقال سعيد هو الحارث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحارث بن قيس فقال صدقا كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن الشعبى قال المستهزئين سبعة وسمى منهم أربعة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كانوا من قريش خمسة نفر العاص بن وائل السهمى كفى بصداع أخذه فى رأسه فسال دماغه حتى كان يتكلم من أنفه والوليد بن المغيرة المخزومى كفى برجل من خزاعة أصلح سهماله فنذرت منه شظية فوطئ عليها فمات وهبار بن الاسود وعبد يغوث ابن وهب والحارث بن عيطلة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كلهم من قريش العاص بن وائل فكفى بانه أصابه صداع فى رأسه فسال دماغه حتى لا يتكلم الا من تحت أنفه والحارث بن عيطلة بصفر فى بطنه وابن الاسود فكفى بالجدرى والوليد بان رجلا ذهب ليصلح سهماله فوقعت شظية فوطئ عليها وعبد يغوث فكفى بالعمى ذهب بصره **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعن مقسم انا كفيناك المستهزئين قال هم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب مروا رجلا رجلا على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل فاذا مر به رجل منهم قال جبرئيل كيف تجدهذا فيقول بئس عبد الله فيقول جبرئيل كفاكه فاما الوليد بن المغيرة فتردى فتعلق سهم بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات وأما الاسود بن عبد يغوث فاتى بغصن فيه شوك فضرب به وجهه فسالت حدقتاه على وجهه فعمى وكان يقول دعوت على محمد دعوة ودعا على دعوة فاستجيب له دعا على ان أعمى فعميت ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا فى أهل يثرب فكان كذلك وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك وأما الاسود بن المطلب وعدى بن قيس فان أحدهما قام من الليل وهو ظمآن فشرب ماء من جرة فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات وأما الآخر فلدغته حية فمات **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان عن مقسم مولى ابن عباس فى قوله انا كفيناك المستهزئين ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن ابن ثور **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين هم

ويجوز أن يكون العائد الى الاثقال محذوفا أى لم تكونوا بالغيها الا بالشق أو المراد بالاثقال الاجساد عن ابن عباس انه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدى هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها أكثر متاجر أهل مكة ان ربكم لرؤف رحيم (٤٦) والالم يخلق هذه الحوامل لاجل تيسير هذه المصالح احتج منكرو الكرامات بالآية على امتناع طى الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب ان الامتناع العادى لا ينافى الامكان الذاتى والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام أى وخلق هؤلاء المركوب والزينة فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق والتحقيق فيه ان الركوب أحد الامور المعتبرة فى المقصود بخلاف التزين بالشئ فانه قلما يلتفت اليه أرباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه غالبا وكانه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل فى نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بان أفعال الله معللة بالمصالح بأن قوله لتركبوها يقتضى ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالآية على تحريم لحوم الخيل من وجوه أحدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل فى الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل أعظم منة من الركوب والتزين فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وناقشوا فيما قبل ومنها ما كان يقتضى الحصر فيجب أن لا يجوز أكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله لتركبوها يقتضى ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة فلو كان حل أكلها مقصودا لزم أن يكون ما فرض تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم

رهط خمسة من قريش عضهوا القرآن زعم بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه شعر وزعم بعضهم انه أساطير الاولين اما أحدهم فالاسود بن عبد يغوث أتى على نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله على انه خالى قال كفيناك ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه عدى بن قيس أخو بنى سهم فقال الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه الاسود بن المطلب فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه العاص بن وائل فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك فاما الاسود بن عبد يغوث فاتى بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه فكان بعد ذلك يقول دعا على محمد بدعوة ودعوت عليه باخرى فاستجاب الله له فى واستجاب الله لى فيه دعا على ان أثكل وان أعمى فكان كذلك ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا فطردناه مع يهود بثرب وسراق الحجيج وكان كذلك وأما الوليد بن المغيرة فذهب يرتدى فتعلق بردائه سهم غرب فاصاب أكحله أو أنحله فاتى فى كل ذلك فمات وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فاتى فى ذلك جعل ينتسافط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك وأما الاسود بن المطلب وعدى بن قيس فلا أدرى ما أصابهما ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر نهى أصحابه عن قتل أبى البحترى وقال خذوه أخذا فانه قد كان له بلاء فقال له أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا البحترى انا قد نهينا عن قتلك فهلم الى الامنة والامان فقال أبو البحترى وابن أخى معى فقالوا لم نؤمر الا بك فراودوه ثلاث مرات فابى الا وابن أخيه معه قال فاغلظ للنبى صلى الله عليه وسلم الكلام فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله فجاء قاتله وكانما على ظهره جبل أو ثقل مخافة أن يلومه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبر بقوله قال النبى صلى الله عليه وسلم أبعده الله وأسحقه وهم المستهزؤن الذين قال الله انا كفيناك المستهزئين وهم الخمسة الذين قيل فيهم انا كفيناك المستهزئين استهزؤا بكتاب الله ونبيه صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انا كفيناك المستهزئين هم من قريش **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وزعم ابن أبى نجيح أنهم العاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة الوحيد والحارث بن عدى بن سهم ابن العطلة والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو أبو زمعة والاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار عن ابن عباس نحو حديث محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور غير انه قال كانوا ثمانية ثم عد هم وقال كلهم مات قبل بدر وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون وعيد من الله تعالى ذكره وتهدد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره انا كفيناك يا محمد الساخرين منك الجاعلين مع الله شريكا فى عبادته فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم اليه فى القيامة وما يحل بهم من البلاء

القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم اياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به وان ذلك يحرجك فسبح بحمد ربك يقول فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم الى الشكر لله والثناء

والثناء عليه والصلاة يكفك الله من ذلك ما أهمك وهذا نحو الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل خرعتيق وهي معتقة و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثني طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال ابن جريج أخبرني ابن كثير انه سمع مجاهدا يقول حتى يأتيك اليقين قال الموت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال يعني الموت **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى يأتيك اليقين قال اليقين الموت **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله حتى يأتيك اليقين قال الموت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن طارق عن سالم مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت اذا جاءه الموت جاءه تصديق ما قال الله له وحدثه من أمر الآخرة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أم العلاء امرأة من الانصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة قالت وطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي مات فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك أن الله أكرمه قالت بأبي أنت يا رسول الله فمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين و والله اني لارجو له الخير **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا اسمعيل قال ثنا ابراهيم بن سعد قال ثنا ابن شهاب عن خارجة ابن زيد عن أم العلاء امرأة من نسائهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثني** موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا ابراهيم بن اسمعيل عن محمد بن شهاب أن خارجة بن زيد حدثه عن أم العلاء امرأة منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال في حديثه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين

(تفسير سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول في تأويل قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره أتى أمر الله فقرب منكم أيها الناس ودنا فلا تستعجلوا وقوعه ثم اختلف أهل

كون معظم المنة في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما أعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكأنما أعطى الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر في قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان أنواع الغرائب والعجائب المخلوقة في هذا العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا أشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق مالا تعلمون أي كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل صلى الله عليه وسلم كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من رأسه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم أحد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه انما ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل للجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة بالآية على مسألتين من أصولهم احداهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف أي وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى ان عداية الطريق الموصل الى الحق واجبة

عليه والثانية انه لا يضل أحدا ولا يغويه الا الضال وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو عليه الجبر فلما غير أسلوب الكلام قائلا ومنها جائر دل على انه أراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك (٤٨) وعن الثانى ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف فى بعض السبل فاما أن فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه أصلا على ان قوله ولو شاء لهداكم أجمعين يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر أو بالهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب أحوال الحيوانات أراد أن يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات فقال هو الذى أنزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل أو بشراب خبر اله والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل أن يكون الماء المحتبس فى الآبار والعيون منه كقوله فاسكناه فى الارض وبعضه يحصل منه شجر يرعاه المواشى قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط أصوات بعضهم بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل فى العشب والكلا وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر فى الآية الكلا وفى حديث عكرمة لا تاكلوا من الشجر فانه سحت أراد الكلا وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضى التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب أن يكون الشجر ما له ساق وأجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان

اولى

قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت وأسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض يقتضى أن يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعى وردبان الابل قد تقدر على رعى الاشجار الكبار وحين ذكر من رعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال

التأويل فى الامر الذى أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو وأى شئ هو فقال بعضهم هو فرائضه وأحكامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال الاحكام والحدود والفرائض * وقال آخرون بل ذلك وعيد من الله لاهل الشرك به أخبرهم ان الساعة قد قربت وان عذابهم قد حضر أجله فدنا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية يعنى أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض ان هذا يزعم ان أمر الله أتى فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فقالوا ان هذا يزعم مثلها أيضا فلما رأوا انه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى بكر بن حفص قال لما نزلت أتى أمر الله رفعوا رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر بن شعيب قال سمعت أبا صادق يقرأ يا عبادى أتى أمر الله فلا تستعجلوه * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله واعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك انه عقب ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون فدل بذلك على تقرب هؤلاء المشركين به ووعيده اهم وبعد فانه لم يبلغنا ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل ان تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها وأما مستعجلو العذاب من المشركين فقد كانوا كثيرا وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وعلوا له عن الشرك الذى كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يدين به واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعالى عما يشركون فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين عما يشركون بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله وتوجيه للخطاب بالاستعجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قرؤا الثانية بالياء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله فلا تستعجلوه الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقوله وتعالى عما تشركون الى المشركين والقراءة بالتاء فى الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بينت من التأويل ان ذلك انما هو وعيد من الله المشركين ابتدأ أول الآية بتهديدهم وختم آخرها بتكبير فعلهم واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون) اختلفت القراء فى قراءة قوله ينزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ينزل الملائكة بالياء وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ينزل الله الملائكة بالروح وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين ينزل الملائكة بالياء وتخفيف الزاى ونصب الملائكة وحكى عن بعض الكوفيين انه كان يقرأه تنزل الملائكة بالتاء وتشديد الزاى والملائكة بالرفع على اختلاف منه فى ذلك وقد روى عنه موافقة سائر قراء بلده * وأولى القراءات بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ ينزل الملائكة بمعنى ينزل الله ملائكة وانما اخترت ذلك لان الله هو المنزل ملائكته بوحيه الى رسله فاضافة فعل ذلك اليه

ينبت لكم به الزرع الذى هو الغذاء الاصلى والزيتون الذى هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة مافيه من الدهن والنخيل والاعناب اللتين هما أشرف الفواكه ثم أشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما أجمل الحيوانات التى لم يذكرها بقوله ويخلق مالا تعلمون قال فى الكشاف انما لم يقل وكل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا فى الجنة واعلم انه قدم الغذاء الحيوانى على الغذاء النباتى لان النعمة فيه أعظم لانه أسرع تشبيها ببدن الانسان وفى ذكر الغذاء النباتى قدم غذاء الحيوان الشجر على غذاء الانسان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو أن يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب فى قوله كلوا وارعوا أنعامكم بناء على ماهو الواجب فى نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام فى تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر فى الاعراف وفى سورة ابراهيم وهذا حسم لمادة شبهة من يزعم ان حركات الافلاك هى المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هى المستدعية للحوادث السفليات فانه ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرئ عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان آثار العلوم أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات لتطابق قوله مسخرات ومثله فى هذه السورة فى موضع آخر مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات وأقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية فى نفسها لتباين الليل والنهار وتخالف مسيرات الكواكب كما هو مقرر فى علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات آية واحدة وكذا قوله وما ذرأ لكم فى الارض أى خلق لكم فيها من حيوان وشجر وثمر وغير

أولى وأحق واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف لانه تعالى ذكره كان ينزل من الوحى على من نزله شيأ بعد شئ والتشديد به اذ كان ذلك معناه أولى من التخفيف فتأويل الكلام ينزل الله ملائكته بما يحييه الحق ويضمحل به الباطل من أمره على من يشاء من عباده يعنى على من يشاء من رسله أن أنذروا فان الاولى فى موضع خفض ردا على الروح والثانية فى موضع نصب بانذروا ومعنى الكلام ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده بان أنذروا عبادى سطوتى على كفرهم بى واشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والاوثان فانه لا اله الا أنا يقول لا تنبغى الالوهة الا لى ولا يصلح أن يعبد شئ سواى فاتقون يقول فاحذرونى بأداء فرائضى وافراد العبادة واخلاص الربوبية لى فان ذلك نجاتكم من الهلكة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح يقول بالوحى **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده يقول ينزل الملائكة ٧ **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و**حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بالروح من أمره انه لا ينزل ملك الا ومعه روح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره قال لا ينزل ملك الا معه روح ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالنبوة قال ابن جريج وسمعت ان الروح خلق من الملائكة نزل به الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون قال كل كلام تكلم به رسل فهو روح منه وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الى قوله ألا الى الله تصير الامور **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فيصطفى منهم رسلا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالوحى والرحمة وأما قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون فقد بيناه معناه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون انما بعث الله المرسلين أن يوحدوا الله وحده ويطاع أمره ويجتنب سخطه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره معرفا خلقه حجته عليهم فى توحيده وانه لا تصلح الالوهة الا له خلق ربكم أيها الناس السموات والارض بالعدل وهو الحق منفردا بخلقهما لم يشركه فى انشائهما واحد ثانها شريك ولم يعنه عليه معين فانى يكون له شريك تعالى عما يشركون يقول جل ثناؤه علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم الها دونه فارتفع عن ان يكون له مثل أو شريك أو ظهير لانه لا يكون الها الا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والارض ويبتدع الاجسام فيحدثها من غير شئ وليس ذلك فى قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذى لا تنبغى العبادة الا له ولا

ذلك مختلفا ألوانه فان ذره هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوى الكل فى الطبيعة الجسمية وفى تاثير الفلكيات فيها آية واحدة على وجود الصانع تعالى شأنه ولست أدعى الامكان هذه الاعتبارات والافنى كل شئ له آية تدل على أنه واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة (٥٠) وخص المقام الثانى بالعقل لذكره بعد ماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التى هى فى الحقيقة انعامات على الانسان تسخير البحر لركوب عليه والانتفاع به أكلا ولبسا والمراد باللحم الطرى السمك قال ابن الاعرابى لحم طرى غير مهموز ومصدره طراوة يقال شئ طرى أى غض من الطراوة وقال قطرب طرو اللحم وطرى طراوة والمراد فى الآية السمك وما فى معناه قال فى الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيران الذى لحمه فى غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث أظهر الضد من الضد قال أكثر الفقهاء ومنهم أبو حنيفة والشافعى من حلف الا يأكل لحما فاكل سمكا يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد عليهم الامام فخر الدين الرازى بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان ولقائل أن يقول لعل الانكار فى هذه السورة بعد تسليم انما جاء من قبل ندرة شراء العصفور وأشراء لحمه فانه انما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا أراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزيينهن لاجلهم ولقائل أن يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلئ ونحوها

تصلح الالوهة لشئ سواه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يقول تعالى ذكره ومن حجه عليكم أيضا أيها الناس انه خلق الانسان من نطفة فاحدث من ماء مهين خلقا عجيبا قلبه تارات خلقا بعد خلق فى ظلمات ثلاث ثم أخرجه الى ضياء الدنيا بعد ما تم خلقه ونفخ فيه الروح فغذاه ورزقه القوت ونماه حتى اذا استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضر ولا ينفع وخاصم الهه فقال من يحيى العظام وهى رميم ونسى الذى خلقه فسواه خلقا سويا من ماء مهين ويعنى بالمبين انه يبين عن خصومته بمنطقه ويجادل بلسانه فذلك ابانته وعنى بالانسان جميع الناس أخرج بلفظ الواحد وهو فى معنى الجميع ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دف ء ومنافع ومنها تاكلون) يقول تعالى ذكره ومن حجه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الانعام فسخرها لكم وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفئون بها ومنافع من ألبانها وظهورها تركبونها ومنها تاكلون يقول ومن الانعام ما تاكلون لحمه كالابل والبقر والغنم وسائر ما يؤكل لحمه وحذفت ما من الكلام لدلالة من عليها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قال المثنى أخبرنا وقال ابن داود ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دف ء يقول الثياب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دف ء ومنافع ومنها تاكلون يعنى بالدف ء الثياب والمنافع ما ينتفعون به من الاطعمة والاشربة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لكم فيها دف ء قال لباس ينسج ومنها مركب ولبن ولحم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لكم فيها دف ء لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله لكم فيها دف ء قال نسل كل دابة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل باسناده عن ابن عباس مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والانعام خلقها لكم فيها دف ء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال قال ابن عباس والانعام خلقها لكم فيها دف ء ومنافع ومنها تاكلون قال هو منافع وما آكل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والانعام خلقها لكم فيها دف ء ومنافع قال دف ء اللحف التى جعلها الله منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكير عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد والانعام خلقها لكم فيها دف ء ومنافع قال نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ولكم فى هذه الانعام والمواشى التى خلقها الله لكم جمال حين تريحون يعنى تردونها بالعشى من مسارحها الى مراحها ومنازلها التى تاوى اليها ولذلك سمى المكان المراح لانها تراح اليه عشيا

شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالآية فى ابطال قول الشافعية انه لا زكاة فى الحلى قال لان اللام فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا زكاة فى الحلى تنصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما فى الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكاة فى اللآلئ وهذا باطل بالاتفاق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن تكون اللام للجنس فتشمل المصوغ من الذهب والفضة أيضا فيكون الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته ومن عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال أهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت دوى الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر أى جوارى وانما حسن هذا التفسير لانهم لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله لتبتغوا من فضله أى تتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم أن قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضى مفعولى ترى وأما فى سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تأكلون ولتقدم الجار فى قوله ومن كل تأكلون حذف لفظة منه هناك والواو فى ولتبتغوا فى هذه السورة للعطف على لام العلة فى لتأكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض فى السورتين يجرى مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب فى قوله وترى وقبله وبعده جمع أى لو حضرت أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة ويمكن أن يقال انما قال فى الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقين وانما بينا الكلام على أن قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذاك والله أعلم قوله أن تميد بكم أى كراهة ان تميد الارض بكم والباء للتعدية أو للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا روى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى لم يقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا ألقيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاحمال الثقيلة فى تلك السفينة استقرت على وجه الماء فكذا الارض

فتاوى اليه يقال منه أراح فلان ماشيته فهو يريحها اراحة وقوله وحين تسرحون يقول وفى وقت اخراجكموها غدوة من مراحها الى مسارحها يقال منه سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا وسروحا اذا أخرجها للرعى غدوة وسرحت الماشية اذا خرجت للمرعى تسرح سرحا فالسرح بالغداة والاراحة بالعشى ومنه قول الشاعر

كأن بقايا الاتن فوق متونه * مدب الذى فوق النقا وهو سارح

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك أجمل ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا أسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال اذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة وأحسن ما تكون ضروعا وقوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول وتحمل هذه الانعام أثقالكم الى بلد آخر لم تكونوا بالغيه الا بجهد من أنفسكم شديد ومشقة عظيمة **كما حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن عكرمة وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو تكلفونه لم تبلغوه الا بجهد شديد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو كلفتموه لم تبلغوه الا بشق الانفس **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال البلد مكة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الا بشق الانفس قال مشقة عليكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول بجهد الانفس **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار بكسر الشين الا بشق الانفس سوى أبى جعفر القارى فان المثنى **حدثنى** قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنى أبو سعيد الرازى عن أبى جعفر قارئ المدينة انه كان يقرأ لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس بفتح الشين وكان يقول انما الشق شق النفس وقال ابن أبى حماد وكان معاذ الهواء يقول هى لغة تقول العرب بشق وبشق وبرق وبرق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهى كسر الشين لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وقد ينشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها وذلك قول الشاعر

وذى ابل تسعى وتحسبها له * حتى نصب من شقها ودووب

ومن شقها أيضا بالكسر والفتح وكذلك قول العجاج * أصبح مسحولا يوازى شقا * وشقا بالفتح والكسر ويعنى بقوله يوازى شقا يقاسى مشقة وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح الى المصدر من شققت عليه أشق شقا وبالكسر الى الاسم وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا بالكسر أرادوا الابتقص

تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل فى تجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شأنه ان الرسوب فى الماء على ما هو مشاهد من حال أجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى تكون طافية

من القوة وذهاب شئ منها حتى لا يبلغه الا بعد نقصها فيكون معناه عند ذلك لم تكونوا بالغيه الا بشق قوى أنفسكم وذهاب شقها الآخر وحكى عن العرب خذ هذا الشق لشقة الشاة بالكسر فما فى شققت عليك شقا فلم يحك فيه الا النصب وقوله ان ربكم لرؤف رحيم يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس ذو رأفة ورحمة ومن رحمته بكم خلق لكم الانعام لمنافعكم ومصالحكم وخلق السموات والارض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة الهكم لتشكروه على نعمه عليكم فيزيدكم من فضله

القول فى تأويل قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون)

يقول تعالى ذكره وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة يقول وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التى فيها لكم للركوب وغير ذلك ونصب الخيل والبغال عطفا على الهاء والالف فى قوله خلقها ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بينت ولو لم يكن معها واو وكان الكلام لتركبوها زينة كانت منصوبة بالفعل الذى قبلها الذى هى به متصلة ولكن دخول الواو آذنت بان معها مضمر فعل وبانقطاعها عن الفعل الذى قبلها هو بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتركبوها وزينة قال جعلها لتركبوها وجعلها زينة لكم وكان بعض أهل العلم يرى ان فى هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو ضمرة عن أبى اسحق عن رجل عن ابن عباس قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال هذه للركوب والانعام خلقها لكم فيها دفء قال هذه للاكل حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام الدستوائى قال ثنا يحيى بن أبى كثير عن مولى نافع بن علقمة أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون فهذه للاكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس انه سئل عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الآية والخيل والبغال والحمير لتركبوها الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس بن الربيع عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه سئل عن لحوم الخيل فقال اقرأ التى قبلها والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعل هذه للاكل وهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى عنبسة عن أبيه عن الحكم والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون فجعل منه الاكل ثم قرأ حتى بلغ والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال لم يجعل لكم فيها أكلا قال وكان الحكم يقول الخيل والبغال والحمير حرام فى كتاب الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عنبسة عن الحكم قال لحوم الخيل حرام فى كتاب الله ثم قرأ والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الى قوله لتركبوها وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم فى هذا التأويل ويرون ان ذلك غير دال على تحريم شئ وأن الله جل ثناؤه انما عرف عباده بهذه الآية وسائر ما فى أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبههم به على حجه عليهم وأدلته على وحدانيته وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك ذكر بعض من كان لا يرى باسا باكل لحم الفرس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن الاسود انه أكل لحم فرس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة

الجبال ارساءها وتثبيتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى تكون طافية مائدة وقد أرساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينقل الكلام الى وقوف الماء فى حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف التقدير لانا نقول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان واقعا بتخليق الفاعل المختار وتسكينه فى حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله فى تسكين الارض هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى وانسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كرى والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بادنى سبب فلما أحدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت فى هذا الحل خلل اما أولا فلكونه مبنيا على غير قواعد أهل التفسير وأما ثانيا فلما ثبت فى الحكمة ان نسبة أعظم جبل فى الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغى أن يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة أهل الشرع أن يقال لا نسلم أن الارض بكليتها لها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسى وأما قوله لم أوقف الله الماء فى حيزه ولم يوقف الارض من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فان الوسائط والاسباب مدخل فى الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها هذا وان حركة

الارض عند الزلازل لا تنافي حكم الله بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة لجزء الشئ لا ينافي نفيها عن كليته وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة من الارض لاحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وأنهارا معطوف على رواسي أي وجعل فيها رواسي وانهارا لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وألقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا أي أطرقها

عن الحكم عن ابراهيم عن الاسود بنحوه **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال نحر أصحابنا فرسا في النخع وأكلوا منه ولم يروا به باسا * والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني وذلك انه لو كان في قوله تعالى ذكره لتركبوها دلالة على انها لا تصلح اذ كانت للركوب للاكل لكان في قوله فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للاكل والدفء للركوب وفي اجماع الجميع على أن ركوبها ما قال تعالى ذكره ومنها تاكلون جائز حلال غير حرام دليل واضح على ان أكل ما قال لتركبوها جائز حلال غير حرام الا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم فاما بهذه الآية فلا يحرم أكل شئ وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الاهلية بوحيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا كتاب الاطعمة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع اذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك وانما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر قال كانا كل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فالبغال قال أما البغال فلا وقوله ويخلق ما لا تعلمون يقول تعالى ذكره ويخلق ربكم مع خلقه هذه الاشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها والسبيل هي الطريق والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه كما قال الراجز * فصد عن نهج الطريق القاصد * وقوله ومنها جائر يعني تعالى ذكره ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج فالقاصد من السبل الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وغير ذلك من مل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها سوى الحنيفية المسلمة وقيل ومنها جائر لان السبيل يؤنث ويذكر فانث في هذا الموضع وقد كان بعضهم يقول وانما قيل ومنها لان السبيل ان كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول البيان **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الله قصد السبيل قال طريق الحق على الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الله قصد السبيل قال السبيل الارض الطريق الهدى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وعلى الله قصد السبيل

وبينها لاجل أن تهتدوا بها في أسفاركم ولماذا كرانه أظهر في الارض سبلا معينة ذكرانه أظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى ان جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله و بالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدراهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان و بنات نعش والجدي قال بعض المفسرين أراد بقوله هم يهتدون أهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل أراد أعم من ذلك فاهل البر أيضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبيل وقال في الكشاف كانه أراد فريقا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصوا بتقديم النجم واقحام لفظ هم كانه قيل و بالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع و وحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال أراد أن يوبخ أهل الشرك والعناد فقال أفمن يخلق

كمن لا يخلق أي كالاصنام التي لا تخلق شيا الا أنه أجراها مجرى أولي العلم فاطلق عليها لفظ من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها آلهة أو لاجل المشاكلة بينه و بين من يخلق أو أراد أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بمن لا علم عنده أو أراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه أولو العلم منهم واعلم ان أهل البيان يقولون ان المشبه به يجب أن يكون أقوى وأتم في وجه الشبه من المشبه ليلحق الاضعف

بالاقوى فى وجه الشبه كقولك وجه كالقمر ولا ريب ان الخالق أقوى من غير الخالق فكان حق النظم فى الظاهر أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق أقوى حالا وأعرف من الخالق قال فى الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بهم حين جعلوا غيره مثله فى التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك

ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له أدنى عقل بل حس قال أفلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلالته كالحاصل الذى يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة فى الآية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال نفسه لان الآية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية أجابت المعتزلة بان المراد أفمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم أو نقول سلمنا ان الآية كل من كان خالقا يكون أفضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب أن يكون الها نظيره قوله ألهم أرجل يمشون بها أراد به ان الانسان أفضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبى فى تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن أطلق ذلك فقد أخطأ الا فى مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الان أصحاب أبى هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان أبا عبد الله البصرى قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الآيات التى هى بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره فى سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من أجزاء البدن الانسانى لو ظهر فيه أدنى خلل لنغص العمر على الانسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت فى ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بصلاحه ومفاسده ولكن هذا المثال

قال انا رأيتها حدثنا عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان يبين الهدى من الضلالة ويبين السبيل التى تفرقت عن سبله ومنها جائر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها جائر أى من السبل سبل الشيطان وفى قراءة عبد الله بن مسعود ومنكم جائر ولو شاء لهداكم أجمعين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنها جائر قال فى حرف ابن مسعود ومنكم جائر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ومنها جائر يعنى السبل المتفرقة حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ومنها جائر يقول الاهواء المختلفة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومنها جائر يعنى السبل التى تفرقت عن سبيله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومنها جائر السبل المتفرقة عن سبيله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنها جائر قال من السبل جائر عن الحق قال وقال الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله ولو شاء لهداكم أجمعين يقول ولو شاء الله لالطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه فيكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل ولا تجورون عنه فتتفرقون فى سبل عن الحق جائرة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شاء لهداكم أجمعين قال لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل الذى هو الحق وقرأ ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا الآية وقرأ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الآية ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) يقول تعالى ذكره والذى أنعم عليكم هذه النعم وخلق لكم الانعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم هو الرب الذى أنزل من السماء ماء يعنى مطرا لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شرب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها فيه تسيمون يقول فى الشجر الذى ينبت من الماء الذى أنزل من السماء تسيمون يعنى ترعون يقال منه سام فلان بله يسيمها اسامة اذا أرعاها وسومها أيضا يسومها وسامت هى اذا رعت فهى تسوم وهى ابل سائمة ومن ذلك قيل للمواشى المطلقة فى الفلاة وغيرها للرعى سائمة وقد وجه بعضهم معنى السوم فى البيع الى أنه من هذا وانه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغى له من زيادة ثمن ونقصان كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت من مراعيها ومنه قول الاعشى

ومشى القوم بالعماد الى المو * رحى وأعيا المسيم ابن المساق ٧

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن النضر بن عربى عن عكرمة ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى عن النضر بن عربى عن عكرمة فى قوله فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال ترعون حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنه شجر فيه تسيمون يقول شجر ترعون فيه انعامهم وشاءهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

حاضرا في ذهنك وقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر أدنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في أداء شكر النعمة ورحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كانوا مع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر والمكايد في حق (٥٥) الرسول صلى الله عليه وسلم فاوعدهم

حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك فيه ترعون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد عن الضحاك في قوله تسيمون يقول ترعون انعامكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن أبي طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى قال فيه ترعون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شجر فيه تسيمون يقول ترعون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ترعون حدثنا محمد بن سنان قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله شجر فيه تسيمون قال ترعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون قال الاسامة الرعية وقال الشاعر

مثل ابن برعة أو كآخر مثله * أولى لك يا ابن مسيمة الاجمال

قال يا ابن راعية الاجمال ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يقول تعالى ذكره ينبت لكم ربكم بالماء الذي أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم ومن كل الثمرات يعني من كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا واداما وفاكهة نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا وحجة على من كفر به منكم ان في ذلك لآية يقول جل ثناؤه ان في اخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم لآية يقول لدلالة واضحة وعلامة بينة لقوم يتفكرون يقول لقوم يعتبرون مواعظ الله ويتفكرون في حجه فيتذكرون وينيبون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل ان سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم هذا لتصرفكم في معاشكم وهذا لسكنكم فيه والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنيكم وصلاح معايشكم والنجوم مسخرات لكم بامر الله تجري في فلكها لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره ان في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه اياهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) يعني جل ثناؤه بقوله وما ذرأ لكم وسخر لكم ما ذرأ لكم أي ما خلق لكم في الارض مختلفا ألوانه من الدواب والثمار كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ذرأ لكم في الارض يقول وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدواب ومن الشجر والثمار نعم من الله متظاهرة فاشكروا لله حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال من الدواب والاشجار والثمار ونصب قوله مختلفا لان قوله وما في موضع نصب بالمعنى الذي وصفت واذ كان ذلك كذلك وجب أن يكون مختلفا ألوانه حالا من ما والخبر دونه تام ولو لم تكن ما في موضع نصب وكان الكلام مبتدأ من قوله وما ذرأ لكم لم يكن في مختلف الا الرفع لانه كان يصير مرافعا ما حينئذ ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره والذي فعل هذه الافعال

بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه أيضا تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يجب أن يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور لها أصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون أي الالهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيأ وقد ذكر هذا المعنى في قوله أمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون أي يخلق الله أو بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم ففي هذه الآية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال وأثبت صفة النقصان وكذلك قوله أموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح وأما الجمادة فاموات لا تقبل الحياة أصلا وفيه ان الاله الحق يجب أن يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد يقرر المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارتين مختلفتين تنبيها على بلادته وما يشعرون الضمير فيه للآلهة اما الضمير في أيان يبعثون فاما للآلهة أيضا ويؤيده ما روى عن ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين أي لا يشعر الالهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء أي لا يعلم هؤلاء الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم

ومعنى انهم أموات أى لا بد لهم من الموت غير احياء أى غير باقية على حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما وقع طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق فى نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله أصر الكفار على شركهم فقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية أو لكل كلام يخالف هواهم (٥٦) وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق أسرع وأما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما وافق رأيه ويلائم طبعه فيبقى فى ظلمة الانكار لا جرم أى حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما أسروا من الاستكبار وأعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد فيختص بالمشركين أو كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا أوليا لان الكلام فيهم * التأويل الناس طبقات ثلاث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذا كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم أصحاب النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم فى الطاعات والاعمال الصالحات وهم أرباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذى الجلال فحين قال فى الازل ألست بربكم استعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له فى القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن أن يشاركه فى الحكم أحد فلا مبدل لكلماته بالروح من أمره أى بما يحيى القلوب من المواهب الربانية من أمره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلى الصفات لافناء الذوات فى تجلى من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان أنذروا اعلموا أوصاف وجودكم ببذلها فى اثباتى أنه لا اله الا أنا فاتقون عن اثباتكم بما فى خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وجعلها مظهر الافاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون

بكم وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم الذى سخر لكم البحر وهو كل نهر مهما كان ساؤه أو عذبا لتأكلوا منه لحما طريا وهو السمك الذى يصطاد منه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وهو اللؤلؤ والمرجان كما حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا قال منها جميعا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها قال هذا اللؤلؤ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتأكلوا منه لحما طريا يعنى حيتان البحر حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا حماد عن يحيى قال ثنا اسمعيل بن عبد الملك قال جاء رجل الى أبى جعفر فقال هل فى حلى النساء صدقة قال لا هى كما قال الله تعالى حلية تلبسونها وترى الفلك يعنى السفن مواخر فيه وهى جمع ماخرة * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله مواخر فقال بعضهم مواخر المواقر ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال المواقر * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة عن أبى بكر الاصم عن عكرمة فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء فهو المواخر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن عكرمة فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال هى السفينة تقول بالماء هكذا يعنى تشقه * وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن اسمعيل عن أبى صالح وترى الفلك مواخر فيه قال تجرى فيه متعرضة * وقال آخرون فيه بما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وترى الفلك مواخر فيه قال تمخر السفينة الرياح ولا تمخر الريح من السفن الا الفلك العظيم حدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه غير أن الحارث قال فى حديثه ولا تمخر الرياح من السفن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مواخر قال تمخر الريح * وقال آخرون فيه ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وترى الفلك مواخر فيه تجرى بريح واحدة مقبلة ومدبرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تجرى مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن ابراهيم قال سمعت الحسن وترى الفلك مواخر فيه قال مقبلة ومدبرة بريح واحدة والمخر فى كلام العرب صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها وهو فى هذا الموضع صوت جرى السفينة بالريح اذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها يقال منه مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا وهو ماخرة ويقال امتخرت الريح وتمخرتها اذا انظرت من أين هبوبها وسمعت صوت هبوبها ومنه قول واصل مولى ابن عيينة كان يقال اذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح برد بذلك لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا يرجع عليه البول ورده عليه وقوله ولتبتغوا من فضله يقول تعالى ذكره ولتتصرفوا فى طلب معايشكم بالتجارة سخر لكم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتبتغوا من فضله قال تجارة البر والبحر وقوله ولعلكم تشكرون يقول وتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك وسخر لكم

الارواح والاشباح فى احالة أفاعيله الى غيره خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعى الشركة معه فى الوجود والافاعيل والانعام أى الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دف ء لانها المودعة فى جبلتكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة بدل ما يتحلل ولكم فيها جمال فى أوقات الفترات وأزمنة الاستراحات وتحمل أثقال أرواحكم وهى اعباء الامانة الى بدر عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم

ما سخر من هذه الاشياء التى عددها فى هذه الآيات ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون) يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا ان ألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وهى جمع راسية وهى الثوابت فى الارض من الجبال وقوله أن تميد بكم يعنى أن لا تميد بكم وذلك كقوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى أن لا تضلوا وذلك انه جل ثناؤه أرسى الارض بالجبال لئلا تميد خلقه الذى على ظهرها وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تبارك وتعالى لما خلق الارض جعلت تمود قالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فاصبحت ضحى وفيها رواسيها حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن عبد الله بن حبيب عن على بن أبى طالب قال لما خلق الله الارض قصت وقالت أى رب أتجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويجعلون على الخبث قال فارساى الله عليها من الجبال ما ترون وما لا ترون فكان اقرارها كاللحم بين جرح والميد هو الاضطراب والتكفى يقال مادت السفينة تميد ميدا اذا تكفأت بأهلها ومالت ومنه الميد الذى يعترى راكب البحر وهو الدوار ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تميد بكم أن تكفأ بكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن فى قوله وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم قال الجبال أن تميد بكم قال قتادة سمعت الحسن يقول لما خلقت الارض كادت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فاصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقوله وأنهارا يقول وجعل فيها أنهارا فعطف بالانهار على الرواسى وأعمل فيها ما أعمل فى الرواسى اذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه وذلك نظير قول الراجز

تسمع فى أجوافهن صورا * وفى اليدين جشة وبدرا

والجشة اليبس فعطف بالجشة على الصوت والجشة لا تسمع اذ كان مفهوما المراد منه وأن معناه وترى فى اليدين جشة وقوله وسبلا وهى جمع سبيل كما الطرق جمع طريق ومعنى الكلام جعل لكم أيها الناس فى الارض سبلا ولججا تسلكونها وتسيرون فيها فى حوائجكم وطلب معايشكم رحمة بكم ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالا وحيرة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبلا أى طرقا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبلا قال طرقا وقوله لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا بهذه السبل التى جعلها لكم فى الارض الى الاماكن التى تقصدون والمواضع التى تريدون فلا تضلوا وتحيروا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) اختلف أهل التأويل فى المعنى بالعلامات فقال بعضهم عنى بها معالم الطرق بالنهار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعلامات وبالنجم هم يهتدون يعنى بالعلامات معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون بالليل * وقال آخرون عنى بها النجوم ذكر

اذا أفنيتم أنفسكم فى جبروته يبقيكم ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير أى صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى مستقره الذى أهبط منه ويخلق فيكم حينئذ ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعى وانها جائر يعنى نفوسكم تميد عن الغناء وبذل الوجود هو الذى أنزل من سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشى نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الجيدة وأعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وماذر أ لكم فى أرض جبلتكم من الاستعدادات يتلون فى كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعانى فتلبسوا بها أرواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع والمذاهب جوارى فى بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة وألقى فى أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى أفمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه

من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الاطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من أداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من أداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيأ من المنافع وهم يخلقون بتعب الطلب في تحصيلها ولهذا قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثها دواعي البشرية فالذين لا يؤمنون بالآخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله حسبي (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تاتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم من ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه

من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامة ومنها ما يهتدى به **حدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله قال المثنى قال اسحق خالف قبيصة وكيعا في الاسناد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون والعلامات النجوم وان الله تبارك وتعالى انما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعلامات قال النجوم * وقال آخرون عنى بها الجبال ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي وعلامات قال الجبال * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه انعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم ولجاج سبلهم فداخل في قوله وعلامات والطرق المسبولة الموطوءة علامة للناحية المقصودة والجبال علامات يهتدى بها الى قصد السبيل وكذلك النجوم بالليل غير ان الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار اذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله وبالنجم هم يهتدون واذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه وهو ان العلامات معالم الطرق وأمارتها التي يهتدى بها الى المستقيم منها نهارا وان يكون النجم الذي يهتدى به ليلا هو الجدي والفرقدان لان بهما اهتداء السفر دون غيرهما من النجوم فتأويل الكلام اذا وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم في أسفاركم ونجوما تهتدون بها ليلا في سبلكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره لعبدة الاوثان والاصنام أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وننعم عليكم هذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيأ ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة فيقول أتشركون هذا في عبادة هذا يعرفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لانفسهم وقلة شكرهم لان أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم لا يحصيها أحد غيره قال لهم جل ثناؤه موبخهم أفلا تذكرون أيها الناس يقول أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها وانها لا تجلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها واقراركم لها بالالوهة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والله هو الخالق الرازق وهذه الاوثان التي تعبدون من دون الله تخلق ولا تخلق شيأ ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا قال الله أفلا تذكرون وقيل كمن لا يخلق هو الوثن والصنم ومن لذوي التمييز خاصة فجعل في هذا الموضع لغيرهم للتمييز اذ وقع تفصيلا بين من يخلق ومن لا يخلق وحكي عن العرب اشتباه على الراكب وجهلها ما أدري

الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) القرا ات شركائي مثل هداى زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرأ الخزاز عن هبيرة شركائي الذين مرسلة الياء الباقون بفتح الياء وكذلك في الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفاهم ومابعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع * الوقوف ربكم لان مابعده جواب اذا الاولين ه لا تتعلق اللام يوم القيامة لان قوله ومن أوزار مفعول ليحملوا بغير علم ط ما يزرون ه لا يشعرون ه فيهم ط الكافرين ه لابناء على أن مابعده صفة أنفسهم ص لطول الكلام من سوء ط يعملون ه خالدين ه فيها ط المتكبرين ه نصف الجزء أنزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين ه لا لان مابعده بدل يشاؤون ط المتقين ه طيبين ه لان مابعده حال آخر سلام عليكم لان قوله ادخلوا مفعول يقولون يعملون ه أصروبك ط من قبلهم ط يظلمون ه يستهزؤن ه من شئ ط الثاني ط من قبلهم ج للاستفهام مع الفاء البين ه الطاغوت ج

من ذا من حيث جمعا وأخذهما انسان حسنت من فيهما جميعا ومنه قول الله عز وجل فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا أداء شكرها ان الله لغفور رحيم يقول جل ثناؤه ان الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك اذا تبتم وأنبتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الانابة اليه والتوبة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) يقول تعالى ذكره والله الذي هو الهكم أيها الناس يعلم ما تسرون في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به يوم القيامة المحسن منكم باحسانه والمسيء منكم باساءته ومسائلكم عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم منها التي أحصيتم والتي لم تحصوا وقوله والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون يقول تعالى ذكره وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيأ وهي تخلق فكيف يكون الها ما كان مصنوعا مدبرا لانملك لانفسها نفعا ولا ضرا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش والذين تدعون من دون الله أيها الناس أموات غير أحياء وجعلها جل ثناؤه أمواتا غير أحياء اذ كانت لا أرواح فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون وهي هذه الاوثان التي تعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا وفي رفع الاموات وجهان أحدهما أن يكون خبرا للذين والآخر على الاستئناف وقوله وما يشعرون يقول وما تدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث وقيل انما عنى بذلك الكفار انهم لا يدرون متى يبعثون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) يقول تعالى ذكره معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة وافراد الطاعة له دون سائر الاشياء معبود واحد لانه لا تصلح العبادة الا له فافردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ولا تجعلوا معه شريكا سواه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ولا يقرون بالمعاد اليه بعد الممات قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجليل نعمه عليهم وان العبادة لا تصلح الا له والالوهة ليست لشئ غيره وهم مستكبرون يقول وهم مستكبرون عن افراد الله بالالوهة والاقرار له بالوحدانية اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لهذا الحديث الذي مضى وهم مستكبرون عنه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) يعني تعالى ذكره بقوله لا جرم أن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من انكارهم ما ذكرنا من الانباء في هذه السورة واعتقادهم تكبير قولنا الهكم اله واحد واستكبارهم على الله وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه انه لا يحب المستكبرين يقول ان الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا ما دونه من الالهة والانداد كما حدثنا محمد بن عمرو بن علي قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا مسعر عن

لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ه ناصرين ه ايمانهم لان مابعده جواب القسم يموت ط لا يعلمون ه لا لتعلق لام كي كاذبين ه فيكون ه حسنة ط أكبر م لان جواب لو محذوف أي لو كانوا يعلمون ه لما اختاروا الدنيا على الآخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الآخرة متعلقا بشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ه لا بناء على أن الذين صبروا بدل الذين هاجروا

يتوكلون ٭ التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد أراد ان يذكر شبهات منكري النبوة مع أجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى أي شيء أنزله ربكم أو ما مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقديرين فقوله أساطير (٦٠) الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذي أنزله ربنا أساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كلام مستأنف أي ليس ما تدعون انزاله منزلا بل هو أساطير الاولين وقال في الكشاف معناه المنزل أساطير الاولين وذكر في دفع التناقض انه على السخرية كقوله ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا ولم يقرأ به واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الاولين وأباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا أن القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيأ وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة وكلما

رجل ان الحسن بن علي كان يجلس الى المساكين ثم يقول انه لا يحب المستكبرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين ماذا أنزل ربكم أي شيء أنزل ربكم قالوا الذي أنزل ماسطره الاولون من قبلنا من الاباطيل وكان ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين وباطلهم قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاذا مر بهم أحد من المؤمنين يريد نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لهم أساطير الاولين يريد أحاديث الاولين وباطلهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) يقول تعالى ذكره يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم ماذا أنزل ربكم الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه أساطير الاولين لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم بالله وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ذنوب الذين يصدونهم عن الايمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم وقوله ألا ساء ما يزرون يقول الا ساء الاثم الذي يأثمون والثقل الذي يحملون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار من أضلوا أعمالهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ حدثنا الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو الا أنه قال ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم وسائر الحديث مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم قال حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة أي ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم يقول يحملون ذنوبهم وذلك مثل قوله وأثقالا مع أثقالهم يقول يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء حدثني المثنى قال أخبرنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن رجل قال قال زيد بن أسلم انه بلغه أنه يمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنتنه ريحا فيجلس الى جنبه كلما أفزعه شيء زاده

قال الواحدي لفظة من في قوله ومن أوزار الذين ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض أوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء أي ليحملوا ما قد نشأ من أوزار الاتباع أو للبيان

أى ليحملوا ماهو من جنس أوزارتبعهم ومعنى بغير علم ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال فى الكشاف بغير علم حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل ثم (٦١) أوعدهم بما هو النهاية فى التهديد فقال ألا ساء ما يزرون وزرهم ثم حكى حال اضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى أن المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل أهلها فاهب الله عليه الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وألقت رأس الصرح فى البحر فاحدث نمرود وتبلبلت يومئذ ألسن الناس من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والاصح ان الآية عامة فى جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله أى أمره وحكمه بنيانهم من القواعد وهى أساطين البناء التى يعمده والاساس انه أسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على أن الابنية تهدمت وهم ماتوا تحتها وعلى الثانى يكون الكلام محض التمثيل والمراد انهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك الحيل كحيل قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لاخيه فقد وقع فيه وبعبارة أخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ أين شركائى الاضافة لادنى الملابسة أو هى حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومن قرأ بكسر النون فعلى حذف ياء المتكلم لان مشاقة المؤمنين

وكلما تخوف شيأ زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول وما تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك كان قبيحا فلذلك ترانى قبيحا وكان منتنا فلذلك ترانى منتنا طالما ركبتنى فى الدنيا فيركبه وهو قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يقول تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله فراموا مغالبة الله ببناء بنوه يريدون بزعمهم الارتفاع الى السماء لحرب من فيها وكان الذى رام ذلك فيما ذكر لنا جبار من جبابرة النبط فقال بعضهم هو نمرود بن كنعان وقال بعضهم هو بختنصر وقد ذكرت بعض أخبارهما فى سورة ابراهيم وقيل ان الذى ذكر فى هذا الموضع هو الذى ذكره الله فى سورة ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أمر الذى حاج ابراهيم فى ربه بابراهيم فاخرج يعنى من مدينته قال فاخرج فلقى لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه فدعاه فآمن به وقال انى مهاجر الى ربى وحلف نمرود يطلب اله ابراهيم فاخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور فربأهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن واستعلجن فربطهن فى تابوت وقعد فى ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم فطرن حتى اذا ذهبن فى السماء أشرف ينظر الى الارض فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ثم رفع لهن اللحم ثم نظر فرأى الارض محيطا بها بحر كانه فلكة فى ماء ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع فالقى اللحم فاتبعته منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعت خفيقهن فزعت الجبال وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وهى فى قراءة ابن مسعود وان كاد مكرهم فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به فى جبل الدخان فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ فى بنيان الصرح فبنى حتى اذا شيده الى السماء ارتقى فوقه ينظر بزعمه الى اله ابراهيم فاحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول من مأمنهم وأخذهم من أساس الصرح فتنقض بهم فسقط فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وانما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد قال هو نمرود حين بنى الصرح حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم ان أول جبار كان فى الارض نمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق أرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذى كان بنى صرحا الى السماء وهو الذى قال الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأما قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد فان معناه هدم الله بنيانهم من أصله والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس وكان بعضهم يقول هذا مثل لا استئصال وانما معناه ان الله استأصلهم وقال العرب تقول ذلك اذا استؤصل الشئ وقوله فخر عليهم السقف من فوقهم ❁ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه فخر عليهم السقف من

مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستئناف قال الذين أوتوا العلم عن ابن عباس هم الملائكة وقال الآخرون هم الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يفتئون اليهم فيقولون ذلك يوم القيامة شماتة بهم قالت الرجئة قولهم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يدل على أن ماهية الخزى والسوء مختصة بالكافرين فينتفى عن غيرهم أما قوله فالقوا السلم فعن ابن عباس المراد انهم أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه فى يوم القيامة وقولهم ما كنا نعمل من سوء أرادوا الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة قال أرادوا فى اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم أولو العلم أو الملائكة بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فى الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذى علمه منكم قال فى الكشاف وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب جهنم وفى ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم فى دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء والفاء العطف على فاء التعقيب فى فادخلوا واللام للتأكيد يجرى مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لهما فى كل القرآن ثم اتبع أوصاف الاشقياء أحوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الآية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا بينا من غير لبس أى أنزل خيرا أو قالوا خيرا الاشارة كما قاله الكفار أو قالوا قولا خيرا ولو رفعوا لاوهم انه كلام مستأنف كما فى جواب الكفار وليس بمنزل روى ان أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف كما مر فكان الوافد يقول كيف أرجع الى قومى دون ان أستطلع أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأراه فيلقى أصحاب

فوقهم أعالى بيوتهم من فوقهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد أى والله لاتاهم أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف أعالى البيوت فانتفكت بهم بيوتهم فاهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فخر عليهم السقف من فوقهم قال أتى الله بنيانهم من أصوله فخر عليهم السقف **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاتى الله بنيانهم من القواعد قال مكر نمرود بن كنعان الذى حاج ابراهيم فى ربه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون عنى بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم ان العذاب أتاهم من السماء ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فخر عليهم السقف من فوقهم يقول عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك تساقطت عليهم سقوف بيوتهم اذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله فانتفكت بهم منازلهم لان ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف وتوجيه معانى كلام الله الى الاشهر الاعرف منها أولى من توجيهها الى غير ذلك ما وجد اليه سبيل وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول تعالى ذكره وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل قريش عذاب الله من حيث لا يدرون انه أتاهم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يقول تعالى ذكره فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم بما فعل بهم فى الدنيا من تعجيل العذاب لهم والانتقام بكفرهم وجحودهم وحدانيته ثم هو مع ذلك يوم القيامة يخزيهم فيذلهم بعذاب أليم وتماثل لهم عند ورودهم عليه أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم أصله من شاقنى فلانا فهو يشاقنى وذلك اذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه يقول تعالى ذكره يوم القيامة تعريفا للمشركين بعبادتهم الاصنام أين شركائى يقول أين الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شركائى اليوم مالهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب فقد كنتم تعبدونهم فى الدنيا وتتولونهم والولى ينصر وليه وكانت مشاقتهم الله فى أوثانهم مخالفتهم اياه فى عبادتهم **كحدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم يقول تخالفونى وقوله قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يعنى الذلة والهوان والسوء يعنى عذاب الله على الكافرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته الذين تتوفاهم الملائكة يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة ظالمى أنفسهم يعنى وهم على كفرهم وشركهم بالله وقيل انه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر وقد أخرج اليها كرها **حدثنى** المثنى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز فى الكشاف أن يكون للذين أحسنوا وما بعده بدلا من خيرا كأنه فسر الخير بهذا القول وجوز فى الكشاف أن يكون كلاما مبتدأ على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم

أما قوله في هذه الدنيا فاما أن يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاؤا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الآخرة حسنة هي الثواب العظيم أو المضاعف الى سبعمائة أو أكثر واما أن يتعلق بما بعده والتقدير الذين أحسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح والثناء أو بالظفر على أعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد له أو بفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات (٦٣) والحاصل ان لهم في الدنيا مكافاة باحسانهم ولدار الآخرة خير منها ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن أي هي هذه فيكون المبتدأ محذوفا أو الجنات مبتدأ وما بعدها خبر أو جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجري من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله لهم فيها ما يشاؤن أبلغ من قوله في موضع آخر فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا في الجنة وقوله الذين تتوفيهم الملائكة أكثر المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله طيبين أي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي أو دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل أنواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت دليله قوله يقولون سلام عليكم روي انه اذا أشرف العبد المؤمن جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام و يبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة أخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك الا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك و يحتمل أن يقال انهم لما طعنوا في القرآن بانه أساطير الاولين أوعدهم الله تعالى بما أوعدهم به في وصف القرآن

قال أخبرنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهري قال ثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال كان ناس بمكة أقروا بالاسلام ولم يهاجروا فاخرج بهم كرها الى بدر فقتل بعضهم فانزل الله فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقوله فالقوا السلم يقول فاستسلموا لامره وانقادوا له حين عاينوا الموت فنزل بهم ما كنا نعمل من سوء وفي الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه بما دل عليه الكلام عن ذكره وهو قالوا اما كنا نعمل من سوء يخبر عنهم بذلك انهم كذبوا وقالوا اما كنا نعصي الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء ان ينجوا بذلك فكذبهم الله فقال بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله ان الله عليم بما كنتم تعملون يقول ان الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه وتأتون فيها ما يسخطه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم ما كنا نعمل من سوء ادخلوا أبواب جهنم يعني طبقات جهنم خالدين فيها يعني ماكثين فيها فلبئس مثوى المتكبرين يقول فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقر بربوبيته و يصدق بوحدانيته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) يقول تعالى ذكره وقيل للفريق الآخر الذين هم أهل ايمان وتقوى لله ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يقول قالوا أنزل خيرا وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول انما اختلف الاعراب في قوله قالوا أساطير الاولين وقوله خيرا والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة وهي قوله ماذا أنزل ربكم لان الكفار جحدوا التنزيل فقالوا حين سمعوه أساطير الاولين أي هذا الذي جئت به أساطير الاولين ولم ينزل الله منه شيأ وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل فقالوا خيرا بمعنى انه أنزل خيرا فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير فلهذا افترقا ثم ابتدأ الخبر فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله وأطاعوه فيها ودعوا عباد الله الى الايمان والعمل بما أمر الله به حسنة يقول كرامة من الله ولدار الآخرة خير يقول ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا وكرامة الله التي أعدها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يقول ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه باداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وهم لك مؤمنون فيقال لهم ماذا أنزل ربكم فيقولون خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين) يعني تعالى ذكره بقوله جنات عدن بساتين للمقام وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن اعادته يدخلونها يقول يدخلون جنات عدن وفي رفع جنات أوجه ثلاثة أحدها أن يكون مرفوعا على الابتداء والآخر بالعائد من الذكر في قوله يدخلونها والثالث على أن يكون خبرا لنعم فيكون المعنى اذا جعلت خبرا لنعم ولنعم دار المتقين جنات عدن و يكون يدخلونها في موضع حال كم

بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان أولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد أو لقبض الارواح أو أتاهم أمر ربك وهو العذاب المستأصل أو القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه أنزل (٦٤) بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا أي جزاء سيئات أعمالهم أو هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم أي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكري النبوة أنهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الآية وقدمر تفسيره مثلها في آخر سورة الانعام وذكرنا أسرار المتشابه هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال آخرون انه سبحانه أجاب عن شبهتهم وهي انه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعني أنهم اعترضوا على أحكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين أي ما عليهم الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه أكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا الى قومه ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان أمر الله قد لا يوافق ارادته فانه يأمر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو أرادها للكل لم يكفر أحد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خص الخطاب قائلا لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل لا رشد أحدا أضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا تقدر أنت ولا أحد على هداية من أضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان أول الآية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة أما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى آخر الآيات فانهم قد صاروا فيه الى التأويل

يقال نعم الدار دار تسكنها أنت وقد يجوز أن يكون اذا كان الكلام بهذا التأويل يدخلونها في مثله ٧ جنات عدن وقوله تجري من تحتها الانهار يقول تجري من تحت أشجارها الانهار لهم فيها ما يشاؤن يقول للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاؤن مما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم كذلك يجزي الله المتقين يقول كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصفت لكم أيها الناس انه جزاهم به في الدنيا والآخرة كذلك يجزي الذين اتقوه باداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره كذلك يجزي الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله وهم طيبون بتطييب الله اياها بنظافة الايمان وطهر الاسلام في حال حياتهم وحال مماتهم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قال أحياء وأموانا قد رأى الله ذلك لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله يقولون سلام عليكم يعني جل ثناؤه ان الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهي تقول لهم سلام عليكم صيروا الى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة كما حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرأ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الى آخر الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله فسلام لك من أصحاب اليمين قال الملائكة يأتونهم بالسلام من قبل الله وتخبره انه من أصحاب اليمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الاشب أبو علي عن أبي رجاء عن محمد بن مالك عن البراء قال قوله سلام قولا من رب رحيم قال يسلم عليه عند الموت وقوله بما كنتم تعملون يقول بما كنتم تصيبون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله وطلب مرضاته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره هل ينتظر هؤلاء المشركون الا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم يقول جل ثناؤه كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم أو اتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله لان ذلك في كل مشرك بالله وما ظلمهم الله باحلال سخطه بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم وكفرهم به حتى استحقوا عقابه فحل لهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة بالموت وقال في آية أخرى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وهو ملك الموت وله رسل قال الله تعالى أو يأتي أمر ربك وذاكم يوم القيامة حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين تتوفاهم أو يأتي أمر ربك ذلك يوم القيامة ۞ القول في تأويل

قوله

فقالوا معناه ان متقدميهم أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم أسندوه الى الله فهل على الرسل الا أن يبلغوا الحق وان الله برىء من الظلم وخلق القبائح والمنكرات ومامن أمة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه من أهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرفه مصمما على الكفر أو المراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لظهور ضلاله ومنهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من أضله عنها فسيروا فى الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا أقدر الشر ولا أشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال آيات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم فى الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم أى أغلاظ الايمان كما مر فى المائدة كأنهم ادعوا عليا ضرورة بان الشىء اذا فنى وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا آخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فاجاب الله عن شبهتهم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى أى وعدا البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون أو أن وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال ليبين أى يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذى اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصى والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم أن يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا أى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب فى ادعاء الشريك له وفى قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا

قوله تعالى (فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره فاصاب هؤلاء الذين فعلوا من الامم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا يعنى عقوبات ذنوبهم ونقم معاصيه التى اكتسبوها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزؤن منه ويسخرون عند انذارهم ذلك رسل الله ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الايمان بالله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يقول تعالى ذكره وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الاوثان والاصنام من دون الله ما نعبد هذه الاصنام الا لان الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب الا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه لو لا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته ايانا الى غيره من الافعال يقول تعالى ذكره كذلك فعل الذين من قبلهم من الامم المشركة الذين استن هؤلاء سننهم فقالوا مثل قولهم وسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسل الله واتباع أفعال آبائهم الضلال وقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين يقول جل ثناؤه فهل أيها القائلون لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم الا البلاغ المبين يقول الا أن تبلغكم ما أرسلنا اليكم من الرسالة ويعنى بقوله المبين الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ويفهمه من أرسل اليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يقول تعالى ذكره ولقد بعثنا أيها الناس فى كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بان اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة واجتنبوا الطاغوت يقول وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا فمنهم يقول فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله فوفقه لتصديق رسله والقبول منها والايمان بالله والعمل بطاعته ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة يقول وممن بعثنا رسلنا اليه من الامم آخرون حقت عليهم الضلالة فجاروا عن قصد السبيل فكفروا بالله وكذبوا رسله واتبعوا الطاغوت فاهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول تعالى ذكره لمشركى قريش ان كنتم أيها الناس غير مصدقى رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الامم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله فسيروا فى الارض التى كانوا يسكنونها والبلاد التى كانوا يعمرونها فانظروا الى آثار الله فيهم وآثار سخطه النازل بهم كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم فانكم تروون حقيقة ذلك وتعلمون به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين الى الايمان بالله واتباع الحق فان الله لا يهدى من يضل * اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين فان الله لا يهدى من يضل بفتح الياء من يهدى وفتحها من يضل وقد اختلف فى معنى ذلك قارئوه كذلك فكان بعض نحوى الكوفة يزعم ان معناه فان الله من أضله لا يهتدى وقال العرب تقول قد هدا الرجل يريدون قد اهتدى وهدى واهتدى بمعنى واحد

حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول وقد فسرنا مثل هذه الآية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا تتوقف آثار قدرته الاعلى مجرد الارادة والمشيئة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو أهون من الابداء قال فى الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت ولا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه فى جواب الامر بعد الفاء وقد مر فى البقرة احتجاج بعض الاشاعرة بالآية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى أن يقال له كن ثم الكلام فى هذا اللفظ كالكلام فى الاول وتسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا ليس مثلا وان ثم قولا ان اذا لا تفيد التكرار فلا يلزم فى كل ما يحدثه الله تعالى أن يقول له كن وكيف يتصور أن تكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه يقتضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله أن نقول ثم ان كلمة كن متقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فتلخص من هذه الدلائل أن الكلام المسموع لابد أن يكون محدثا هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم أن يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا والذين هاجروا فى الله أى فى حقه وسبيله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا مثوبة حسنة أو مباءة حسنة هى المدينة أراهم أهلها وانصروهم قاله الحسن والشعبى وقتادة وقيل لننزلهم منزلة حسنة هى الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على أهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الآية فى جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم

وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه فان الله لا يهتدى من أضله بمعنى ان من أضله الله فان الله لا يهديه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة فان الله لا يهدى بضم الياء من يهدى ومن يضل وفتح الدال من يهدى بمعنى من أضله الله فلا هادى له وهذه القراءة أولى القراءتين عندى بالصواب لان يهدى بمعنى يهتدى قليل فى كلام العرب غير مستفيض وانه لا فائدة فى قول قائل من أضله الله فلا يهديه لان ذلك مما لا يجهله كثير أحد واذ كان ذلك كذلك فالقراءة بما كان مستفيضا فى كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى بتاويل الكلام لو كان الامر على ما وصفنا ان تحرص يا محمد على هداهم فان من أضله الله منهم فلا هادى له فلا تجهد نفسك فى أمره وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة وما لهم من ناصرين يقول وما لهم ناصر ينصرهم من الله اذا أراد عقوبتهم فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم وفى قوله ان تحرص لغتان فمن العرب من يقول حرص يحرص بفتح الراء فى فعل وكسرها فى يفعل وحرص يحرص بكسر الراء فى فعل وفتحها فى يفعل والقراءة على الفتح فى الماضى والكسر فى المستقبل وهى لغة أهل الحجاز ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهد أيمانهم حلفهم لا يبعث الله من يموت بعد مماته وكذبوا وبطلوا فى أيمانهم التى حلفوا بها كذلك بل سيبعث الله بعد مماته وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده والله لا يخلف الميعاد ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت تكذيبا بامر الله أو بامرنا فان الناس صاروا فى البعث فرقتين مكذب ومصدق ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس ان ناسا بهذا العراق يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون هذه الآية فقال ابن عباس كذب أولئك انما هذه الآية للناس عامة ولعمرى لو كان على مبعوثا قبل يوم القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال ابن عباس ان رجالا يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال لو كنا نعلم أن عليا مبعوث ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ولكن هذه للناس عامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن أبى بيسع فى قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال حلف رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين فقال والذى يرسل الروح من بعد الموت فقال وانك لتزعم انك مبعوث من بعد الموت وأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذى أرجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك انك تزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت فانزل الله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عطاء بن أبى رباح انه أخبره انه سمع أبا هريرة

وان كنت عليكم لم أضركم فاقتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر ثم العبد صهيب فلم يخف الله لم يعصه أما الضمير فى قوله لو كانوا يعلمون فاما أن يرجع الى الكفار أى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا فى دينهم واما أن يعود الى المهاجرين أى لو علموا ان أجر الآخرة أكبر لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا على هم الذين أو أعنى الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة فى سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو آخر الطريق والله ولى التوفيق فان العارفين بالصبر سارو او بالتوكل طاروا ثم فى الله حاروا حسبى الله ونعم الوكيل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو

هريرة يقول قال الله سبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يسبنى وكذبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذبنى فاما تكذيبه اياى فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال قلت لى وعداعليه حقا وأما سبه اياى فقال ان الله ثالث ثلاثة قلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يقول تعالى ذكره بل ليبعثن الله من يموت وعدا عليه حقا ليبين لهؤلاء الذين يزعمون ان الله لا يبعث من يموت ولغيرهم الذى يختلفون فيه من احياء الله خلقه بعد فنائهم وليعلم الذين جحد واصحة ذلك وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين فى قيلهم لا يبعث الله من يموت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليبين لهم الذى يختلفون فيه قال للناس عامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يقول تعالى ذكره انا اذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب فى احيائنا هم ولا فى غير ذلك مما نخلق ونكون ونحدث لانا اذا أردنا خلقه وانشاءه فانما نقول له كن فيكون لا معاناة فيه ولا كلفة علينا واختلفت القراء فى قراءة قوله يكون فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء وعلى أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن كلام تام مكتف بنفسه مما بعده ثم يبتدأ فيقال فيكون كما قال الشاعر * يريد أن يعربه فيجمه * وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين فيكون نصبا عطفا على قوله أن نقول له وكان معنى الكلام على مذهبهم ما قولنا لشئ اذا أردناه الا أن نقول له كن فيكون وقد حكى عن العرب سماعا أريد ان آتيك فيمنعنى المطر عطفا بيمنعنى على ان آتيك وقوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم فى الله على كفرهم الى آخرين غيرهم من بعد ما ظلموا يتول من بعد ما نيل منهم فى أنفسهم بالمكاره فى ذات الله لنبوأنهم فى الدنيا حسنة يقول لنسكننهم فى الدنيا مسكنا يرضونه صالحا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم قال هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين حدثت عن القاسم بن سلام قال ثنا هشيم عن داود بن أبى هند عن الشعبى لنبوأنهم فى الدنيا حسنة قال المدينة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة قال هم قوم هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم وظلمهم الشرك * وقال آخرون عنى بقوله لنبوأنهم فى الدنيا حسنة لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لنبوأنهم لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى الحارث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن

العزيز الحكيم) القراء نوحي بالنون حفص غير الخزاز والباقون بالياء مجهولا ألم ثر وابناء الخطاب حمزة وعلي وخلف يثيبهم بثاء الثانيث أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون على الغيبة * الوقوف لا يعلمون ه لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ه لا يشعرون ه لا للعطف بمعجزين ه لا كذلك على تخوف ط للفصل (٦٨) بين الاستخبار والاخبار رحيم ه داخرون ه لا يستكبرون ه مايؤمرون ه سجدا اثنين ج للابتداء بانما مع اتحاد القائل واحد ج للعدول مع الفاء فارهبون ه واصبا ط يتقون ه يجأرون ه ج لان ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ه لا لتعلق لام كي آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف يعلمون ه رزقناهم ط تفترون ه سبحانه لان مابعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ه كظيم ج لاحتمال أن مابعده وصف لكظيم أو استئناف مابشر به ط لان التقدير متفكر في نفسه المسألة في التراب ط مايحكمون ه السوء ج لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الاعلى ط الحكيم ه * التفسير الشبهة الخامسة أن قريشا كانوا يقولون الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من أول زمان الخلق والتكليف وزعم أبو علي الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله أراد الملك الذي يرسل الى الانبياء بحضرة أممهم كما روي ان جبرئيل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وانما قيدنا بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى نبيه كما روي أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه نازلوا قوله ولقد رآه نزلة أخرى ثم انهم اتتكم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فامرهم الله أعني قريشا بان يرجعوا في هذه المسألة ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا أهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشتبه عليه واحتج نفاة

العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله في الدنيا وما ذخره لك في الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى لنبوأنهم لنحلنهم ولنسكننهم لان التبوأ في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به ومنه قول الله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق وقيل ان هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا جعفر بن سليمان عن داود بن أبي هند قال نزلت والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الى قوله وعلى ربهم يتوكلون في أبي جندل بن سهيل وقوله ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يقول ولثواب الله اياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر لان ثوابه اياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبيد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله ولاجر الآخرة أكبر أي والله لما يثيبهم الله عليه من حسنة أكبر لو كانوا يعلمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه الذين صبروا في الله على ما نابهم في الدنيا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يثقون في أمورهم واليه يستندون في نوائب الامور التي تنوبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا من قبلك يا محمد الى أمة من الامم للدعاء الى توحيدنا والانتهاء الى أمرنا ونهينا الا رجالا من بني آدم نوحي اليهم وحينا الا ملائكة يقول فلم نرسل الى قومك الا مثل الذي كنا نرسل الى من قبلهم من الامم من جنسهم وعلى منهاجهم فاسئلوا أهل الذكر يقول لمشركي قريش وان كنتم لا تعلمون ان الذين كنا نرسل الى من قبلكم من الامم رجال من بني آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقائم هم ملائكة أي ظننتم ان الله كلمهم قبلا فاسئلوا اهل الذكر وهم الذين قد قرؤا الكتب من قبلهم التوراة والانجيل وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال أهل التوراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله فاسئلوا أهل الذكر قال سمعنا انه من أسلم من أهل التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال هم أهل الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال قال لمشركي قريش ان محمدا في التوراة والانجيل حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فانزل الله أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة

القياس بالآية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس وأجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس لاجماع الصحابة والاجماع أقوى من ظاهر النص أما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وأنكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا يتأخر الى (٦٩) ما بعد الا لان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما أرسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها أن يتعلق برجالا صفة له أي رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما مر الا أخوك ثم تقول مر زيد قاله الفراء ومنها أن يتعلق بيوحى أي يوحى اليهم بالبينات ومنها أن يتعلق بالذكر بناء على انه بمعنى العلم ومنها أن يتعلق بلا تعلمون أي ان كنتم لا تعلمون بالبينات وبالزبر فاسألوا قال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت أرادان عدم علمهم مقرر كما ان عمل الاجير ثابت وسلم جار الله ان مثل قوله فاسألوا جواب الشرط على هذا الوجه وأما على الوجوه المتقدمة فجزم انه اعتراض بناء على أن جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما أرسلناك وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه أن يكون مثل فاسألوا جوابا والله أعلم وأهل الذكر أهل التوراة كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامع لكل ما تتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي تعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال وأنزلنا اليك الذكر أي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبين العناية المترتبة على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدأ والمعاد بالاضافة الى المكلفين وفي ظاهر هذا النص دلالة على أن القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لان

أنتم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال نحن أهل الذكر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال الذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقرأ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الآية * القول في تأويل قوله تعالى (بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) يقول تعالى ذكره أرسلنا بالبينات والزبر رجالا نوحي اليهم فان قال قائل وكيف قيل بالبينات والزبر وما الجالب لهذه الباء في قوله بالبينات فان قلت جالبها قوله أرسلنا وهي من صلته فهل يجوز أن تكون صلة تما قبل الا بعدها وان قلت جالبها غير ذلك فما هو وأين الفعل الذي جلبها قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعضهم الباء التي في قوله بالبينات من صلة أرسلنا وقال الا في هذا الموضع ومع الجحد والاستفهام في كل موضع بمعنى غير وقال معنى الكلام وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال نوحي اليهم ويقول على ذلك ما ضرب الا أخوك زيدا وهل كلم الا أخوك عمرا بمعنى ما ضرب زيدا غير أخيك وهل كلم عمرا الا أخوك ويحتج في ذلك بقول أوس بن حجر

أهل لبنى لستم بيد * الا يد ليست لها عضد

ويقول لو كانت الا بغير معنى غير لفسد الكلام لان الذي خفض الباء قبل الا لا يقدر على اعادته بعد الا لخفض اليد الثانية ولكن معنى الا معنى غير ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله ويقول الا بمعنى غير في هذا الموضع وكان غيره يقول انما هذا على كلامين ربدوما أرسلنا من قبلك الا رجالا أرسلنا بالبينات والزبر قال وكذلك قول القائل ما ضرب الا أخوك زيدا معناه ما ضرب الا أخوك ثم يبتدئ ضرب زيدا وكذلك ما من الا أخوك بريدا من الا أخوك ثم يقول من يريد ويستشهد على ذلك ببيت الاعشى

وليس مجيرا ان أتى الحي خائف * ولا قائل الا هو المتعيبا

ويقول لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ لان المتعيبا من صلة القائل ولكن جاز ذلك على كلامين وكذلك قول الآخر

بنبهم عذبوا بالنار جارهم * وهل يعذب الا الله بالنار

فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر والبينات هي الادلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به اليهم من عند الله والزبر هي الكتب وهي جمع زبور من زبرت الكتاب وزبرته اذا كتبته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بالبينات والزبر قال الزبر الكتب حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالبينات والزبر قال الآيات والزبر الكتب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الزبر الكتب حدثت عن

القرآن مجمل والخبر مبين له وأجيب بمنع الكلية فمن القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما أنزل الله عليه من الاحكام بل كان له أن يفوض بعضها الى رأى القائس وأجيب بانه لما بين أن القياس من جملة الحجج فالقياس أيضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع أجوبتها شرع فى التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال أفأمن الذين مكروا السيئات أى المكرات السيئات أراد أهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبى عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والاقرب ان المراد سعيهم فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وايذاء أصحابه على الحقيقة أن يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون أو ياتيهم العذاب أو ملائكة العذاب من السماء من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط أو ياخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين فائتين الله وذكر المفسرون فى هذا التقلب وجوها منها انه تعالى ياخذهم فى أسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على أن يهلكهم فى السفر كما انه قادر على أن يهلكهم فى الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم فى البلاد البعيدة ومنها انه يأخذهم بالليل والنهار فى أحوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم او حقيقته فى حال تصرفهم فى الامور التى يتصرف فيها أمثالهم ومنها انه أراد فى حال ما يتقلبون فى قضاء أوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور أو ياخذهم على تخوف على حالة تخوفهم ونوقعهم للبلاء بان يكون قد أهلك قوما قبلهم فكان أثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون يعنى وقيل التخوف التنقص والمعنى انه ياخذهم بطريق النقص شيأ بعد شئ فى ديارهم وأموالهم وأنفسهم حتى يأتى الفناء على الكل عن عمر انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم

الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله و بالزبر يعنى بالكتب وقوله وأنزلنا اليك الذكر يقول وأنزلنا اليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم لتبين للناس يقول لتعرفهم ما أنزل اليهم من ذلك ولعلهم يتفكرون يقول وليتذكروا فيه ويعتبروا به بما أنزلنا اليك وقد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثورى قال قال مجاهد ولعلهم يتفكرون قال يطيعون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أفامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يقول تعالى ذكره أفامن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركى قريش الذين قالوا اذ قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين صدا منهم لمن أراد الايمان بالله عن قصد السبيل أن يخسف الله بهم الارض على كفرهم وشركهم أو ياتيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به ولا يدرى من أين ياتيه وكان مجاهد يقول عنى بذلك نمرود بن كنعان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض الى قوله أو ياخذهم على تخوف قال هو نمرود بن كنعان وقومه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى قلناه فى تاويل ذلك لان ذلك تهديد من الله أهل الشرك به وهو عقيب قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فكان تهديد من لم يقر بحجة الله الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الخبر عن انقطع ذكره عنه وكان قتادة يقول فى معنى السيئات فى هذا الموضع ما **حدثنا** به بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفامن الذين مكروا السيئات أهل الشرك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أو ياخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم) يعنى تعالى ذكره بقوله أو ياخذهم فى تقلبهم أو يهلكهم فى تصرفهم فى البلاد وتردهم من أسفارهم فما هم بمعجزين يقول جل ثناؤه فانهم لا يعجزون الله من ذلك ان أراد أخذهم كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو ياخذهم فى تقلبهم يقول فى اختلافهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو ياخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين قال ان شئت أخذته فى سفره **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو ياخذهم فى تقلبهم فى أسفارهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وقال ابن جريج فى ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو ياخذهم فى تقلبهم قال التقلب ان ياخذهم بالليل والنهار وأما قوله أو ياخذهم على تخوف فانه يعنى أو يهلكهم بتخوف وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم يقال منه تخوف مال فلان الانفاق اذا انتقصه ونحو تخوفه من التخوف بمعنى التنقص قول الشاعر

تخوف السير منها تامكا قودا ✽ كما تخوف عود البيعة السفن

شاعر نازهير تخوّف الرجل منها تامكا قردا * كما تخوّف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا أى سنامامر تفعامتراكبا والسفن ما ينحت به الشئ ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء بالمر فى البحر فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله فان ربكم لرؤف رحيم فذهب المفسرون (٧١) الى أن معناه انه يمهل فى أكثر الامر لانه رؤف رحيم

يعنى بقوله تخوف السير بنقص سنامها وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدى انه كان يقول هى لغة لازد شنوءة معروفة لهم ومنه قول الآخر

تخوف عدوهم مالى وأهدى * سلاسل فى الحلوق لها صليل

وكان الفراء يقول العرب تقول تحوّفته أى تنقصته تحوّفا أى أخذته من حافاته وأطرافه قال فهذا الذى سمعه وقد أتى التفسير بالحاء وهو بمعنى قال ومثله ما قرئ بوجهين قوله ان لك فى النهار سبحا وسبحا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن ابراهيم بن عامر بن مسعود عن رجل عن عمر انه سألهم عن هذه الآية أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوّف فقالوا ما نرى الا أنه عند نقص ما يرده من الآيات فقال عمر ما أرى الا أنه على ما ينتقصون من معاصى الله قال فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقى اعرابيا فقال يا فلان ما فعل ربك قال قد تخيفته يعنى انتقصته قال فرجع الى عمر فاخبره فقال قد علم الله ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذته على أن ترموت صاحبه وتخوف بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس على تخوف قال التنقص والتقريع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يأخذهم على تخوف على تنقص حدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد على تخوف قال تنقص حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يأخذهم على تخوف فيعاقب أو يتجاوز حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يأخذهم على تخوف قال كان يقال التخوف التنقص ينتقصهم من البلدان من الاطراف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو يأخذهم على تخوف يعنى يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى يعذب القرية ويهلكها ويترك أخرى الى جنبها وقوله فان ربكم لرؤف رحيم يقول فان ربكم ان لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجل لهم وأخذهم بموت وتنقص بعضهم فى أثر بعض لرؤف بخلقه رحيم بهم ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الارض ولم يعجل لهم العذاب ولكن يخوفهم وينقصهم بموت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة أولم يروا بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين أولم تروا بالتاء على الخطاب * وأولى القراءتين عندى بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات لان ذلك فى سياق قصصهم والخبر عنهم ثم عقب ذلك الخبر عن حجة الله عليهم وتركهم النظر فى أدلته والاعتبار بها فتأويل الكلام اذا أولم يرهؤلاء الذين مكروا السيئات الى ما خلق الله من جسم قائم شجرا أو جبلا أو غير ذلك يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يقول يرجع من موضع الى موضع فهو فى أول النهار على حال ثم يتقلص ثم يعود الى حال أخرى فى آخر النهار وكان جماعة من أهل التأويل

فلا يعجل بالعذاب وأقول يحتمل أن يكون قوله فان تعليلا لقوله أفأمن كقوله ما غرك بربك الكريم ولما خوّف الماكرين بما خوّف أتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته فى تدبير أحوال العالم العلوى والسفلى وسكانها فقال أولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما مبهمة بيانه من شئ وقال أهل المعانى قوله يتفيأ ظلاله اخبار عن شئ وليس بوصف له ويتفيأ يتفعل من الفئ وأصله الرجوع ومنه فيئة المولى وقال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرف عنه الشمس والقمر والذى يكون بالغداة ظل وقال ثعلب أخبرت عن أبى عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فىء وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله أضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه واحدا فى اللفظ وان كان كثيرا فى المعنى وهو قوله الى ما خلق ظهره لتستووا على ظهوره أضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد أريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهرى تفيأت الظلال أى تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال أهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه أراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه أراد كلها الا ان قوله ما خلق الله لفظ مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتى جمع عبرت عن احداهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التى هى مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع فى تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهى كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان أقوى جانبى الانسان يمينه ومنه

تظهر الحركة القوية وكذا جانب الشرق أقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي أسرع الحركات وأقواها ويمكن أن يقال ان الانسان اذا توجه الى الشرق الذي هو أولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب أن وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد اذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في جنوب سمت الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل أن يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في هاتين الجهتين والله أعلم أما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال أخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون لانهم أشبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله بجانبي الشئ أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش أي من الدواب وأخبر بالواحد كما تقول ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه علم من آية الظلال ان الجمادات بأسرها

يقولون في اليمين والشمائل ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجد لله أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فآخر النهار **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل قال الغدو والآصال اذا فاءت الظلال ظلال كل شئ بالغدو سجدت لله واذا فاءت بالعشي سجدت لله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يعني بالغدو والآصال تسجد الظلال لله غدوة الى أن يفيء الظل ثم يسجد لله الى الليل يعني ظل كل شئ وكان ابن عباس يقول في قوله يتفيأ ظلاله ما **حدثنا** المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يتفيأ ظلاله يقول تميل واختلف في معنى قوله سجدا لله فقال بعضهم ظل كل شئ سجوده ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يتفيأ ظلاله قال ظل كل شئ سجوده **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازي عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك تتفيأ ظلاله قال سجد ظل المؤمن طوعا وظل الكافر كرها * وقال آخرون بل عنى بقوله تتفيؤ ظلاله كلا عن اليمين والشمائل في حال سجودها قالوا وسجود الاشياء غير ظلالها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد و**حدثني** نصر بن عبد الرحمن الاودي قالا ثنا حكام عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قول الله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ تتفيؤ ظلاله قال اذا فاء الفيء توجه كل شئ ساجدا قبل القبلة من نبت أو شجر قال فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك **حدثني** المثنى قال أخبرنا الحماني قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد في قول الله تتفيؤ ظلاله قال اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله عز وجل * وقال آخرون بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الاشياء فانما يسجد ظلالها دون التي لها الظلال ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله قال هو سجود الظلال ظلال كل شئ ما في السموات وما في الارض من دابة قال سجود ظلال الدواب وظلال كل شئ **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفأ ظلاله ما خلق من كل شئ عن يمينه وشماله فلفظ ما لفظ عن اليمين والشمائل قال ألم تر أنك اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا وقبض الله الظل * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر في هذه الآية ان ظلال الاشياء هي التي تسجد سجودها ميلانها ودورانها من جانب الى جانب وناحية الى ناحية كما قال ابن عباس يقال من ذلك سجدت النخلة اذا مالت وسجد البعير وأسجد اذا أميل للركوب وقد بينا معنى السجود في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وقوله وهم داخرون يعني وهم صاغرون يقال منه دخر فلان لله يدخر دخورا ودخور اذا ذل له وخضع ومنه قول ذي الرمة

فلم يبق الا داخر في مخيس * ومنجحر في غير أرضك في جحر

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم داخرون صاغرون **حدثنا** القاسم قال

ثنا

منقادة له فبين في هذه الآية ان الحيوانات بأسرها أيضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لانها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله ومن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها أرواح مجردة

ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم داخرون أي صاغرون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله وأما توحيد اليمين في قوله عن اليمين والشمائل فجمعها فان ذلك انما جاء كذلك لان معنى الكلام أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلال ما خلق من شئ عن يمينه أي ما خلق وشمائله فلفظ مالفظ واحد ومعناه معنى الجمع فقال عن اليمين بمعنى عن يمين ما خلق ثم رجع الى معناه في الشمائل وكان بعض أهل العربية يقول انما تفعل العرب ذلك لان أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد فيقال للرجل خذ عن يمينك قال فكانه اذا وحد ذهب الى واحد من القوم واذا جمع فهو الذي لا مسألة فيه واستشهد بفعل العرب ذلك بقول الشاعر

بني الشامتين الصخر ان كان هدني * ٧ ودبه شبلي محدد في الضراغم

فقال بني الشامتين ولم يقل بافواه وقول الآخر

الواردون وهم في ذرى سنا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ولم يقل جلود ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) يقول تعالى ولله يخضع ويستسلم لامره ما في السموات وما في الارض من دابة يدب عليها والملائكة في السموات وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول اجتزئ بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع وانما معنى الكلام ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من الدواب والملائكة كما يقال ما أتاني من رجل بمعنى ما أتاني من الرجال وكان بعض نحوي الكوفة يقول انما قيل من دابة لان ما وان كانت قد تكون على مذهب الذي فانها غير موقتة فاذا أبهمت غير موقتة أشبهت الجزاء والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة فيقال من ضربه من رجل فاضربوه ولا تسقط من من هذا الموضع كراهية ان تشبه ان تكون حالا ان وما فجعلوه بمن ليدل على انه تفسير لما ومن لانهما غير موقتتين فكان دخول من فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما وكان دخول من أدل على ما لم يوقت من من وما فلذلك لم تلغيا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) يقول تعالى ذكره يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات وما في الارض من دابة ربهم من فوقهم ان يعذبهم ان عصوا أمره ويفعلون ما يؤمرون يقول ويفعلون ما أمرهم الله به فيؤدون حقوقه ويجتنبون سخطه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون) يقول تعالى ذكره وقال الله لعباده لا تتخذوا الى شريكا أيها الناس ولا تعبدوا معبودين فانكم اذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكا ولا شريك لي انما هو اله واحد ومعبود واحد وانا ذلك فاياي فارهبون يقول فاياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم اياي ان عصيتموني وعبدتم غيري أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون) يقول تعالى ذكره ولله ملك ما في السموات والارض من شئ لا شريك له في شئ من ذلك هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم وبيده حياتهم وموتهم وقوله وله الدين واصبا يقول جل ثناؤه وله الطاعة والاخلاص دائما ثابتا واجبا يقال منه

خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق واعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات الملائكة وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال وهم لا يستكبرون يخافون على انه حال منهم أو بيان لنفي استكبارهم لان الخوف أثره عدم الاستكبار وقوله من فوقهم اما أن يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما أن يكون حالا من الرب أي يخافونه غالبا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده زعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما أمروا به فمن أين علم أنهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما يخافون من العذاب لقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله أتم كانت الهيبة والحيرة أعظم وعن الثاني ان النهي عن الشئ أمر بتركه وفي الآية دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه أبى واستكبر وأنهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك أفضل من البشر بل من كل المخلوقات والالما خصهم بالذكر من بينها وخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل الانسان ما أكفره وقال صلى الله عليه وسلم ما منا الا من قد عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن زكريا قال

أيضا صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في أمته فضل الشيخ على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولاشك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وانهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في أول سورة البقرة وفي قوله (٧٤) مايؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد والوعيد

راجين خائفين ولما بين ان كل ماسواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي عن الشرك قائلا وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا يدلان على العدد الخاص فما الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد وأجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتاخيرا أي لاتتخذوا اثنين الهين ومنها انه كررت العبارة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول لاهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي أن يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزأين وما به الاشتراك في الوجوب الذاتي وما به الامتياز ولكن التركيب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع أيضا يعين على المطلوب كما لو أراد أحدهما تحريك جسم معين وأراد الآخر تسكينه أو قوي أحدهما على مخالفة الآخر أولا يقوى أو قدر أحدهما على أن يستر ملكه عن الآخر أو لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فايای فارهبون وقد مر مثله في أول البقرة ثم لما قرر وحدته وانه يجب ان

أن يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه فقال وله مافي السموات والارض فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله ولغرض طاعته لان فيها المباحات والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان كلها

وصب الدين يصب وصوبا ووصبا كما قال الذبياني

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه * ويبابذم الدهر أجمع واصبا

ومنه قوله الله ولهم عذاب واصب وقول حسان

عبرته الريح تسفي به * وهزيم رعده واصب

فاما من الالم فانما يقال وصب الرجل يوصب وصبا وذلك اذا أعيا وملّ ومنه قول الشاعر

لا يعمر الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرق سوقه الصفر

وقد اختلف أهل التأويل في تاويل الواصب فقال بعضهم معناه ماقلنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نضرة عن ابن عباس وله الدين واصبا قال دائما **حدثني** اسمعيل بن موسى قال أخبرنا شريك عن أبي حصين عن عكرمة في قوله وله الدين واصبا قال دائما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة قال دائما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وله الدين واصبا قال دائما **حدثني** المثنى قال أخبرنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وله الدين واصبا أي دائما فان الله تبارك وتعالى لم يدع شيأ من خلقه الا عده طائعا أو كارها **حدثنا** محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واصبا قال دائما ألا ترى انه يقول عذاب واصب أي دائم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وله الدين واصبا قال دائما والواصب الدائم * وقال آخرون الواصب في هذا الموضع الواجب ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وله الدين واصبا قال واجبا وكان مجاهد يقول معنى الدين في هذا الموضع الاخلاص وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال الاخلاص **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الدين الاخلاص وقوله أفغير الله تتقون يقول تعالى ذكره أفغير الله أيها الناس تتقون أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم باخلاصكم العبادة لربكم وافرادكم الطاعة له ومالكم نافع سواه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله فمن الله فقال بعض البصريين دخلت الفاء لان ما بمنزلة من فجعل الخبر بالفاء * وقال بعض الكوفيين ما في معنى جزاء ولها فعل مضمر كانك قلت ما يكن بكم من نعمة فمن الله لان الجزاء لابد له من فعل مجزوم

بخلقه وتكوينه ومن جملة ذلك أفعال العباد ثم قال وله الدين واصبا فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لانهاية لها ويقال للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل فيه مافى الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الانقطع ذلك بسبب فى حال الحياة أو الموت الا الحق سبحانه فان (٧٥) طاعته واجبة أبدا ويحتمل أن يكون الدين بمعنى الملة أى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا أو وله الجزاء سرمدا لايزول يعنى الثواب والعقاب وقال بعض المتكلمين المحققين قوله وله مافى السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه فى حال حدوثه وقوله وله الدين أى الانقياد واصبا اشارة الى أن جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده فى حال وجوده لان الصحيح أن الممكن حال بقائه لايستغنى عن المرجح ثم أنكر أن يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال أفغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله ومابكم من نعمة فمن الله مابمعنى الذى وبكم صلته ومن نعمة حال من الضمير فى الجار أو بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ماشرطية وفعل الشرط محذوف أى مايكن وقال جارالله معناه أى شئ حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة أفضل النعم نعمة الايمان والآية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهى معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية أو بدنية أو خارجة كالسعادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها أنواع لاحصر لها والكل من الله فعلى العاقل ان لايشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه فى بحار نعم الله قائلا ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ماتتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جارالله يجوز أن يكون الخطاب فى قوله ومابكم عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد أقول وأظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا

ان ظهر فهو جزم وان لم يظهر فهو مضمر كما قال الشاعر

ان العقل فى أموالنا لاتضيق به * ذرعا وان صبرا فيعرف للصبر

وقال أرادان يكن العقل فاضمره قال وان جعلت مابكم فى معنى الذى جاز وجعلت صلته بكم ومافى موضع رفع بقوله فمن الله وأدخل الفاء كما قال ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم وكل اسم وصل مثل من وما والذى فقد يجوز دخول الفاء فى خبره لانه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء ولا يجوز أخوك فهو قائم لانه اسم غير موصول وكذلك تقول مالك لى فان قلت مالك جاز أن تقول مالك فهو لى وان ألقيت الفاء فصوابه تقول الكلام مايكن بكم فى أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة وفى أموالكم من نماء فالله المنعم عليكم بذلك لاغيره لان ذلك اليه وبيده ثم اذا مسكم الضر يقول اذا أصابكم فى أبدانكم سقم ومرض وعلة عارضة وشدة من عيش فاليه تجأرون يقول فالى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم وأصله من جؤار الثور يقال منه جأر الثور يجأر جؤارا وذلك اذا رفع صوته شديدا من جوع أو غيره ومنه قول الاعشى

وما ابتنى على هيكل نبأه * وصلت فيه وصارا

براوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا

يعنى بالجؤار الصياح اما بالدعاء واما بالقراءة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فاليه تجأرون قال تضرعون دعاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الضر السقم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) يقول تعالى ذكره ثم اذا كشف ربكم العافية ورفع عنكم ما أصابكم من المرض فى أبدانكم ومن الشدة فى معاشكم وفرج البلاء عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون يقول اذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا فى عبادتهم فيعبدون الاوثان ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر ليكفروا بما آتيناهم يقول ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم فتمتعوا فسوف تعلمون وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات وتهديد لهم يقول لهم جل ثناؤه تمتعوا فى هذه الحياة الدنيا الى أن توافيكم آجالكم وتبلغوا الميقات الذى وقته لحياتكم وتمتعكم فيها فانكم من ذلك ستصيرون الى ربكم فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم وتعرفون سوء مغبة أمركم وتندمون حين لاينفعكم الندم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الاوثان لما لايعلمون منه ضرا ولا نفعا نصيبا يقول حظا وجزاء مما رزقناهم من الاموال اشراكا منهم له بالذى يعلمون انه خلقهم وهو الذى ينفعهم ويضرهم دون غيره كالذى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويجعلون لما لايعلمون

منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في أن لا يفزع الا الى الله وفر يقا ينفر عنه فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال ليكفروا كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز أن تكون لام العاقبة يعني عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفران والمراد بقوله ما آتيناهم (٧٦) كشف الضر وازالة المكروه أو القرآن والشرائع أو جميع النعم الظاهرة والباطنة التي أنعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد وبطريقة الالتفات نظرا الى أول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما سيجيء وأما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا آخر من قبائح أعمال بني آدم فقال ويجعلون لما لا يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وبان جمع السلامة بالعقلاء أليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم نصيبا أو يجعلون لما لا يعلمون آلهيتها أو السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يرون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى آخر الكواكب ثم أوعدهم الله بقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون على الله من أن له شريكا وان الاصنام الموضع

نصيبا مما رزقناهم قال يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم فلا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم وهم مشركو العرب جعلوا لاوثانهم نصيبا مما رزقناهم وجزأ من أموالهم يجعلونه لاوثانهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والانعام يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها وقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون يقول تعالى ذكره والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والانداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون يعني تختلقون من الباطل والافك على الله بدعواكم له شريكا وتصييركم لاوثانكم فيما رزقكم نصيبا ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يقول تعالى ذكره ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم وقبح فريتهم على ربهم أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم فاستوجب بنعمه عليهم الشكر واستحق عليهم الحمد البنات ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكرا ولا أنثى سبحانه تنزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه من البنات فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ولا ينبغي ان يكون له من الولدان يضيفوا اليه ما يشتهونه لانفسهم ويجعلونه لها ولكنهم أضافوا اليه ما يكرهونه لانفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها اذا كانت لهم وفي ما التي في قوله ولهم ما يشتهون وجهان من العربية النصب عطفا على البنات فيكون معنى الكلام اذا أريد ذلك ويجعلون لله البنات ولهم البنون الذين يشتهونهم فتكون ما للبنين والرفع على ان الكلام مبتدأ من قوله ولهم ما يشتهون فيكون معنى الكلام ويجعلون لله البنات ولهم البنون وقوله واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يقول واذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه اليه من ذلك له ظل وجهه مسودا من كراهته وهو كظيم يقول قد كظم الحزن وامتلأ غما بولادته له فهو لا يظهر ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقال واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الى آخر الآية يقول يجعلون لله البنات ترضونهم لي ولا ترضونهم لانفسكم وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون أو دسها في التراب وهي حية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهذا صنيع مشركي العرب أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فاما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ولعمري ما يدري انه خير لرب جارية خير لاهلها من غلام وانما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وهو كظيم قال حزين **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله وهو كظيم قال الكظيم الكمد وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا

أهل التقرب اليهم مع أنه لا شعور لها بشيء أصلا أو المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي أو قولهم ان لغير الله تأثيرا في هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر وللاقرب أنه في الآخرة وهذا في هؤلاء

الاقوام خلسة كقوله فورب لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فى الامم عامة قوله ويجعلون لله البنات نوع آخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازى أظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنه اطلاق التأنيث على الشمس لاستتارها عن ان تدرك بالابصار لضوء الباهر ونورها القاهر سبحانه تنزيها لذاته عن نسبة الولد اليه أو تعجبا من قولهم ومحل قوله ولهم مايشتهون اما الرفع على الابتداء أو النصب أى وجعلوا لهم مايشتهون يعنى البنين وأبى الزجاج جواز النصب قال لان العرب لاتقول جعل له كذا وهو يعنى نفسه وانما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم مايشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التى جعلوها لله تعالى فقال واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه أى صار مسودا ويحتمل أن يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسود الوجه وهو كظيم مملوء غما وحزنا وغيظا على المرأة قال أهل المعانى جعل اسوداد الوجه وهو كظيم كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوى فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه وأشرق واذا قوى غمه انحصر الروح فى داخل القلب ولم يبق منه أثر قوى على الوجه فيتربد الوجه لذلك ويصفر أو يسود ويتوارى يستخفى من القوم من سوء مابشر به من أجل سوء المبشر به ولم يظهر أياما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله أيمسكه أى يحبسه على هون ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود أى يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة الاب أى يمسكها مع الرضا بهوان نفسه أم يدسه فى التراب أى يئده والدس اخفاء الشئ فى الشئ وانما ذكر الضمير فى يمسكه ويدسه باعتبار مابشر به كانوا مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وأخرى خوفا من الفقر والعاقة ولزوم النفقة روى ان رجلا قال يارسول الله والذى بعثك بالحق ما أجد حلاوة الاسلام

الموضح ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألاساء مايحكمون) يقول تعالى ذكره يتوارى هذا المبشر بولادة الانثى من الولد له من القوم فيغيب عن أبصارهم من سوء مابشر به يعنى من مساءته اياه ممثلا بين أن يمسكه على هون أى على هوان وكذلك ذلك فى لغة قريش فيما ذكر لى يقولون الهوان الهون ومنه قول الحطيئة

فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما أثبت الحبل حافره

وبعض بنى تميم جعل الهون مصدرا للشئ الهين ذكر الكسائى انه سمعهم يقولون ان كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم قال وسمعت الهوان فى مثل هذا المعنى سمعت منهم قائلا يقول لبعيره مابه باس غير هوانه يعنى خفيف الثمن فاذا قالوا هو يمشى على هونه لم يقولوه الا بفتح الهاء كما قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أم يدسه فى التراب يقول يدفنه حيا فى التراب فيئده كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب يئد ابنته وقوله ألاساء مايحكمون يقول ألاساء الحكم الذى يحكم هؤلاء المشركون وذلك ان جعلوا لله مالا يرضون لانفسهم وجعلوا لما لاينفعهم ولايضرهم شركا فيما رزقهم الله وعبدوا غيره من خلقهم وأنعم عليهم ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم) وهذا خبر من الله جل ثناؤه ان قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم والآية التى بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات فبين بقوله للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء انه مثل وعنى بقوله جل ثناؤه للذين لايؤمنون بالآخرة الذين لايصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين مثل السوء وهو القبيح من المثل وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ولله المثل الاعلى يقول ولله المثل الاعلى وهو الافضل والاطيب والاحسن والاجل وذلك التوحيد والاذعان له بانه لااله غيره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولله المثل الاعلى قال شهادة أن لااله الاالله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى الاخلاص والتوحيد وقوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره والله ذو العزة التى لايمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات ولاعقوبة من أراد عقوبته على معصيته اياه ولايتعذر عليه شئ أراده وشاءه لان الخلق خلقته والامر أمره الحكيم فى تدبيره فلا يدخل تدبيره خلل ولاخطأ ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله عصاة بنى آدم بمعاصيهم ماترك عليها يعنى على الارض من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم يقول ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة الى أجل مسمى يقول الى وقتهم الذى وقت لهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذى وقت لهلاكهم لايستأخرون عن الهلاك ساعة فيمهلون ولا يستقدمون قبله حتى يستوفوا آجالهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى

وقد كانت لى فى الجاهلية ابنة وأمرت امرأتى ان تدسها وأخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد الغور ألقيتها فقالت يا أبتى قتلتنى فكلما ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام بهدمه الاستغفار ولا ريب ان الاثنى التى هذا حالها عندهم كانت فى غاية الكراهية والتنفير ومع ذلك أثبتوها لله المتعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا يقدمون على القتل والايذاء مثل السوء وصفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق والتزام الشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل وهو العزيز الذى لا يغالب فلا يستضر بان ينسب اليه ما لا يليق به الحكيم فى خلق الذكور والاناث أو فى الوعيد على قتل البنات قال القاضى ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله وانه أسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شأن الجبرة وأجابت الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح منا فى العرف فانه يقبح من الله ألا ترى ان رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ فى تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وازال الحائل والمانع فان هذا بالانفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما تحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما أفعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله أعلم * التأويل أن

الاحوص قال كاد الجعل أن يعذب بذنب بنى آدم وقرأ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا اسمعيل بن حكيم الخزاعى قال ثنا محمد بن جابر الجعفى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة قال سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فالتفت اليه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت فى وكرها هزا لا بظلم الظالم **حدثنى** يعقوب قال ثنا أبو عبيدة الحداد قال ثنا فرقد بن خالد السدوسى عن الزبير بن عدى قال قال ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت الجعل **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى اسحق عن أبى عبيدة قال قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك فى جحره بخطيئة ابن آدم **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال الله فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال نرى انه اذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ولا يقدم وما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لانفسهم وتصف ألسنتهم الكذب يقول وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه أن لهم الحسنى فان فى موضع نصب لانها ترجمة عن الكذب وتأويل الكلام ويجعلون لله ما يكرهونه لانفسهم ويزعمون أن لهم الحسنى الذى يكرهونه لانفسهم البنات يجعلونهن لله تعالى وزعموا ان الملائكة بنات الله وأما الحسنى التى جعلوها لانفسهم فالذكور من الاولاد وذلك انهم كانوا يئدون الاناث من أولادهم ويستبقون الذكور منهم ويقولون لنا الذكور ولله البنات وهو نحو قولهم ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى قال قول قريش لنا البنون ولله البنات **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال قول كفار قريش **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أى يتكلمون بان لهم الحسنى أى الغلمان **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن لهم الحسنى قال الغلمان وقوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره حقا واجبا ان لهؤلاء القائلين لله البنات الجاعلين له ما يكرهونه لانفسهم ولانفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار وقد بينا تأويل قول الله لا جرم فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وروى عن ابن عباس فى ذلك ما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا جرم يقول بلى وقوله لا جرم كان بعض أهل العربية يقول لم تنصب جرم بلا كما نصبت الميم من قوله لا غلام لك قال ولكنها نصبت لانها فعل ماض مثل قول القائل قعد فلان وجلس والكلام لا بد الكلام ليس الامر هكذا جرم كسب ٧ مثل قوله لا أقسم ونحو ذلك وكان بعضهم يقول نصب جرم بلا وانما هو بمعنى لا بد ولا محالة ولكنها كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا وقوله وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره وانهم

يخسف الله بهم أرض البشرية ودركات السفلى أو يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون انه من مخلفون
أن أتاهم من قبل الاعمال الدنيوية أو من قبل الاعمال الاخروية أو يأخذهم فى تقلبهم من أعمال الدنيا الى أعمال الآخرة بالرياء ومن أعمال الآخرة الى أعمال الدنيا بالهوى أو يأخذهم على تخوف تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فان ربكم لرؤف رحيم بالعباد

اذا عطاهم حسن الاستعداد ذ رحيم حين لا ياخذهم بعد افساد الاستعداد في الحال لعلهم يتوبون في المآل فيقبل توبتهم بالفضل والنوال
ما خلق الله من شئ وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شئ يتغير ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بعمل أهل السعادة
الى أصحاب اليمين وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء الى أصحاب الشمال سجدا لله منقادين لامره مسخرين لما خلقوا لاجله وانما

مختلفون متروكون في النار منسوون فيها واختلف أهل التأويل في تاويل ذلك فقال أكثرهم بنحو
ما قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال
ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال
منسوون مضيعون **حدثني** موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن حباب قال أخبرنا
سعيد عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد عن شعبة قال
أخبرني أبو بشر عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن
سعيد بن جبير في قوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال متروكون في النار منسيون فيها
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال حصين أخبرنا عن سعيد بن جبير بمثله **حدثني** المثنى قال
أخبرنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم عن حصين عن سعيد بن جبير بمثله **حدثني** محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنهم مفرطون قال منسيون
حدثني الحارث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال
ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك
وأنهم مفرطون قال متروكون في النار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج عن القاسم عن مجاهد مفرطون قال منسيون **حدثني** عبد الوارث بن عبد الصمد قال
ثني أبي عن الحسين عن قتادة وانهم مفرطون يقول مضاعون **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا بدل
قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت داود بن أبي هند في قول الله وانهم مفرطون قال منسيون في النار
* وقال آخرون معنى ذلك انهم مجلون الى النار مقدمون اليها وذهبوا في ذلك الى قول العرب
أفرطنا فلانا في طلب الماء اذا قدموه لاصلاح الدلاء والارشية وتسوية ما يحتاجون اليه عند ورودهم
عليه فهو مفرط فاما المتقدم نفسه فهو فارط يقال قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطا وفرط اذا
تقدمهم وجمع فارط فراط ومنه قول القطامي

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض أي متقدمكم اليه وسابقكم حتى ترودوه
ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانهم مفرطون يقول
مجلون الى النار **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانهم
مفرطون قال قد فرطوا في النار أي مجلون وقال آخرون معنى ذلك مبعدون في النار ذكر
من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن الربيع عن أبي بشر عن
سعيد وانهم مفرطون قال مخسوون مبعدون * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي
اخترناه وذلك ان الافراط الذي هو بمعنى التقديم انما يقال فيمن قدم مقدما لاصلاح ما يقدم اليه الى
وقت ورود من قدمه عليه وليس بمقدم من قدم الى النار من أهلها لاصلاح شئ فيها الوارد يرد عليها فيها
فيوافقه مصلحا وانما تقدم من قدم اليها العذاب يعجل له فاذا كان ذلك معنى الافراط الذي هو تاويل
التعجيل فمفسد أن يكون له وجه في الصحة صح المعنى الآخر وهو الافراط الذي بمعنى التخليف والترك
وذلك أنه يحكى عن العرب ما أفرطت ورائي أحدا أي ما خلفته وما فرطته أي لم أخلفه واختلفت

وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة
أصحاب الشمال وسجود كل
موجود يناسب حاله كما أن تسبيح
كل منهم يلائم لسانه وقال الله
لا تتخذوا الهين اثنين أراد بالاله
الآخر الهوى لقوله صلى الله
عليه وسلم ما عبد الله أبغض على الله
من الهوى ويجعلون يعني أصحاب
النفوس والاهواء مما لا يعلمون
ان لا علم لهم باحوالهم تصيبا بالرياء
مما رزقناهم من الطاعات تالله
لتسألن عما كنتم تفترون
والسؤال عن المعاملات انما هو
بتبديل الصفات وتغير الاحوال
من سمة السعادة الى سمة الشقاوة
وبالعكس ويجعلون لله البنات أظن
ان البنات اشارة الى صفات فيها
نوع نقص كالتجسيم والتشبيه
والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم
والجور والتعطيل وعدم الاستقلال
بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية
جلاله ونهاية كماله فلهذا قال
سبحانه ولهم ما يشتهون يعني ان
كل أحد يجب أن يوصف بغاية
الكمال ويتغير وجهه اذا نبه على
عيب فيه ولا يعلم ان مطلق الكمال
لا يليق الا بالواجب بالذات ونفس
الامكان نقصان يستلزم جميع
النقصانات (ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن
يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون ويجعلون لله
ما يكرهون وتصف ألسنتهم

الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم
ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى
ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم (٨٠) ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيا ان الله عليم قدير)

القراآت لاجرم فى المدمثل لاريب فيه مغرطون بكسر الراء المشددة يزيد مغرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد الآخرون بضمها * الوقوف مسمى ج للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ه الحسنى ط وقيل على لاثم يبدأ بجرم وهو تكلف مغرطون ه أليم ه فيه لا للعطف على موضع لتبين تقديره الانبيانا وهدى يؤمنون ه مونها ط يسمعون ه لعبرة ط لانه لو وصل اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين ه حسنا ط يعقلون ه يعرشون ه للعطف ذللا ط للعدول للناس ط يتفكرون ه شيأ ط قدير ه * التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وفظيع قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية فزعم بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء انه أضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب أن يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحينئذ لم يصدق انه لم يبق على الارض واحد والجواب لانسلم عموم الناس فى الآية لقوله سبحانه فى موضع آخر فانهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين

القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة وأنهم مغرطون بتخفيف الراء وفتحها على معنى مالم يسم فاعله من افرط فهو مفرط وقد بينت اختلاف قراءة ذلك كذلك فى التأويل وقرأه أبو جعفر القارئ وأنهم مغرطون بكسر الراء وتشديدها بتأويل أنهم مفرطون فى أداء الواجب كان الله عليهم فى الدنيا من طاعته وحقوقه مضيعو ذلك من قول الله تعالى ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وقرأ نافع بن أبى نعيم وأنهم مفرطون بكسر الراء وتخفيفها حدثنى بذلك يونس عن ورش عنه بتأويل أنهم مفرطون فى الذنوب والمعاصى مسرفون على أنفسهم مكثرون منه من قولهم أفرط فلان فى القول اذا تجاوز حده وأسرف فيه والذى هو أولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تاويل أهل التأويل الذى ذكرنا قبل وخروج القراآت الاخر عن تاويلهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره مقسما بنفسه عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك الى أممها بمثل ما أرسلناك الى أمتك من الدعاء الى التوحيد لله واخلاص العبادة له والاذعان له بالطاعة وخلع الانداد والآلهة من الكفر بالله وعبادة الاوثان مقيمين ۷ حتى كذبوا رسلهم وردوا عليهم ماجاؤهم به من عند ربهم فهو وليهم اليوم يقول فالشيطان ناصرهم اليوم فى الدنيا وبئس الناصر ولهم عذاب أليم فى الآخرة عند ورودهم على ربهم فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ولا هى تغنيهم فى الدنيا بل ضرتهم فيها وهى لهم فى الآخرة أضر ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا الى خلقنا الا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله فتعرفهم الصواب منه والحق من الباطل وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذى بعثك بها وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقوله وهدى بيانا من الضلالة يعنى بذلك الكتاب ورحمة لقوم يؤمنون به فيصدقون بما فيه ويقرون بما تضمن من أمر الله ونهيه ويعملون به وعطف بالهدى على موضع ليبين لان موضعها نصب وانما معنى الكلام وما أنزلنا عليك الكتاب الا لابيانا للناس فيما اختلفوا فيه وهدى ورحمة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والله أنزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) يقول تعالى ذكره منبها خلقه على حجته عليهم فى توحيده وانه لا تنبغى الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشئ سواه أيها الناس معبودكم الذى له العبادة دون كل شئ أنزل من السماء ماء يعنى مطرا يقول فانبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الارض الميتة التى لا زرع بها ولا عشب ولا تنبت بعد موتها بعد ما هى ميتة لا شئ فيها ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فى احيائنا الارض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا وحجة قاطعة عذر من فكر فيه لقوم يسمعون يقول لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعون الله بما دلهم عليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس لعظة فى الانعام التى نسقيكم مما فى بطونه واختلفت القراء فى قراءة قوله نسقيكم فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة سوى عاصم ومن أهل المدينة أبو جعفر نسقيكم بضم النون بمعنى انه أسقاهم

شرابا

استحقوا العقاب أو الذين تقدم ذكرهم من المشركين وأما قوله من دابة فعن ابن عباس انه أراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بما كل من يدب عليها فلعل الهلاك فى حق الظلمة يكون عذابا وفى غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه

الواقعة فى زمان نوح عليه السلام وأيضا من المعلوم انه لا أحد الا وفى آبائه من يستحق العذاب فلو أهلكوا البطل نسلهم ولادى الى افناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفى انقطاعه انقطاع النبت وفى انقطاع النبت فناء الدواب قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن الظلم والمعاصى ليست من أفعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك وفى قوله بظلمهم دليل على أن الظلم هو المؤثر فى العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وأيضا المعارضة بالعلم والدواعى ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل فى المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز أن يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا أن يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشئ لانتفاء غيره فالآية تقتضى انه تعالى ما آخذ الناس بظلمهم وانه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافى ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ما ظلم أما على انه لا يؤاخذ ببعض أنواع الظلم فلا دليله قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب أن يكون مشروعا فى حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم أن يكون محرما لان وجوده

شرابا دائما وكان الكسائى يقول العرب تقول أسقيناهم بهذا وأسقيناهم لبنا اذا جعلته شرابا دائما فاذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا اسقينا كم فنحن نسقيهم بغير ألف وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة سوى أبى جعفر ومن أهل العراق عاصم نسقيكم بفتح النون من سقاه الله فهو يسقيه والعرب قد تدخل الالف فيما كان من السقى غير دائم وتنزعها فيما كان دائما وان كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائى يدل على ما قلنا من ذلك قول لبيد فى صفة سحاب

سقى قومى بنى مجد وأسقى * نميرا والقبائل من هلال

فجمع اللغتين كليهما فى معنى واحد فاذا كان ذلك كذلك فبأية القراءتين قرأ القارئ فصيب غير انه أعجب القراءتين الى قراءة ضم النون لما ذكرت من ان أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقى أسقى بالالف فهو يسقى وما أسقى الله عباده من بطون الانعام فدائم لهم غير منقطع عنهم وأما قوله مما فى بطونه وقد ذكر الانعام قبل ذلك وهى جمع والهاء فى البطون موحدة فان لاهل العربية فى ذلك أقوالا فكان بعض نحوى الكوفة يقول النعم والانعام شئ واحد لانهما جميعا جمعان فرد الكلام فى قوله مما فى التى التذكير مراد به معنى النعم اذا كان يؤدى عن الانعام ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الاعراب

اذا رأيت أنجما من الاسد * جبهته أو الحران والكبد
بال سهيل فى الفضيخ ففسد * وطاب ألبان اللقاح فبرد

ويقول رجع بقوله فبرد الى معنى اللبن لان اللبن والالبان تكون فى معنى واحد وفى تذكير النعم

(قول الآخر) أكل عام نعم تحونه * يلقحه قوم وتنتجونه

فذكر النعم وكان غيره منهم يقول انما قال مما فى بطونه لانه أراد مما فى بطون ما ذكرنا وينشد فى ذلك رجز البعضهم * مثل الفراخ نتفت حواصله * وقول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * توفى المخارم يرقبان سوادى

فقال كلاهما ولم يقل كلتاهما وقول الصلتان العبدى

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا برؤ على الطريق الواضح

(وقول الآخر)

وعفراء أدنى الناس منى مودة * وعفراء عنى المعرض المتوانى

ولم يقل المعرضة المتوانية وقول الآخر

اذا الناس ناس والبلاد بغبطة * وادام عمان صديق مساعف

ويقول كل ذلك على معنى هذا الشئ وهذا الشخص والسواد وما أشبه ذلك ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى بمعنى هذا الشئ الطالع وقوله ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لان معناه فمن شاء ذكر هذا الشئ وقوله وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان ولم يقل جاءت وكان بعض البصريين يقول قيل مما فى بطونه لان المعنى نسقيكم من أى الانعام كان فى بطونه ويقول فيه اللبن مضمر يعنى انه يسقى من أيها كان ذا لبن وذلك انه ليس لكلها لبن وانما يسقى من ذوات اللبن والقولان الاولان أصح مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث وقوله من بين فرث ودم لبنا خالصا يقول نسقيكم لبنا نخرجه لكم من

بين فرث ودم خالصا يقول خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلط به سائغا للشاربين يقول يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الاطعمة وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يقول تعالى ذكره ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب مما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا مع ما نسقيكم من بطون الانعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم وحذف من قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب الاسم والمعنى ما وصفت وهو ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه بدلالة من عليه لان من تدخل فى الكلام مبعضة فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضى من ذكر الاسم معها وكان بعض نحوى البصرة يقول فى معنى الكلام ومن ثمرات النخيل والاعناب شئ تتخذون منه سكرا ويقول انما ذكرت الهاء فى قوله تتخذون منه لانه أريد بها الشئ وهو عندنا عائد على المتروك وهو ما وقوله تتخذون من صفة ما المتروكة واختلف أهل التأويل فى معنى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فقال بعضهم عنى بالسكر الخمر وبالرزق الحسن التمر والزبيب وقال انما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت بعد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أيوب بن جابر الحنفى عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من ثمرته والرزق الحسن ما أحل من ثمرته **حدثنا** ابن وكيع وسعد بن الربيع الرازى قالا ثنا ابن عيينة عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الرزق الحسن ما أحل من ثمرتها والسكر ما حرم من ثمرتها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الاسود بن قيس قال سمعت رجلا يحدث عن ابن عباس فى هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا الحسن بن صالح عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا الاسود بن قيس قال ثنى عمرو بن سفيان قال سمعت ابن عباس يقول وذكرت عنده هذه الآية ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم منهما والرزق الحسن ما أحل منهما **حدثنى** يونس قال أخبرنا سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان البصرى قال قال ابن عباس فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال فاما الرزق الحسن فما أحل من ثمرتهما وأما السكر فما حرم من ثمرتهما **حدثنى** المثنى قال أخبرنا الحمانى قال ثنا شريك عن الاسود عن عمرو بن سفيان البصرى عن ابن عباس تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر حرامه والرزق الحسن حلاله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا العباس بن أبى طالب قال ثنا أبو عوانة عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرتهما والرزق الحسن ما حل من ثمرتهما **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن

منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقى الآية قد مر تفسيرها فى أوائل سورة الاعراف واعلم أنه سبحانه قال فى هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفى سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب تجوز ذلك فى كلمات لحصولها بين يدى كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان أفضل من عليها وأكرم من تحتها ومنها الغداة انهم اليوم البارد ومنها الاصابع يقول والذى شقهن خمسا من واحدة يعنى الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر فى هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة فانه قد تقدم ذكر الارض فى قوله أولم يسيروا فى الارض وفى قوله وفى الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن أن يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يقل على ظهرها وحين قال هناك بما كسبوا قال على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظاءين لانها ثقيل فى الكلام وليست لامة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما فى شرطية واحدة ثم عاد الى حكاية كلامهم الحمقاء فقال ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد أن يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء فى الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالتهم وانهم يجعلون أرذل أموالهم لله وأكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ابى ذوى اليسار كيف يكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى الملاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيى من ذلك الموقف ثم قال وتصف ألسنتهم الكذب قال الفراء والزجاج

أبدل منه قوله أن لهم الحسنى عن مجاهد ان الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة أي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيامة (٨٣) الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا

أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ماحرم من ثمرتهما وما أحل من ثمرتهما **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال السكر خمر والرزق الحسن الحلال **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر وسفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر الحرام والرزق الحسن الحلال **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة بن أبي رزين تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال نزل هذا وهم يشربون الخمر فكان هذا قبل ان ينزل تحريم الخمر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا شعبة عن المغيرة عن ابراهيم والشعبي وابن رزين قالوا هي منسوخة في هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا **حدثنا** الحسن بن عرفة قال ثنا أبو قطن عن سعيد عن المغيرة عن ابراهيم والشعبي وأبي رزين بمثله **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال هي منسوخة نسختها تحريم الخمر **حدثنا** محمد ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور وعوف عن الحسن قال السكر ما حرم الله منه والرزق ما أحل الله منه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن جعفر عن الربيع عن الحسن قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن ليث عن مجاهد قال السكر الخمر والرزق الحسن الرطب والاعناب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال هي الخمر قبل ان تحرم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال الخمر قبل تحريمها ورزقا حسنا قال طعاما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا أما السكر فخمور هذه الاعاجم وأما الرزق الحسن فما تنتبذون وما تخللون وما تأكلون ونزلت هذه الآية ولن تحرم الخمر يومئذ وانما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان قال قرأت على ابن أبي عزيزة قال هكذا سمعت قتادة تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ثم ذكر نحو حديث بشر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سكرا قال هي خمور الاعاجم ونسخت في سورة المائدة والرزق الحسن قال ما تنتبذون وتخللون وتأكلون **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وذلك ان الناس كانوا يسمون الخمر سكرا وكانوا يشربونها قال ابن عباس مرد جاله

يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ظنا منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وبتقدير انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الحشر والقيامة فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله لاجرم أن لهم النار قال الزجاج لارد لقولهم أي ليس الامر كما وصفوا جرم أي كسب ذلك القول أن لهم النار فان مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق بان لهم النار وأنهم مفرطون من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز أبو علي الفارسي أن يكون من أفرط أي صار ذا فرط مثل أجرب أي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة فهو من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى أنهم متركون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرئ بفتح الراء المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء أفرطته بمعناه أيضا فالمراد انهم يقدمون الى النار مجعلون الهائم بين سجانه ان مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك أي رسلا فزين لهم الشيطان أعمالهم قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن أي وجه توجه عليه الذم وان خالق ذلك العمل أجدر بان يكون وليا لهم من الداعي اليه وأجيب بان الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها والمراد فهو وليهم

أى قرينهم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا أو اليوم عبارة عن يوم الآخرة الذى يعذبون فيه فى النار فهو حكاية للحال الآتية والولى الناصر أى هو ناصرهم يوم القيامة فقط والمراد نفى الناصر عنهم على أبلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور منه النصرة أصلا واذا كان الناصر منحصرا فيه لزم أن لا ينصره بالضرورة قال ويجوز أن يرجع الضمير فى وليهم الى مشركى قريش وانه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما هلك من هلك الا بعد اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصبا على انهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانه ما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبى وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينافى كونه كذلك فى حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انه قبلوه وانتفعوا به ولما امتد الكلام فى وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال والله أنزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وفى العنكبوت من بعد موتها لان هناك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستيعاب وأيضا حذف من فى هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيأ وانما حذف من هنا بخلاف ما فى الحج لانه أجمل الكلام فى هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم وأطنب فى الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة الآية فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب والرابع الاثبات ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر فان لم يسمع بتدبر فكانه أصم ثم استدل بعجائب أحوال الحيوانات قائلا وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه وفى سورة المؤمنين مما فى بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التى لفظها مفرد ومعناها

بوادى السكران الذى كانت قريش تجتمع فيه اذا تلقوا مسافريهم اذا جاؤا من الشام وانطلقوا معهم يشيعونهم حتى يبلغوا وادى السكران ثم يرجعوا منه ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت وقد كان ابن عباس يزعم انها الخمر وكان يزعم ان الحبشة يسمون الخل السكر قوله ورزقا حسنا يعنى بذلك الحلال التمر والزبيب وما كان حلالا لا يسكر * وقال آخرون السكر بمنزلة الخمر فى التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد وصار يسكر شاربه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو فى قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن عباس كان هذا قبل ان ينزل تحريم الخمر والسكر حرام مثل الخمر وأما الحلال منه فالزبيب والتمر والخل ونحوه **حدثنى** المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تتخذون منه سكرا حرم الله بعد ذلك يعنى بعد ما أنزل فى سورة البقرة ٧ من ذكر الخمر والميسر والانصاب والازلام والسكر مع تحريم الخمر لانه منه قال ورزقا حسنا فهو الحلال من الخل والنبيذ وأشباه ذلك فاقره الله وجعله حلالا للمسلمين **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن موسى قال سألت مرة عن السكر فقال قال عبد الله هو خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى فروة عن أبى عبد الرحمن بن أبى ليلى قال السكر خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن ابراهيم قال السكر خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم وأبى رزين قالا السكر خمر **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تتخذون منه سكرا يعنى ما أسكر من العنب والتمر ورزقا حسنا يعنى ثمرتها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سكرا * وقال آخرون السكر هو كل ما كان حلالا شربه كالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن التمر والزبيب ذكر من قال ذلك **حدثنى** داود الواسطى قال ثنا أبو اسامة قال أبو روق ثنى قال قلت للشعبى قوله تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا اهو هذا السكر الذى تصنعه النبط قال لا هذا خمر انما السكر الذى قال الله تعالى ذكره النبيذ والخل والرزق الحسن التمر والزبيب **حدثنى** يحيى بن داود قال ثنا أبو اسامة قال وذكر مجالد عن عامر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما كانوا يتخذون من النخل النبيذ والرزق الحسن ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن أبى روق عن الشعبى قال قلت له ما تتخذون منه سكرا قال كانوا يصنعون من النبيذ والخل قلت والرزق الحسن قال كانوا يصنعون من التمر والزبيب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة وأحمد بن بشير عن مجالد عن الشعبى قال السكر النبيذ والرزق الحسن التمر الذى كان يؤكل وعلى هذا التأويل الآية غير منسوخة بل حكمها ثابت وهذا التأويل عندى هو أولى الاقوال بتأويل هذه الآية وذلك ان السكر فى كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب والثانى ما طعم من الاطعام كما قال الشاعر * جعلت عنب الكرمين سكرا * أى طعما والثالث السكور من قول الشاعر * وجعلت عين الحرور تسكر * وقد بينا ذلك فيما مضى

جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتأنيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على أفعال وجوز في الكشاف أن يكون تأنيثه على أنه تكسير نعم (٨٥) وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام

والرابع المصدر من قولهم سكر فلان يسكر سكرا وسكرا وسكرانا فاذا كان ذلك كذلك وكان ما يسكر من الشراب حراما بما قدد لنا عليه في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام وكان غير جائز لنا أن نقول هو منسوخ اذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ وما لا يجوز اجتماع الحكم به ونا سخه ولم يكن في حكم الله تعالى ذكر بتحريم الخمر دليل على أن السكر الذي هو غير الخمر وغير ما يسكر من الشراب حرام اذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم ولم يكن مع ذلك اذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ أو ورد بانه منسوخ خبر من الرسول ولا أجمعت عليه الامة فوجب القول بما قلنا من أن معنى السكر في هذا الموضع هو كل ما حل شربه مما يتخذ من ثمر النخل والكرم اذا فسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب وخرج من أن يكون معناه السكر نفسه اذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ومن أن يكون بمعنى السكور وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول ان فيما وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها الناس من الانعام والنخل والكرم لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حجته ويفهمون عنه مواعظه فيتعظون بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يقول تعالى ذكره وألهم ربك يا محمد النحل إيحاءه اليها أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني مما يبنون من السقوف فرفعوها بالبناء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسحق التميمي وهو ابن أبي الصباح عن رجل عن مجاهد وأوحى ربك الى النحل قال ألهمها الهاما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال بلغني في قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن أصحابه قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها أن اتخذي من الجبال بيوتا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأوحى ربك الى النحل الآية قال أمرها ان تأكل من الثمرات وأمرها ان تتبع سبل ربها ذللا وقد بينا معنى الايحاء واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك معنى قوله يعرشون وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون

ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعرشون قال الكرم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يقول تعالى ذكره ثم كلي أيتها النحل من الثمرات فاسلكي سبل ربك يقول فاسلكي طرق ربك ذللا يقول مذللة لك والذلل جمع ذلول * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى فاسلكي سبل ربك ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاسلكي سبل ربك ذللا قال طرقا ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته وعلى هذا التأويل الذي تأوله مجاهد الذلل من نعت السبل والتأويل على قوله فاسلكي سبل ربك ذللا

يلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد قلت ماذكره الائمة حسن الا أنه لا يقع جوابا عن التخصيص والعلة السر فيه ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وامافي المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها منافع ومنها تأكلون وعليها لم يحتمل أن يكون المراد به البعض فانك ليكون نصا على أن المراد بها الكل روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث وأنكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة أما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن وأما التجربة فلان الدم لو كان في أعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء أن يقيء الدم وليس كذلك بل الحق ان الحيوان اذا تناول العلف حصل له في معدته أو كرشه هضم أول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية أما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددي رخو أبيض فيقلب الله

الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان أسخن وأخف والانثى أبرد وأرطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة ليصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها لهذه الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان فى الرحم تنصب بعد انفصال الجنين الى الثدى لتصير مادة لغذاء الطفل واعلم أنه تعالى خلق فى أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى أن تكمل انضمامه فى المعدة ويجذب ماصفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وأيضا انه أودع فى الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التى فى ذلك المأكول والمشروب طابخة لها حتى تنقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفى المعدة بالعكس وأودع فى المرارة قوة جاذبة للصفراء وفى الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام فى انصباب مادة اللبن الى الثدى فى وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن فى غير ذلك الوقت ثم انه تعالى أحدث فى حلمة الثدى ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المض أو الحلب فهى بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين أى سهل المرور فى الحلق حتى قيل انه لم يغص أحد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماعه من أجسام مختلفة الطبائع مع انها واحدة فى الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهى باردة رطبة ومنها الجبن وهو باردة يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى ألهم الطفل الصغير مض الثدى عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة باهرة تذل المحققون فى تقليب العشب فى هذه الاطوار الى أن يصير لبنا خالصا سائغا دليل على انه

الذلل لك ولا يتوعر عليك سبيل سلكتيه ثم أسقطت الالف واللام فنصب على الحال * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسلكى سبل ربك ذللا أى مطيعة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذللا قال مطيعة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسلكى سبل ربك ذللا قال الذلول الذى يقاد ويذهب به حيث أراد صاحبه قال فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون وهى تتبعهم وقرأ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم الآية فعلى هذا القول الذلل من نعت النحل وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة وجهان مخرجان غير انا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لانها اليها أقرب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه يقول تعالى ذكره يخرج من بطون النحل شراب وهو العسل مختلف ألوانه لان فيه أبيض وأحمر وأسمر وغير ذلك من الالوان * قال أبو جعفر أسمر ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب الى الحمرة وقوله فيه شفاء للناس * اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله فيه فقال بعضهم عادت على القرآن وهو المراد بها ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد فيه شفاء للناس قال فى القرآن شفاء * وقال آخرون بل أريد بها العسل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس فقد شفاء كما قال الله تعالى من الادواء وقد كان ينهى عن تفريق النحل وعن قتلها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ان أخاه اشتكى بطنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا ثم جاءه فقال ما زاده الا شدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فكأنما نشط من عقال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال شفاء آن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه شفاء للناس يعنى العسل وهذا القول أعنى قول قتادة أولى بتأويل الآية لان قوله فيه فى سياق الخبر عن العسل فان تكون الهاء من ذكر العسل اذ كانت فى سياق الخبر عنه أولى من غيره وقوله ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى اخراج الله من بطون هذه النحل الشراب المختلف الذى هو شفاء للناس لدلالة وحجة واضحة على من سخر النحل وهداها لاكل الثمرات التى تأكل واتخاذها البيوت التى تنحت من الجبال والشجر والعروش وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس انه الواحد الذى ليس كمثله شئ وانه لا ينبغى أن يكون له شريك ولا تصح الالوهة الا له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير) يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيأ لا الآلهة التى تعبدون من دونه فاعبدوا الذى خلقكم دون غيره ثم يتوفاكم يقول ثم يقبضكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر يقول ومنكم من يهرم فيصير الى أرذل العمر وهو أردؤه يقال منه رذل الرجل وفشل

تعالى قادر على تقليب الانسان فى أطواره الى أن يصير مستعدا للبقاء الابدى واللقاء السرمدى قال جار الله ومن فى ممانى بطونه للتبعيض ومن فى قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أى كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر أن يسلك

برذل رذالة ورذولا ورذلته أنا وقيل انه يصير كذلك فى خمس وسبعين سنة **حدثنى** محمد بن اسمعيل الفزارى قال أخبرنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حمران عن سعد بن طريف عن الاصبغ عن نباتة عن على فى قوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر قال خمس وسبعون سنة وقوله لكى لا يعلم بعد علم شيأ بعد علم كان يعلمه يقول انما نرده الى أرذل العمر ليعود جاهلا كما كان فى حال طفولته وصباه بعد علم شيأ يقول لئلا يعلم شيأ بعد علم كان يعلمه فى شبابه فذهب ذلك بالكبر ونسى فلا يعلم منه شيا وانسلخ من عقله فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيأ ان الله عليم قدير يقول ان الله لا ينسى ولا يتغير علمه عليم بكل ما كان ويكون قدير على ماشاء لا يجهل شيأ ولا يعجزه شئ أراده ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون) يقول تعالى ذكره والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض فى الرزق الذى رزقكم فى الدنيا فما الذين فضلهم الله على غيرهم بمارزقهم برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم يقول بمشركى مماليكهم فيما رزقهم من الاموال والازواج فهم فيه سواء يقول حتى يستووا هم فى ذلك وعبيدهم يقول تعالى ذكره فهم لا يرضون بان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله وقيل انما عنى بذلك الذين قالوا ان المسيح ابن الله من النصارى وقوله أفبنعمة الله يجحدون يقول تعالى ذكره أفبنعمة الله التى أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذى رزقهم فى الدنيا يجحدون باشراكهم غير الله من خلقه فى سلطانه وملكه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم يقول لم يكونوا يشركون عبيدهم فى أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدى فى سلطانى فذلك قوله أفبنعمة الله يجحدون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس هذه الآية فى شأن عيسى ابن مريم يعنى بذلك نفسه انما عيسى عبد فيقول الله والله ما تشركون عبيدكم فى الذى لكم فتكونوا أنتم وهم سواء فكيف ترضون لى بما لا ترضون لانفسكم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون وهذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد شارك مملوكه فى زوجته وفى فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض لنفسك هذا فانه أحق ان ينزه منه من نفسك ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال هذا الذى فضل فى المال والولد لا يشرك عبده فى ماله وزوجته يقول قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك فجعلت لله شريكا فى ملكه وخلقه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم

المانى مسلك البول وهو طاهر كما انه يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا وأما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب أى ومن الاعناب فاما أن يتعلق بمحذوف أى ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاستقاء واما أن يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التأكيد نظيره قولك زيد فى الدار فيها وانما ذكر الضمير فى منه لانه يعود الى المذكور أو الى المضاف المحذوف الذى هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله ومامنا الا له مقام معلوم أى ومامنا ملك الا له مقام معلوم أى ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففى الآية قولان أحدهما ويروى عن الشعبى والنخعى انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى المائدة وهى مدنية وثانيهما انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافى الحرمة على ان فى الآية تنبيها على الحرمة أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب فى السكر ان لا يكون رزقا حسنا الا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة الى حد السكر واحتج بان الآية دلت على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره فى معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام لعينها وهذا يقتضى أن يكون السكر شيأ غير الخمر وكل من

أثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن أبي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما أخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته أيدي الشيطان فقبح عند ذوي المروآت والاقدار وقيل السكر الطعم قاله أبو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن (٨٨) واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن أعجب أحوال الحيوان

أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) يقول تعالى ذكره والله الذي جعل لكم أيها الناس من أنفسكم أزواجا يعني انه خلق من آدم وزوجته حواء وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي والله خلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة * واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة فقال بعضهم هم الاختان أختان الرجل على بناته ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية قال ثنا أبان بن تغلب عن المنهال بن عمرو عن أبي حبيش عن عبد الله بنين وحفدة قال الاختان **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن ورقاء سألت عبد الله ما تقول في الحفدة هم حشم الرجل يا أبا عبد الرحمن قال لا ولكنهم الاختان **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا جميعا ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله قال الحفدة الاختان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان باسناده عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبري ومحمد بن خلف بن خراش والحسن بن خلف الواسطي قالوا ثنا يحيى بن سعيد القطان عن الاعمش عن أبي الضحى قال الحفدة الاختان **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الاختان **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير بنين وحفدة قال الحفدة الاختان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الختن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الاختان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال الاختان **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وحفدة قال الاصهار **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال الحفدة الاختان **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال قال لي عبد الله بن مسعود ما الحفدة يا زر قال قلت هم حفاد الرجل من ولده وولد ولده قال لا هم الاصهار * وقال آخرون هم أعوان الرجل وخدمه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن خالد بن خداش قال ثني سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب الاسدي عن أبي حمزة عن ابن عباس سئل عن قوله بنين وحفدة قال من أعانك فقد حفدك أما سمعت قول الشاعر

حفد الولائد حولها واستسلمت * باكفهن أذمة الاجمال

حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله بنين وحفدة قال الخدام **حدثني** محمد بن خالد بن خداش قال ثني سلم بن قتيبة عن حازم بن ابراهيم البجلي عن سماك عن عكرمة قال الحفدة الخدام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هم الذين يعينون الرجل من ولده وخدمه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سلام بن سليم وقيس عن سماك عن عكرمة قال هم الخدم

حال النحل المناسب عسلها اللين في موافقة اللذة وفي الخروج من البطن فاذلك أفردها بالذكر عقيب ذلك قائلا وأوحى ربك يا محمد او يا انسان الى النحل أي ألهمها وعلمها على وجه هو أعلم به ولقد حق لغريب أمرها وعجيب صنعتها أن يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب أمثالها الا الا بالمساطر والغرجازات وقد علم من الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب أمرها ان لها رئيسا هو أعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون نهيه وأمره ومنها انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى أوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي يعني الالهام قال الزجاج يجوز أن يقال سميت نحلا لانه تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهي مؤنثة في لغة أهل الحجاز ولذلك قال تعالى أن اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون أي يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مواضع تواتيها وتليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس وتصلح أحوالها ثم كلي من كل الثمرات أي بعضا من كل

[illegible] قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلام أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة مثله **حدثني** [illegible] قال ثنى سلمة عن أبي هلال عن الحسن فى قوله بنين وحفدة قال البنين و بنى البنين من [illegible] من أهل وخادم فقد حفدك **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن [illegible] عن الحسن قال هم الخدم **حدثني** محمد بن خالد وابن وكيع ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا [illegible] عن ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الحفدة الخدم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي **وحدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن جميعا عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنين وحفدة قال ابنه وخادمه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى بنين وحفدة قال أنصارا وأعوانا وخداما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زمعة عن [illegible] عن طاوس عن أبيه قال الحفدة الخدم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ابنه وخادمه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة مهنة يمهنونك ويخدمونك من ولدك كرامة أكرمكم الله بها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبي مالك الحفدة قال الاعوان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن عكرمة قال الذين يعينونه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله بنين وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن الحسن قال الحفدة الخادم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة بنين وحفدة قال ولده الذين يعينونه ، وقال آخرون هم ولد الرجل وولد ولده ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحفدة قال هم الولد وولد الولد **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية بنين وحفدة قال الحفدة البنون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبي بشر عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال بنوك حين يحفدونك [illegible] ويعينونك ويخدمونك قال جميل

حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة [illegible] الخدم من ولد الرجل هم ولده وهم يخدمونه قال وليس تكون العبيد من الازواج كيف [illegible] من زوجي عبدا انما الحفدة ولد الرجل وخدمه **حدثني** الحسين بن الفرج قال سمعت أبا [illegible] يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بنين وحفدة يعنى ولد الرجل [illegible] ويخدمونه وكانت العرب انما تخدمهم أولادهم الذكور ، وقال آخرون هم بنو امرأة [illegible] من غيره ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى [illegible] عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل ليسوا

البعيدة من بيوتك فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى انها ربما أحدث عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة ويجوز أن يريد بقوله ثم كلى اقصدى أكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله أن اتخذى ثم كلى فاسلكى أمر فمن الناس من قال لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله أمر ونهى ومنهم من أنكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجىء فى سورة النمل اما حدوث العسل من النحل فالاصح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث فى الهواء طل لطيف فى الليالى ويقع على أوراق الاشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منها أجزاء محسوسة وهى الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا مستقرا على الاوراق والازهار وهو الذى ألهم الله تعالى هذا النحل فتلتقط تلك الذرات بافواهها وتاكلها وتغتذى بها فاذا شبعت التقطت مرة أخرى وذهبت بها ووضعتها فى بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع فى بيوتها شئ محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء فى أفواهها نوع هضم وتغير ويصح لخاصية فيها فلذلك قال

يخرج من بطونها أى من أفواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل [illegible] الاوراق العطرية ما شاءت ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام فى داخل بدنه عسلا ثم انه يقيء مرة أخرى فذلك هو العسل [illegible] والقول الاول أقرب الى التجربة والقياس فان جالينوس الترنجبين قريبة من العسل فى الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث فى

الهواء ويقع على أطراف الأشجار والازهار فكذا العسل وأيضا النحل انما تغتذى بالعسل ولهذا يترك منه بقية فى بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب أى مايشرب يعضد القول الثانى وقوله مختلفا ألوانه أى منه أبيض وأصفر وأحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وأمزجة النحل واختلاف الازهار والاعشاب التى ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه شفاء للناس لانه من جملة

الاشفية والادوية المشهورة النافعة ولذا يقع فى أكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذى فيه أولان فيه بعض الشفاء فان كل دواء كذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان أخى يشتكى بطنه فقال سقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما نشط من عقال قال أهل المعانى انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بانه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن أخيك حين لم يظهر النفع فى الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم أنه سبحانه ختم الآية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه أمر مشاهد محسوس فتذكر ذلك فاقد الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المنبه على هذه الآية مسموع وختم الآية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان أمر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لامرها واتخاذها البيوت على اشكال يعجز عنها الحاذق من ناتم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها العابا أو قيأ يقتضى فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب أحوال الحيوان اتبعه بعجيب خلق الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيأ ثم يتوفيكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر الى أخسه وأحقره عن على رضى الله عنه هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدى هو حالة الخرف دليله قوله لكيلا يعلم بعد علم شيأ أى ليصير الى حالة شبيهة بحال

منه و يقال الحفدة للرجل تعمل بين يدى الرجل يقول فلان يحفد لنا و يزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم فيما جعل لهم من الازواج والبنين فقال تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة فاعلمهم انه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة والحفدة فى كلام العرب جمع حافد كما الكذبة جمع كاذب والفسقة جمع فاسق والحافد فى كلامهم هو المتخفف فى الخدمة والعمل والحفد خفة العمل يقال مر البعير يحفد حفدانا اذا مر يسرع فى سيره ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد أى نسرع الى العمل بطاعتك يقال منه حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه قول الراعى

كلفت مجهولها نوقا يمانية * اذا الحداة على أكسابها حفدوا

واذ كان معنى الحفدة ماذكرنا من انهم المسرعون فى خدمة الرجل المتخففون فيها وكان الله تعالى ذكره أخبرنا ان مما أنعم به علينا ان جعل لنا حفدة تحفد لنا وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا واخواننا الذين هم أزواج بنا تنا من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا اذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل على انه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم وكان قد أنعم بكل ذلك علينا لم يكن لنا ان نوجه ذلك الى خاص من الحفدة دون عام الا ما اجتمعت الامة عليه انه غير داخل فيهم واذا كان ذلك كذلك فكل الاقوال التى ذكرنا عمن ذكرنا وجه فى الصحة ومخرج فى التأويل وان كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بينا من الدليل وقوله ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال المعاش والارزاق والاقوات أفبالباطل يؤمنون يقول تعالى ذكره يحرم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل فيصدق هؤلاء المشركون بانه وبنعمة الله هم يكفرون يقول وبما أحل الله لهم من ذلك وأنعم عليهم باحلاله يكفرون يقول ينكرون تحليله ويجحدون أن يكون الله أحله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السموات لانها لا تقدر على انزال قطر منها لاحياء موتان الارضين والارض يقول ولا تملك لهم أيضا رزقا من الارض لانها لا تقدر على اخراج شئ من نباتها وثمارها لهم ولا شيأ مما عدد تعالى فى هذه الآية انه أنعم بها عليهم ولا يستطيعون يقول ولا تملك أوثانهم شيأ من السموات والارض بل هى وجميع ما فى السموات والارض لله ملك ولا يستطيعون يقول ولا تقدر على شئ وقوله فلا تضربوا لله الامثال يقول فلا تمثلوا لله الامثال ولا تشبهوا له الاشباه فانه لا مثل له ولا شبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الامثال الاشباه وحدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا تضربوا لله الامثال يعنى اتخاذهم الاصنام يقول لا تجعلوا معى الها غيرى فانه لا اله غيرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون قال هذه الاوثان التى تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا وقوله فلا تضربوا لله الامثال فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد

الطفل فى النسيان وعدم التذكر وقيل لا يعقل بعد عقله الاول شيأ أى لا يعلم زيادة علم على علمه وقيل ان الرد الى أرذل العمر ليس فى المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الآية قوله ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان فى أربع أولها سن النشو وثانيها سن الوقوف (٩١) وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفى اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء وأصحاب الطبيعى ان بدن الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت فى الجسم الرطب قلت رطوبته فلا تزال ما فى هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما فى العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد زائدة على حرارته فتكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشو وغايته الى ثلاثين أو الى خمس وثلاثين سنة ثم تصير رطوبات البدن أقل وتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا أنها لا تكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل الرطوبات بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة وهى سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن فى حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك كانت قوية على تحليل

يولد ولم يكن له كفوا أحد ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله أيها الناس يعلم خطأ ما يمثلون ويضربون من الامثال وصوابه وغير ذلك من سائر الاشياء وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطائه واختلف أهل العربية فى الناصب قوله شيأ فقال بعض البصريين هو منصوب على البدل من الرزق وهو فى معنى لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا وقال بعض الكوفيين نصب شيأ بوقوع الرزق عليه كما قال تعالى ذكره ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا أى تكفت الاحياء والاموات ومثله قوله تعالى ذكره أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال ولو كان الرزق مع الشئ لجاز خفضه لاعمالك لكم رزق شئ من السموات ومثله لجزاء مثل ما قتل من النعم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وشبه الله لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده والمؤمن به منهم فاما مثل الكافر فانه لا يعمل بطاعة الله ولا يأتى خيرا ولا ينفق فى شئ من سبيل الله ماله اغلبة خذلان الله عليه كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ فينفقه وأما المؤمن بالله فانه يعمل بطاعة الله وينفق فى سبيله ماله كالحر الذى آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا يقول بعلم من الناس وغير علم هل يستوون يقول هل يستوى العبد الذى لا يملك شيأ ولا يقدر عليه وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته * وبنحو ما قلنا فى ذلك كان بعض أهل العلم يقول ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ هذا مثل ضربه الله للكافر رزقه مالا فلم يقدم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله قال الله تعالى ذكره ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهذا المؤمن أعطاه الله مالا يعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة الله فاثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لاهله فى الجنة قال الله تعالى ذكره هل يستويان مثلا والله ما يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عبدا مملوكا لا يقدر على شئ قال هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيرا ومن رزقناه منا رزقا حسنا قال المؤمن يطيع الله فى نفسه وماله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى الكافر انه لا يستطيع أن ينفق نفقة فى سبيل الله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا يعنى المؤمن وهذا المثل فى النفقة وقوله الحمد لله يقول الحمد الكامل لله خالصا دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الاوثان فاياه فاحمدوا دونها وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول ما الامر كما تفعلون ولا القول كما تقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد لله ولكن أكثرهم وهؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون ان ذلك كذلك فهم بجهلهم بما يأتون ويذرون يجعلونها لله شركاء فى العبادة والحمد وكان مجاهد يقول ضرب الله هذا المثل والمثل الآخر بعده لنفسه وللآلهة التى تعبد من دونه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللآلهة التى تعبد من دونه فقال تعالى ذكره وضرب الله مثلا

أكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظما وغضروفا وعصبا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب أن تقوى الحرارة الغريزية قوة أزيد مما كانت قبل ذلك فوجب أن يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله أكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمنى الى أن صار عظما وعصبا أما بعد تولد البدن

فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه بوجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل الغريزة اما أن تكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة أو صارت أزيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب أن لا يظهر منه في هذا البدن تأثير أصلا * وأما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثة ولا ريب ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم أن لا ينهدم البدن الحيواني أبدا وليس كذلك وبوجه ثالث هب أن الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب أن تصير أقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية أيضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذى فينتهي الامر الى أن لا يبقى من الرطوبة شئ لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احداهما ضعف الاخرى فتنطفئ الحرارة أيضا ويحصل الموت وأورد عليهم ان الحرارة اذا أثرت في تجفيف الرطوبة وقللتها فلم لا يجوز أن تورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي وادا عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك ممنوع وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية ينفق وانما تحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فيثبت أن اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد وأما

رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ يعني بذلك الصنم انه لا يسمع شيأ ولا ينطق لانه اما خشب منحوت واما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ولا دفع ضر عنه وهو كل على مولاه يقول وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته فكذلك الصنم كل على من يعبده يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه كالابكم من الناس الذي لا يقدر على شئ فهو كل على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم أينما يوجهه لا يات بخير يقول حيثما يوجهه لا يات بخير لانه لا يفهم ما يقال له ولا يقدر ان يعبر عن نفسه ما يريد فهو لا يفهم ولا يفهم عنه فكذلك الصنم لا يعقل ما يقال له فيأتمر لامر من أمره ولا ينطق فيأمر وينهى يقول الله تعالى هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل يعني هل يستوي هذا الابكم الكل على مولاه الذي لا ياتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو اليه وهو الله الواحد القهار الذي يدعو عباده الى توحيده وطاعته يقول لا يستوي هو تعالى ذكره والصنم الذي صفته ما وصف وقوله وهو على صراط مستقيم يقول وهو مع أمره بالعدل على طريق من الحق في دعائه الى العدل وأمره به مستقيم لا يعوج عن الحق ولا يزول عنه * وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لا يقدر على شئ قال هو الوثن هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل قال الله يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وكذلك كان مجاهد يقول الا أنه كان يقول المثل الاول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا ورجلين أحدهما أبكم ومن يأمر بالعدل قال كل هذا مثل اله الحق وما يدعى من دونه من الباطل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم قال انما هذا مثل ضربه الله * وقال آخرون بل كلا المثلين للمؤمن والكافر وذلك قول روي عن ابن عباس وقد ذكرنا الرواية عنه في المثل الاول في موضعه وأما في المثل الآخر **فحدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه الى آخر الآية يعني بالابكم الذي هو كل على مولاه الكافر وبقوله ومن يأمر بالعدل المؤمن وهذا المثل في الاعمال **حدثنا** الحسن بن الصباح البزار قال ثنا يحيى بن اسحق السيلحيني قال ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن ابراهيم عن عكرمة بن يحيى بن أمية عن ابن عباس في قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا قال نزلت في رجل من قريش وعبده وفي قوله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ الى قوله وهو على صراط مستقيم قال هو عثمان بن عفان قال والابكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير ذاك مولى عثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة وكان الآخر يكره الاسلام ويابى وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما وانما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الاول لانه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته ومثل مثل المؤمن الذي رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا فلم يجز أن يكون ذلك الله مثلا اذ كان الله انما مثل الكافر الذي لا يقدر على شئ بانه لم يرزقه رزقا

الطبيعة جاهلة عاجزة قلت لاشك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن آثار القوى والطبائع أيضا بعيدة عن الانصاف والحق انها وسائط وآلات لما فوقها من المبادى والعلل الى أن ينتهى الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد

ينفق منه سرا ومثل المؤمن الذى وفقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله كالحر الذى بسط له فى الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق فغير جائز أن يمثل افضاله وجوده بانفاق المرزوق الرزق الحسن وأما المثل الثانى فانه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الابكم الذى لا يقدر على شئ والكفار لاشك ان منهم من له الاموال الكثيرة ومن يضر أحيانا الضر العظيم بفساده فغير كائن مما لا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة فاذا كان ذلك كذلك كان أولى المعانى به تمثيل مما لا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره بمثله مما لا يقدر على شئ وذلك الوثن الذى لا يقدر على شئ بالابكم الكل على مولاه الذى لا يقدر على شئ كما قال ووصف ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والارض دون آلهتكم التى تدعون من دونه ودون كل ما سواه لا يملك أحد سواه وما أمر الساعة الا كلمح البصر يقول وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق للوقوف فى موقف القيامة الا كنظرة من البصر لان ذلك انما هو أن يقال له كن فيكون كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا كلمح البصر أو هو أقرب والساعة كلمح البصر أو أقرب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وما أمر الساعة الا كلمح البصر هو أن يقول كن فهو كلمح البصر فامر الساعة كلمح البصر أو أقرب يعنى يقول أو هو أقرب من لمح البصر وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على اقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر على ما يشاء من الاشياء كلها لا يمتنع عليه شئ أراده ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره والله تعالى أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيأ ولا تعلمون فرزقكم عقولا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها مالم تكونوا تبصرون وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الاصوات فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والابصار التى تبصرون بها الاشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض والافئدة يقول والقلوب التى تعرفون بها الاشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها لعلكم تشكرون يقول فعلنا ذلك بكم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك دون الآلهة والانداد فجعلتم له شركاء فى الشكر ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك وقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ كلام متناه ثم ابتدأ الخبر فقيل وجعل الله لكم السمع والابصار والافئدة وانما قلنا ذلك كذلك لان الله تعالى ذكره جعل لعباده السمع والابصار والافئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم وانما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ألم تروا أيها المشركون بالله الى الطير مسخرات فى جو السماء يعنى فى هواء السماء بينها وبين الارض كما قال ابراهيم بن عمران الانصارى

ويل امها من هواء الجو طالبة * ولا كهذا الذى فى الارض مطلوب

بدل ما يتحمل فيحمل الاجل بتقدير العليم القدير وهو التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على أرض البشرية صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر أهل السعادة الى أجلهم وهو افناء صفات النفس بصفات القلب والروح فى حينه وأوانه ويؤخر أهل الشقاء الى أوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون أى يعاملون الله باعمال يكرهون أن يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم أنفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله أنزل من سماء العزة ما بيان القرآن فاحيا به أرض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على أنبيائهم ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم فى الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث الخاطر الشيطانى ودم الخاطر النفسانى لبنا خالصا من الالهام الربانى سائغا للشاربين جائزا لاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا وهو ما يجعل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

وأوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر أن اتخذى من الجبال بيوتا أراد الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحث فى غار حراء أسبوعا وأسبوعين وشهرا ولا بد أن يتنظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم

كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها أغذية تحمل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى أن تصل الى المقعد الصدق عند مليكها فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتثبت عندربها يطعمها ويسقيها فحينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعانى والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم أخرجكم من العدم الى الوجود ثم يتوفاكم عن الوجود المجازى ومنكم من يرد الى أرذل العمر وهو مقام الفناء فى الله لكيلا يعلم بعد فناء علمه شيأ يعلمه بل يعلم به الاشياء كما هى والله أعلم بالصواب (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن

يعنى فى هواء السماء ما يمسكهن الا الله بقول ما طيرانها فى الجو الا بالله وبتسخيره اياها بذلك ولو سلبها ما أعطى من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى تسخير الله الطير وتمكينه لها الطيران فى جو السماء لعلامات ودلالات على أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانه لا حظ للاصنام والاوثان فى الالوهة لقوم يؤمنون يعنى لقوم يقرون بوجدان ما تعاينه أبصارهم وتحسه حواسهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مسخرات فى جو السماء أى فى كبد السماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين) يقول تعالى ذكره والله جعل لكم أيها الناس من بيوتكم التى هى من الحجر والمدر سكنا تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وهى البيوت من الاظعان والفساطيط من الشعر والصوف والوبر تستخفونها يقول تستخفون حملها وثقلها يوم ظعنكم من بلادكم وأمصاركم لاسفاركم ويوم اقامتكم فى بلادكم وأمصاركم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى من بيوتكم سكنا تسكنون فيه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واما الاشعار فجمع شعر تثقل عينه وتخفف وواحدا الشعر شعرة وأما الاثاث فانه متاع البيت لم يسمع له بواحد وهو انه لا واحد له مثل المتاع وقد حكى عن بعض النحويين انه كان يقول واحد الاثاث أثاثة ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ومن الدليل على ان الاثاث هو المتاع قول الشاعر

اهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذى الرى الجميل من الاثاث

ويروى بذى الزى وأنا أرى أصل الاثاث اجماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر كالشعر الاثيث وهو الكثير الملتف يقال منه أث شعر فلان يئث أثا اذا كثر والتف واجتمع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أثاثا قال يعنى بالاثاث المال **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أثاثا قال متاعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أثاثا قال هو المال **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن حرب الرازى قال أخبرنا سلمة عن محمد بن اسحق عن حميد بن عبد الرحمن فى قوله أثاثا قال الثياب وقوله ومتاعا الى حين فانه يعنى انه جعل ذلك لهم بلاغا يتبلغون ويكتفون به الى حين اجالهم للموت كما **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومتاعا الى حين فانه يعنى زينة يقول ينتفعون به الى حين **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو

حذيفة

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) القراءة تجحدون بتاء الخطاب أبو بكر وحماد

حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومتاعا الى حين قال الموت **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومتاعا الى حين الى أجل ۞ بلغة القول في تأويل قوله تعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) يقول تعالى ذكره ومن نعمة الله عليكم أيها الناس ان جعل لكم مما خلق من الاشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحر وهي جمع ظل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة في قوله مما خلق ظلالا قال الشجر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم مما خلق ظلالا أي والله من الشجر ومن غيرها وقوله وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها وهي جمع كن كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول غيرانا من الجبال يسكن فيها وقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقصها كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر من القطن والكتان والصوف **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سرابيل تقيكم الحر قال القطن والكتان وقوله وسرابيل تقيكم بأسكم يقول ودرعا تقيكم بأسكم والبأس هو الحرب والمعنى تقيكم في بأسكم السلاح أن يصل اليكم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم من هذا الحديد **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم قال هي سرابيل من حديد وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول تعالى ذكره كما أعطاكم بكم هذه الاشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم فهكذا يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول لتخضعوا لله بالطاعة وتذل منكم بتوحيده النفوس وتخلصوا له العبادة وقد روي عن ابن عباس انه كان يقرأ لعلكم تسلمون بفتح التاء **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا ابن المبارك عن حنظلة عن شهر بن حوشب قال كان ابن عباس يقول لعلكم تسلمون قال يعني من الجراح **حدثنا** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن العوام عن حنظلة السدوسي عن شهر بن حوشب عن ابن عباس انه قرأها لعلكم تسلمون من الجراحات قال أحمد بن يوسف قال أبو عبيد يعني بفتح التاء واللام فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه كذلك يتم نعمته عليكم بما جعل لكم من السرابيل التي تقيكم بأسكم لتسلموا من السلاح في حروبكم والقراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله لعلكم تسلمون وكسر اللام من أسلمت تسلم لهذا الاجماع الحجة من قراء الامصار عليها فان قال لنا قائل وكيف قيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فخص بذلك ذكر الحر دون البرد وهي تقي الحر والبرد أم كيف قيل وجعل لكم من الجبال أكنانا وترك ذكر ما جعل لهم من السهل قيل له قد اختلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك وسنذكر ما قيل في ذلك ثم ندل على أولى الاقوال في ذلك بالصواب فروي عن عطاء الخراساني في ذلك ما **حدثني** الحارث قال ثنا القاسم قال ثنا محمد بن كثير عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال انما نزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى الى قول الله تعالى ذكره والله جعل لكم مما خلق ظلالا

بكسر الهمزة وفتح الميم على أمهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم ألم تر واعلى الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحها * الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون ه لا للعطف ولا يستطيعون ه ج لابتداء النهي مع فاء التعقيب الامثال ط لا يعلمون ه وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ه مولاه لان الجملة بعده صفة أحدهما بخير ط ثم لا وقف الى مستقيم لاتحاد الكلام ولا رض ط أقرب ط قدير ه شيأ لا للعطف والافادة لا لتعلق لعلكم تشكرون ه السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط يؤمنون ه اقامتكم لا لوقوع جعل على أثاثا الى حين ه باسكم ط تسلمون ه المبين ه الكافرون ه * التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في أطوار مراتب العمر أراد أن يذكره طرفا من سائر أحواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك أمر مقسوم من قبل القسام والانام يكن الغافل رخي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب مالك تقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها ورب ما أحضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها وربما ترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ما يقيم به طعاما وللمفسرين في الآية قولان أحدهما أن المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه

جعل بعض الناس موالي بعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلين انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق وانما ذلك الرزق لهم أجريته لهم على أيديهم وثانيهما أن المراد الرد على من أثبت لله شريكا كالصنم أو كعيسى فضرب له مثلا فقال أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس فالغاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك أن تقول بمعنى حتى أي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت أفبنعمة الله وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون أو جعل عدم التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة أو جعل اعتقاد أهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى أولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا كان ظاهره للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة البتة الحالة الاخرى من أحوال الانسان قوله عم طوله والله جعل لكم من أنفسكم أي من جنسكم أزواجا ليكون الانس به أتم ولا ريب أن تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب من الخصية اليمنى الى الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر أسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد تاما في الانوثية واذا انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل أن يكون الكلام

وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال ألا ترى الى قوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ألا ترى الى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون به ألا ترى الى قوله سرابيل تقيكم الحر وما تقى من البرد أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب حر فالسبب الذي من أجله خص الله تعالى ذكره السرابيل بانها تقي الحر دون البرد على هذا القول هو ان المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكروها به عرفوا مكروهه دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه وكذلك ذلك في سائر الاحرف وقال آخرون ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر اذ كان معلوما عند المخاطبين به معناه وان السرابيل التي تقي الحر تقي أيضا البرد وقالوا ذلك موجود في كلام العرب مستعملا واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر

وما أدري اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يليني

فقال أيهما يليني يريد الخير أو الشر وانما ذكر الخير لانه اذا أراد الخير فهو يتقي الشر * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان القوم خوطبوا على قدر معرفتهم وان كان في ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك وذلك ان الله تعالى ذكره انما عدد نعمه التي أنعمها على الذين قصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم فذكر أياديه عندهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به اليهم من الحق فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه فما عليك من لوم ولا عذل لانك قد أديت ما عليك في ذلك انه ليس عليك الا بلاغهم ما أرسلت به ويعني بقوله المبين الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه وأما قوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها فان أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة التي أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين انهم ينكرونها مع معرفتهم بها فقال بعضهم هو النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن السدي مثله وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يعرفون ان ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وان الله هو المنعم بذلك عليهم ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون انهم ورثوه عن آبائهم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنا** المثنى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و**حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال هي المساكن والانعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب يعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بان تقول هذا كان لآبائنا فورثونا اياها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال فورثونا اياها وزاد في الحديث عن ابن جريج قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير يعلمون ان الله خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم فهو معرفتهم نعمته ثم انكارهم اياها كفرهم

فى المزاج الصنفى لا فى المزاج الشخصى وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الآخر وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة أصل الحفد الاسراع فى الخدمة والفاعل حافدوا بمعنى حفدة فقيل أراد بها فى الآية الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون أنفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة لان لذة المذكوح لا تهنأ الا بعد الفراغ من لذة المطعوم أو بعد الفراغ من تحصيل أسبابها أو ردمن التبعيضية لان لذة كل الطيبات لا تكون الا فى الجنة ثم ختم الآية بقوله أفبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عددده فى الآيات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله هم يكفرون وفى آخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب وأما الآية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الآيات الدالة على الاقرار بالتوحيد أنكره صنيع أهل الشرك عليهم قائلا ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت به شيأ أى لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا أو يكون تأكيدا للا يملك أى لا يملك شيأ من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق أما الضمير فى ولا يستطيعون فعائد الى ما يعبد ان قيل لا يملك على اللفظ المفرد وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام آلهة والفائدة فى نفى الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيأ قد يكون موصوفا باستطاعة ان يملك بطريق من الطرق فبين تعالى انهم لا يملكون ولا يستطيع تحصيل الملك وجوز فى الكشاف أن يكون الضمير

كفرهم بعد * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية عن عمرو عن أبى اسحق الفزارى عن ليث عن عون بن عبد الله بن عتبة يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال انكارهم اياها ان يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار اذا قيل لهم من رزقكم قروا بان الله هو الذى يرزقهم ثم ينكرون ذلك بقولهم رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عنى بالنعمة التى ذكرها الله فى قوله يعرفون نعمة الله النعمة عليهم بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم داعيا الى ما بعثه بدعائهم اليه وذلك ان هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما بعث به فاولى ما بينهما أن يكون فى معنى ما قبله وما بعده اذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذى قبل هذه الآية قوله فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وما بعده ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا وهو رسولها فاذا كان ذلك كذلك فمعنى الآية يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك وأكثرهم الكافرون يقول وأكثر قومك الجاحدون نبوتك لا المقرون بها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون) يقول تعالى ذكره يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو الشاهد عليها بما أجابت داعى الله وهو رسولهم الذى أرسل اليهم ثم لا يؤذن للذين كفروا يقول ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار فيعتذروا بما كانوا بالله وبرسوله يكفرون ولا هم يستعتبون فيتركوا الرجوع الى الدنيا فينيبوا ويتوبوا وذلك كما قال تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وشاهدها نبيها على أنه قد بلغ رسالات ربه قال الله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) يقول تعالى ذكره واذا عاين الذين كذبوك يا محمد وجحدوا نبوتك والامم الذين كانوا على منهاج مشركى قومك عذاب الله فلا يخفف عنهم من عذاب الله شئ لانهم لا يؤذن لهم فيعتذرون فيخفف عنهم العذاب بالعذر الذى يدعونه ولا هم ينظرون يقول ولا يرجؤن بالعقاب لان وقت التوبة والانابة قد فات فليس ذلك وقتا لهما وانما هو وقت للجزاء على الاعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) يقول تعالى ذكره واذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والاوثان وغير ذلك قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا فى الكفر بك والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك قال الله تعالى ذكره فالقوا يعنى شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القول يقول قالوا لهم انكم لكاذبون أيها المشركون ما كنا ندعوكم الى عبادتنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فالقوا اليهم القول قال حدثوهم حدثنا

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون) يقول تعالى ذكره وألقى المشركون الى الله يومئذ اسلم يقول استسلموا يومئذ وذلوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم التى كانوا يدعون فى الدنيا من دون الله وتبرأت منهم ولا قومهم ولا عشائرهم الذين كانوا فى الدنيا يدافعون عنهم والعرب تقول ألقيت اليه كذا تعنى بذلك قلت له وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألقوا الى الله يومئذ السلم يقول ذلوا واستسلموا يومئذ وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) يقول تعالى ذكره الذين جحدوا يا محمد نبوتك وكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك وصدوا عن الايمان بالله وبرسوله من أراده زدناهم عذابا يوم القيامة فى جهنم فوق العذاب الذى هم فيه قبل أن يزادوه وقيل تلك الزيادة التى وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب لها أنياب كالنخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وابن عيينة عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال أفاعى حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله قال أفاعى فى النار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح قالا ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدلم يستغيث أهل النار الى ذلك الجباب أو الساحل فتثب اليهم فتأخذ بشفاههم وشفارهم الى أقدامهم فيستغيثون منها الى النار فيقولوا النار النار فتتبعهم حتى تجدرهافترجع قال وهى فى أسراب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال ان لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كاعناق البخت وقوله بما كانوا يفسدون يقول زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون بما كانوا فى الدنيا يعصون الله ويأمرون عباده بمعصيته فذلك كان افسادهم اللهم انا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) يقول تعالى ذكره ويوم نبعث فى كل

فنهوا عن غير الحنيفية والاخلاص وعلل النهى بقوله ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وأنتم لا تعلمون ما فى عباداتهم من العذاب وفيه ان القياس الذى توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم أبدل من المثل قوله عبدا مملوكا لا حر افان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شئ ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالآية على أن العبد لا يملك شيأ وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على أن العبدية أينما وجدت فهى علة للذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو أن كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وأيضا قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا يقتضى أن لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيأ ما صدق عليه ان الله قد آتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على أن عدم اقتدار العبد مخصوص بماله تعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق أيضا قال جار الله الظاهر ان من فى قوله ومن رزقناه موصوفة كانه قيل وحر رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه أراد الاحرار والعبيد والمفسرين فى مضرب المثل أقوال فالاكثرون على انه أراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وفرضنا حرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التى لا تملك ولا تقدر البتة

وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والآخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والغرض انهم ما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان الاول مساو لرب العالمين الحمد لله قال ابن عباس أراد الحمد لله على ما فعل باوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شئ من الحمد للاصنام لانه لا نعمة لها على أحد بل أكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لي وقيل أراد قل الحمد لله والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم واما لمن رزقه الله رزقا حسنا وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف وقيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله أي على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل أكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها أعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم الاعي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه أصله من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه أي ثقيل وعيال على من يلي أمره وبقوله أينما يوجهه حيثما يرسله لا يأت بخير لم ينجح في مطلبه والتوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي هو أي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يامر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الآمر بالعدل يجب أن يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتاتى منه الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض كونه

أمة شهيدا عليهم من أنفسهم يقول نسأل نبيهم الذي بعثناه اليهم للدعاء الى طاعتنا وقال من أنفسهم لانه تعالى ذكره كان يبعث الى أمم أنبياء هامنها ماذا أجابوكم وماردوا عليكم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك اليهم بما أجابوك وماذا عملوا فيما أرسلتك به اليهم وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ يقول نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس اليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب وهدى من الضلالة ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه من حدود الله وأمره ونهيه فاحل حلاله وحرم حرامه وبشرى للمسلمين يقول وبشارة ان أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة وعظيم كرامته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا أبان بن تغلب عن الحكم عن مجاهد تبيانا لكل شئ قال مما أحل وحرم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن أبان بن تغلب عن مجاهد في قوله تبيانا لكل شئ مما أحل لهم وحرم عليهم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد في قوله تبيانا لكل شئ قال ما أمر به ومانهى عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ قال ما أمروا به ونهوا عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن رجل قال قال ابن مسعود أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شئ قد بين لنا في القرآن ثم تلا هذه الآية ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) يقول تعالى ذكره ان الله يامر في هذا الكتاب الذي أنزله اليك يا محمد بالعدل وهو الانصاف ومن الانصاف الاقرار بمن أنعم علينا بنعمته والشكر له على افضاله وتولي الحمد أهله واذا كان ذلك هو العدل لم يكن للاوثان والاصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلا بنا حمدها وعبادتها وهي لا تنعم فتشكر ولا تنفع فتعبد فلزمنا ان نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وبذلك قال من قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا اله الا الله ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان قال شهادة أن لا اله الا الله وقوله والاحسان فان الاحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى في الشدة والرخاء والمكره والمنشط وذلك هو أداء فرائضه كما **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والاحسان يقول أداء الفرائض وقوله وايتاء ذي القربى يقول واعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم كما **حدثني** المثنى وعلي قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وايتاء ذي القربى يقول الارحام وقوله وينهى عن الفحشاء قال الفحشاء في هذا الموضع الزنا ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح عن علي عن ابن عباس وينهى عن الفحشاء يقول الزنا وقد بينا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل وقوله والبغي قيل عني بالبغي في هذا الموضع الكبر والظلم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس

أبكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لآلهة الخلق وما يدعى من دونه أم الأبكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شئ وهو كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى أى وجه يوجهه الصنم لا يأتى بخير وأما الذى يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدى باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة (١٠٠) فى هشام بن عمرو وهو الذى ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه أبو الحوار الذى كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت فى سعيد بن أبى العيص وفى عثمان ابن عفان مولاه والاصح ان المقصود من الآية الاولى كل عبد موصوف بالصفات الذميمة وكل حر موصوف بالخصال الجيدة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض أى يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما أو أراد بغيبهما ما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرئى وكل زمان قابل للتجزئة فلذلك قال أو هو أقرب وليس هذه من قبيل المبالغة وانما هو كلام فى غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقيل معنى أمر الساعة ان اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون فى أقرب وقت وأقله ثم أكده بقوله ان الله على كل شئ قدير ثم زاد فى التأكيد بذكر حالة أخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ قال جار الله هو فى موضع الحال أى غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم ابو هذه الاشياء والآلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم والافئدة فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى تستعمل فى مقام الكثرة أيضا للعدم ورود غيرها واعلم أن جمهور الحكماء

والبغى يقول الكبر والظلم وأصل البغى التعدى ومجاوزة القدر والحد من كل شئ وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وقوله يعظكم لعلكم تذكرون يقول يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا الى أمره ونهيه وتعرفوا الحق لاهله كما حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يعظكم يقول يوصيكم لعلكم تذكرون وقد ذكر عن ابن عيينة انه كان يقول فى تاويل ذلك ان معنى العدل فى هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا وان معنى الاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته وان الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وذكر عن عبد الله بن مسعود انه كان يقول فى هذه الآية ما حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا معمر بن سليمان قال سمعت منصور بن النعمان عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية فى القرآن فى سورة النحل ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الى آخر الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبى عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية فى القرآن لخير أو لشر آية فى سورة النحل ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف الاخلاق ومذمومها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون) يقول تعالى ذكره وأوفوا بميثاق الله اذا واثقتموه وعقده اذا عاقدتموه فاوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يقول ولا تخالفوا الامر الذى تعاقدتم فيه الايمان يعنى بعد ما شددتم الايمان على أنفسكم فتحنثوا فى أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد ابرامها يقال منه وكد فلان يمينه يوكدها توكيدا اذا شددها وهى لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أكدتها أوكدها تأكيدا وقوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يقول وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الوفى منكم بعهد الله الذى عاهد على الوفاء به والناقض * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل على اختلاف بينهم فيمن عنى بهذه الآية وفيما أنزلت فقال بعضهم عنى بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وفيهم أنزلت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليلى عن بريدة قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم قال أنزلت هذه الآية فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هذه البيعة التى بايعتم على الاسلام ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها البيعة فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين ان تنقضوا البيعة التى بايعتم على الاسلام وان كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة وقال آخرون نزلت فى الحلف الذى كان أهل الشرك تحالفوا فى الجاهلية فامرهم الله عز وجل فى الاسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها قال تغليظها فى الحلف حدثنى المثنى قال ثنا

زعموا ان الانسان فى مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم فى خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها فى ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا فى جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم (١٠١) بديهية وان لم تكن كذلك بل كانت متوقفة على

أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يقول بعد تشديدها وتغليظها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد فجاءهم قوم فقالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهدهم هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا فذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان تكون أمة هى أربى من أمة هى أربى أكثر من أجل ان كان هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا فى هذا حدثنى ابن الرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال سألت يحيى بن سعيد عن قول الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها قال العهود والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى أمر فى هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التى يجعلونها على أنفسهم ونهاهم عن نقض الايمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحق مما لا يكرهه الله وجائز أن تكون نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهيهم عن نقض بيعتهم حذرا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وأن تكون نزلت فى الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم فى آخرين لكثرة عددهم وجائز أن يكون فى غير ذلك ولا خبر تثبت به الحجة انها نزلت فى شئ من ذلك دون شئ ولا دلالة فى كتاب ولا سنة قيل أى ذلك عنى بها ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه وان الآية كانت قد نزلت لسبب من الاسباب ويكون الحكم بها عاما فى كل ما كان بمعنى السبب الذى نزلت فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قال وكيلا وقوله ان الله يعلم ما تفعلون يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس يعلم ما تفعلون فى العهود الذى تعاهدون الله من الوفاء بها والاحلاف والايمان التى تؤكدونها على أنفسكم أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم يحص ذلك كله عليكم وهو مسائلكم عنها وعما علمتم فيها يقول فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبل لكم به من أليم عقابه القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الايمان بعد توكيدها وآمرا بوفاء العهود وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد ابرامه وناكثه من بعد احكامه ولا تكونوا أيها الناس فى نقضكم أيمانكم بعد توكيدها واعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق كالتى نقضت غزلها من بعد قوة فبنى من بعد ابرام وكان بعض أهل العربية يقول القوة ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن وقيل ان التى كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير كالتى نقضت غزلها من بعد قوة قال خرقاء كانت بمكة تنقضه بعد ما تبرمه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صاحبة عن السدى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم قال هى خرقاء بمكة كانت اذا أبرمت غزلها نقضته وقال آخرون انما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل وقالوا

علوم سابقة عليها ولا محالة تنتهى الى البديهيات قطعا للدور أو التسلسل فهى علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف فى النفوس الانسانية هو ان الله تعالى أعطى الحواس والقوى المدراكة للصور الجزئية وعندى ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهى التى ينبغى أن تسمى بالبديهيات وانما لا يظهر آثارها عليها عند انفصال الجنين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوى وترقى ظهرت آثارها شيأ فشيأ وقد برهنا على هذه المعانى فى كتبنا الحكمية فالمراد بقوله لا تعلمون شيأ انه لا يظهر أثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على التعلق ومعنى لعلكم تشكرون ارادة ان تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على أخرج أن يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن وقد مر فى أول البقرة فى تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم يحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال ألم يروا الى الطير مسخرات ما للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب المؤاتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامهن بسط الجناح وقبضه فيه عمل السابح فى الماء وفى جو السماء أى فى الهواء المتباعد من الارض فى سمت العلو وهو مضاعف عينه ولامه واو ما يمسكهن الا الله بقدرته أو باعطاء الآلات التى لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة أحوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت أو الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها أى تعدونها خفيفة الحمل فى

الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم أى فى وقت ارتحالكم والظعن بفتح العين وسكونها سير أهل البادية لنجعة ثم استعمل فى كل شخوص لسفر ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن أن يكون اليوم على حقيقته أى يوم ترجعون تخف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل عليكم ضربها ومن أصوافها وهى للضأن وأوبارها وهى للابل وأشعارها وهى للمعز أثاثا وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال أبو زيد الاثاث المال أجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة أثاثة قال ابن عباس أراد طنافس وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل (١٠٢) أصله من أث النبات والشعر يئث اذا كثر قيل انه تعالى عطف قوله ومتاعا على

أثاثا فوجب أن يتغايرا فما الفرق وأجيب بان الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به فلك لا يبعد أن يراد بالاثاث والمتاع ماهو الجامع بين الوصفين كونه أثاثا وكونه مما يتمتع به الى حين أى الى أن تقضوا أوطاركم منه أو الى أن تبلى وتفنى أو الى الموت أو الى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام وأبنية يستظل بها لفقر أو لعارض آخر فيحتاج الى أن يستظل بشجر أو جدار أو غمام ونحوها فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وقد يحتاج المسافر الى حصن يأوى اليه فى نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر والبرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك من بقوله وجعل لكم من الجبال أكنانا هى جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة فى الجبال وكالغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهى القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم لغلبة الحرارة فى بلادهم على ان ذكر أحد الضدين يغنى فى الاغلب عن ذكر الآخر لتلازمهما فى الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم باسكم كالدرع والجوشن كذلك يتم نعمته أى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وأنعم بها عليكم فانه يتم نعم الدين والدنيا لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه انه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة أى يسلم قلوبكم من الشرك أو تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين وليس اليك الهداية ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله التى عددناها و يحالفون

فى معنى نقضت غزلها من بعد قوة نحو مما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما أحمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة قال غزلها حبلها تنقضه بعد ابرامها اياه ولا تنتفع به بعد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كالتى نقضت غزلها من بعد قوة قال نقضت حبلها من بعد ابرام قوة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا قال هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذى يعطيه ضرب الله هذا له مثلا بمثل التى غزلت ثم نقضت غزلها فقد أعطاهم ثم رجع فنكث العهد الذى أعطاهم وقوله أنكاثا يعنى انقاضا وكل شئ نقض بعد الفتل فهو انكاث واحدها نكث حبلا كان ذلك أو غزلا يقال منه نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا والحبل منتكث اذا انتقضت قواه وانما عنى به فى هذا الموضع نكث العهد والعقد وقوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة يقول تعالى ذكره تجعلون أيمانكم التى تحلفون بها على انكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه دخلا بينكم يقول خديعة وغرورا لتطمئنوا اليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والنقلة عنهم الى غيرهم من أجل ان غيرهم أكثر عددا منهم والدخل فى كلام العرب كل أمر لم يكن صحيحا يقال منه أنا أعلم دخل فلان ودخله ودخلله وداخلة أمره ودخلته ودخيلته وأما قوله ان تكون أمة هى أربى من أمة فان قوله أربى أفعل من الربى يقال هذا أربى من هذا وأربأ منه اذا كان أكثر منه ومنه قول الشاعر

وأسمر خطى كان كعوبه * برى العسيب قد أربى ذرعا على عشر

وانما يقال أربى فلان من هذا وذلك للزيادة التى يزيدها على غريمه على رأس ماله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تكون أمة هى أربى من أمة يقول أكثر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هى أربى من أمة يقول ناس أكثر من ناس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان تكون أمة هى أربى من أمة قال كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء

حيث يعرفون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادة غيره من أنعم بها وبقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا أو وصل الينا بتربية فلان أو انهم لا يستعملونها في طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال وأكثرهم الكافرون لانه استعمل الاكثر مقام الكل أو أراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين أو أراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق الرسول أو لانه لم تقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت ويحتمل أن يراد بالكافرين (١٠٣) المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله ان

ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم فنهوا عن ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **وحدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يقول خيانة وغدرا بينكم ان تكون أمة هي أربى من أمة ان يكون قوم أعز وأكثر من قوم **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة دخلا بينكم قال خيانة بينكم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم تغر بها يعطيه العهد يؤمنه وينزله من مأمنه فتزل قدمه وهو في مامن ثم يعود يريد الغدر قال فاول بدو هو قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم بعضا العهد فجاءهم قوم قالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا وذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان تكون أمة هي أربى من أمة هي أربى أكثر من أجل ان كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا في هذا وكان الامر الآخر في الذي يعاهده فينزله من حصنه ثم ينكث عليه الآية الاولى في هؤلاء القوم وهي مبدؤه والاخرى في هذا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان تكون أمة هي أربى من أمة يقول أكبر يقول فعليكم بوفاء العهد وقوله انما يبلوكم الله به يقول تعالى ذكره انما يختبركم الله بامره اياكم بالوفاء بعهد الله اذا عاهدتم ثم ليبينن المطيع منكم المنتهي الى أمره ونهيه من العاصي المخالف أمره ونهيه وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره وليبينن لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة اذا وردتم عليه بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته ما كنتم فيه تختلفون والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا ان المؤمن بالله كان يقر بوحدانية الله ونبوة نبيه ويصدق بما ابتعث به أنبياءه وكان يكذب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسالن عما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره ولو شاء ربكم أيها الناس لالطف لكم بتوفيق من عنده فصرتم جميعا جماعة واحدة وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم فجعلكم أهل ملل شتى بان وفق هؤلاء للايمان به والعمل بطاعته فكانوا مؤمنين وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم ثم ليجازينكم جزاءكم المطيع منكم بطاعته والعاصي له بمعصيته ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا

في مطلق الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى أعلم

* التأويل فضل الارواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والردالى البقاء وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان في رزق التزكية والتخلية والتحلية وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين بحمل اعباء الشريعة فالارواح مرادي رزقهم على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان أفبنعمة الله التي أنعم بها على أوليائه تجحدون يا منكري هذا الحديث والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يعني ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من أزواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهن النفوس أفبالباطل وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التي أنعم بها على أرباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى مالا يملك لهم رزقا من سموات القلوب وأرض النفوس شيا من الكمالات التي أودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا أن تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى وللدنيا ومن رزقناه ولاية كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل أكثرهم لا يعلمون أولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره أحدهما أبكم هو النفس الحيوانية التي لا تقدر على شئ من العلم والعقل والايمان وهو ثقل على مولى الروح المسمى بالنفس الناطقة لا يأتي بخير لانها أمارة بالسوء ولله غيب سموات الارواح وأرض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره ولو وكل كلا منهما الى طبعها لم ترجع الى ربها ورجوعها يكون بالاماتة والاحياء وبيناها عن أوصافها وبحييها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الاماتة بتجلي صفات الجلال والاحياء

بتجلى صفات الجمال واذا تجلى الله لعبد لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال أو هو أقرب وحينئذ يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيا من أمور الدنيا والآخرة ولا مما كانت أرواحكم تعلم فى عالم الارواح ولا مما كانت تعلم ذراتكم من فهم خطاب ألست بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله و بصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف به الله وبوجه آخر والله أخرجكم من العدم وهو الام الحقيقى لا تعلمون شيا قبل أن يعلمكم الله سبحانه أسماء كل شئ فتجلى لكم بربوبيته فبنور (١٠٤) سمعه أعطاكم سمعا تسمعون به خطاب ألست بربكم وبنور بصره أعطاكم بصرا تبصرون به جماله و بنور علمه أعطاكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه أعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته ولا تكلمون بهذا الكلام الا معه ألم يروا الى طير الارواح مسخرات فى جو سماء القلوب ما يمسكهن فى سفل الاجساد الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل لكم من لوجود الانعام التى هى أجساد اشتركت فيها سائر الحيوانات بيوتا تستخف أرواحكم اياها وهى النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والوقفة للاستراحة والتربية ومن أصوافها هى الصفات الحيوانية والحواس والقوى أثاثا آلات للسير ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا أى جعل عالم الخلق ظل عالم الامر تستظل أيها الارواح به عند طلوع شمس التجلى والا احرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب ما يكن به الارواح وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم من سهام الوساوس والهواجس كذلك يحفظكم من الآفات و يربيكم بالكرامات حتى يتم بالحياة نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع الطريق يعرفون نعمة الله بتعريفك وأكثرهم الكافرون بك و بنعمة الله اظهارا للقهر والله أعلم

(ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث فى كل أمة

وخديعة بينكم تغرون بها الناس فتزل قدم بعد ثبوتها يقول فتهلكوا بعدان كنتم من الهالكين آمنين وانما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط فى ورطة بعد سلامة وما أشبه ذلك زلت قدمه كما قال الشاعر

سيمنع منك السبق ان كنت سابقا * وتقطع ان زلت بك النعلان

وقوله وتذوقوا السوء يقول وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء هو عذاب الله الذى يعذب به أهل معاصيه فى الدنيا وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر به بما صددتم عن سبيل الله يقول بما فتنتم من أراد الايمان بالله و رسوله عن الايمان ولكم عذاب عظيم فى الآخرة وذلك نار جهنم وهذه الآية تدل على ان تاويل بريدة الذى ذكرناه عنه فى قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم والآيات التى بعدها انه عنى بذلك الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام عن مفارقة الاسلام لقلة أهله وكثرة أهل الشرك هو الصواب دون الذى قال مجاهد انهم عنوا به لانه ليس فى انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم الى آخرين غيرهم صد عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى وقد وصف تعالى ذكره فى هذه الآية فاعلى ذلك انهم باتخاذهم الايمان دخلا بينهم ونقضهم الايمان بعد توكيدها صادون عن سبيل الله وانهم أهل ضلال فى التى قبلها وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النقلة بالحلف عن قوم الى قوم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس وعقودكم التى عاقدتموها من عاقدتم مؤكديها بايمانكم تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذى أمركم بالوفاء به يثيبكم الله على الوفاء به فان ما عند الله على الوفاء من الثواب لكم على الوفاء بذلك هو خير لكم ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين الذين أحدهما الثمن القليل الذى تشترون بنقض عهد الله فى الدنيا والآخر الثواب الجزيل فى الآخرة على الوفاء به ثم بين تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين فقال ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه فى الدنيا وان كثر فنافد فان وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان فلما عنده فاعملوا وعلى الباقى الذى لا يفنى فاحرصوا وقوله ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون يقول تعالى ذكره ولثيبن الله الذين صبروا على طاعتهم اياه فى السراء والضراء ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ومسارعتهم فى رضاه باحسن ما كانوا يعملون من الاعمال دون أسوئها وليعفون لهم سيئها بفضله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله وأوفى بعهود الله اذا عاهد من ذكر أو أنثى من بنى آدم وهو مؤمن يقول وهو مصدق بثواب الله الذى وعد أهل طاعته على الطاعة و بوعيد أهل معصيته على المعصية فلنحيينه حياة طيبة واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله

شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا (١٠٥) بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) القراآن ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت القرآن مثل أنشأنا * الوقوف يستعتبون ○ ولاهم ينظرون ○ من دونك ج لاختلاف الجملتين مع الفاء لكاذبون ج ○ للعطف مع انه رأس آية يفترون ○ يفسدون ○ على هؤلاء ط لواو الاستئناف للمسلمين ○ والبغي ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف تذكرون ○ ط كفيلا ○ ط تفعلون ○ أنكاثا ط بناء على أن التقدير أتتخذون من أمة ط به ط يختلفون ○ ويهدي من يشاء ط يعملون ○ عن سبيل الله ج

بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يحيوهم وهافقال بعضهم عنى انه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل ابن سميع عن أبي مالك عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة الرزق الحلال في الدنيا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية بن اسمعيل عن سميع عن أبي مالك وأبي الربيع عن ابن عباس بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن الربيع عن ابن عباس في قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الحسن في الدنيا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب في الدنيا **حدثني** المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب في الدنيا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة يعني في الدنيا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب الحلال **حدثني** عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عون بن سلام القرشي قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك في قوله فلنحيينه حياة طيبة قال يأكل حلالا ويلبس حلالا * وقال آخرون فلنحيينه حياة طيبة بأن نرزقه القناعة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن أبي خزيمة سليمان التمار عمن ذكره عن علي فلنحيينه حياة طيبة قال القنوع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عصام عن أبي سعيد عن الحسن البصري قال الحياة الطيبة القناعة وقال آخرون بل يعني بالحياة الطيبة الحياة مؤمنا بالله عاملا بطاعته ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فلنحيينه حياة طيبة يقول من عمل عملا صالحا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة فحياته طيبة ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا فعيشته ضنكة لا خير فيها * وقال آخرون الحياة الطيبة السعادة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلنحيينه حياة طيبة قال السعادة وقال آخرون بل معنى ذلك الحياة في الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال لا تطيب لاحد حياة دون الجنة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال ما تطيب الحياة لاحد الا في الجنة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فان الله لا يشاء عملا الا في اخلاص ويوجب من عمل ذلك في ايمان قال الله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وهي الجنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن

لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ قليلا ط يعملون ○ باق ط يعملون ○ طيبة ج للعدول عن الوحدان الى الجمع مع انهما ضميرا من يعملون ○ الرجيم ○ يتوكلون ○ مشركون ○ * التفسير لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وان أكثرهم كافرون اتبعه أصناف وعيد يوم القيامة والتقدير واذكر يوم نبعث من كل أمة شهيدا أو يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيد كل أمة لها نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا أي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر أو في كثرة الكلام أو في الرجوع الى دار الدنيا أو الى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين

من رحمة الله تعالى أو المراد أن يسكت أهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود ولاهم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة فى العتاب فلهذا قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

وقال فى الكشاف أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أن المنع من الكلام أصعب من شهادة الانبياء عليهم اذا رأى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب بعينهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هنالك غير موجودة أو وغير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقوله المتكلمون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم وهى الاصنام أو الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم فى النار قاله الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو أى نعبدهم من دونك قال أبو مسلم الاصبهانى مقصودا لمشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك ينجيهم من عذاب الله أو ينقص منه وزيفه القاضى بان الكفار يعلمون فى الآخرة علما ضروريا ان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة فى هذا القول والانصاف أن الغريق يتعلق بكل شئ والمبهوت قد يقول مالا فائدة فيه على ان العلم الضرورى الذى ادعاه القاضى ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا خاطئين فى عبادتها فالقوا اليهم القول أى قال الاصنام أو الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين أشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم من دونك وقد كانوا صادقين فى ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله فى المعبودية فكذبتهم الاصنام فى اثبات هذه الشركة وفى قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان أراد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى قوله انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما أشركتمونى من قبل وألقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبى استسلم العابد والمعبود وأقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال آخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء فى الدنيا وضل أى غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان الله أو ان آلهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤا ومنهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاصح العموم وهو ذا هم عذابا بالاجل الاضلال فوق العذاب الذى استحقوه للضلال وأيضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل

ابن جريج عن مجاهد فلنحيينه حياة طيبة قال الآخرة يحييهم حياة طيبة فى الآخرة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة فى الآخرة هى الجنة تلك الطيبة قال ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال ألا تراه يقول ياليتنى قدمت لحياتى قال هذه آخرته وقرأ أيضا وأن الدار الآخرة لهى الحيوان قال الآخرة دار حياة لاهل النار وأهل الجنة ليس فيها موت لاحد الفريقين **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قال الايمان الاخلاص لله وحده فبين انه لا يقبل عملا الا بالاخلاص له * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تاويل ذلك فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة وذلك ان من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه ولم يعظم فيها نصبه ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغيته مافاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالآية لان الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم اياه ان عصوه أذاقهم السوء فى الدنيا والعذاب العظيم فى الآخرة فقال تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله فهذا لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم فهذا لهم فى الآخرة ثم اتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى ما عندكم فى الدنيا ينفد وما عند الله باق فالذى هذه السبيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لاهل طاعته الاحسان فى الدنيا والغفران فى الآخرة وكذلك فعل تعالى ذكره وأما القول الذى روى عن ابن عباس انه الرزق الحلال فهو محتمل أن يكون معناه الذى قلنا فى ذلك من انه تعالى يقنعه فى الدنيا بالذى يرزقه من الحلال وان قل فلا تدعوه نفسه الى الكثير منه من غير حله لانه يرزقه الكثير من الحلال وذلك ان أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الاعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال فى الدنيا وجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة وقوله ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون فذلك لاشك انه فى الآخرة وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون قال اذا صاروا الى الله جزاهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك وأبى الربيع عن ابن عباس مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم قال فى الآخرة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون يقول يجزيهم أجرهم فى الآخرة باحسن ما كانوا يعملون وقيل ان هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ملل شتى تفاخروا فقال أهل كل ملة منها نحن أفضل فبين الله لهم

بهم أو من المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة أنهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات أمثال البخت وعقارب أشباه البغال أنيابها كالنخل الطوال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مفسدين أمور الناس بالغدو والآصال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيده الله تعالى أجرا على أجره ثم أعاد حكاية بعث الشهداء لمناسبتهم بما من زيادة فائدتين احداهما كون الشهداء من أنفسهم لان كل نبي فهو من جنس أمته والاخرى ان الشهيد يكون وقتئذ في الامة لامغارقا اياهم وفسر الاصم الشهيد في هذه الآية بانه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى تشهد عليه وهن الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان وهذا ذكر افظة في وصف الشهيد بكونه من أنفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء أي على أمتك ولا ريب ان في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله نظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية انه لابد في كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم أهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل أن يقول الامة في الآية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للآية على هذا القدر فمن أين حصل لك ان اجماع أهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين انه أزاح عليهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل

أفضل أهل الملل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن اسمعيل عن أبي صالح قال جلس ناس من أهل الاوثان وأهل التوراة وأهل الانجيل فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فانزل الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا كنت يا محمد قارئا القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وكان بعض أهل العربية يزعم انه من المؤخر الذي معناه التقديم وكان معنى الكلام عنده واذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن ولا وجه لما قال من ذلك لان ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ولكن معنانا ما وصفنا وليس قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بالامر اللازم وانما هو اعلام وندب وذلك انه لا خلاف بين الجميع ان من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها انه لم يضيع فرضا واجبا وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه وأما قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فانه يعني بذلك ان الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به فانتهوا عما نهاهم الله عنه وعلى ربهم يتوكلون يقول وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم انما سلطانه على الذين يتولونه يقول انما حجته على الذين يعبدونه والذين هم بالله مشركون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما سلطانه على الذين يتولونه قال حجته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انما سلطانه على الذين يتولونه قال يطيعونه * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن فقال بعضهم بما حدثت عن واقد بن سليمان عن سفيان في قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر * وقال آخرون هو الاستعاذة اذا استعاذ بالله منع منه ولم يسلط عليه واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة الحجر * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الى قوله والذين هم به مشركون يقال ان عدو الله ابليس قال لاغوينهم

شيء أي بيانا له والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يات غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن بيان جميع الاحكام لان الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين وجاء فاعتبروا وقال آخرون ان علم أصول الدين كلها في القرآن وأما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن وافٍ ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في أول أحوالهم والرحمة في وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في أوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله

الى قوله وأبشروا والله أعلم بمراده ولما ذكر ان في القرآن تبيان كل شئ ذكر عقيبه آية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال
ان الله يامر الآية عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال ما أسلمت أولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في
قلبي فحضرته ذات يوم فبيناهو يحدثني اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا أنا أحدثك اذا
جبريل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل الآية قال عثمان فمن وقتئذ استقر الايمان في قلبي وأحببت محمدا صلى الله عليه
وسلم وعن ابن مسعود هي أجمع آية في (١٠٨) القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا أمر الله
تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو أداء الفرائض وعن ابن عباس هو
قول لا اله الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمحسنات شرعا وعرفا وأقربهما صلة الرحم بالمال فلذلك أفردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء هي الامور المتزائدة في القبح فلذلك أفردها بالذكر وهي الكبائر وقد يخص بالزنا أو بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي هو الاستطالة قال جار الله حين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وعلى نبينا الصلاة والسلام أقيمت هذه الآية مقامها واعلم أن العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له أمثلة أما في الاعتقادات فالقول بنفي الاله تعطيل محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك وتعجيز والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا مما اتفق عليه أرباب المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر اذا والكلام ونفي غيرهما وبوجه آخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات أزلية قديمة غير متغيرة وأيضا القول بان العبد لا قدرة له أصلا جبر محض والقول بانه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض والعدل أمر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وأيضا القول بان الله لا يؤاخذ عبده بشئ من الذنوب بمساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان

أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل وانما سلطانه على قوم اتخذوه وليا وأشركوه في أعمالهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون يقول السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه يقول الذين يطيعونه ويعبدونه * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة وعلى ربهم يتوكلون على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان الله تعالى ذكره اتبع هذا القول فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في موضع آخر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم فكان بينا بذلك انه انما ندب عباده الى الاستعاذة منه في هذه الاحوال ليعيذهم من سلطانه وأما قوله والذين هم به مشركون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم فيه بما قلنا ان معناه والذين هم بالله مشركون ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والذين هم به مشركون قال يعدلون برب العالمين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والذين هم به مشركون قال يعدلون بالله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين هم به مشركون عدلوا ابليس بربهم فانهم بالله مشركون * وقال آخرون معنى ذلك والذين هم به مشركون أشركوا الشيطان في أعمالهم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والذين هم به مشركون أشركوه في أعمالهم والقول الاول أعني قول مجاهد أولى القولين في ذلك بالصواب وذلك ان الذين يتولون الشيطان انما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم لا أنهم يشركون بالشيطان ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع لكان التنزيل الذين هم مشركوه ولم يكن في الكلام به فكان يكون لو كان التنزيل كذلك والذين هم مشركوه في أعمالهم الا أن يوجه موجه معنى الكلام الى أن القوم كانوا يدينون بالوهة الشيطان ويشركون بالله به في عبادتهم اياه فيصح حينئذ معنى الكلام ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن وذلك ان الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن انهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا وقال في كل موضع تقدم اليهم بالزجر عن ذلك لا تشركوا بالله شيأ ولم نجد في شئ من التنزيل لا تشركوا بشئ ولا في شئ من القرآن خبرا من الله عنهم انهم أشركوا بالله بشئ فيجوز لنا توجيه معنى قوله والذين هم به مشركون الى والذين هم بالشيطان مشركو الله فبين

والمعتزلي يقول العقل في هذه الأصول بنوع آخر وقد مر مرارا وامارعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لايجب على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا الاحتراز عن شئ من المعاصي وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان أن يجتنب عن كل الطيبات و يبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى التزوج والاولى بالمرء أن يختصي فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم لان التشديد غالب في دين موسى فليس في شرعه على القاتل الا القصاص و يحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على (١٠٩) القاتل ولا يحرم وطء الحائض والعدل

اذا اذ كان ذلك كذلك ان الهاء في قوله والذين هم به عائدة على الرب في قوله وعلى ربهم يتوكلون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون) يقول تعالى ذكره واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكم أخرى والله أعلم بما ينزل يقول والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه قالوا انما أنت مفتر يقول قال المشركون بالله المكذبو رسوله لرسوله انما أنت يا محمد مفتر أي مكذب تخرص بتقول الباطل على الله يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد انما أنت مفتر جهال بان الذي تاتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه لايعلمون حقيقة صحته * وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله واذا بدلنا آية مكان آية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية رفعناها فانزلنا غيرها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا بدلنا آية مكان آية قال نسخناها بدلناها رفعناها وأثبتنا غيرها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بدلنا آية مكان آية هو كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر تاتي بشئ وتنقضه فتأتي بغيره قال وهذا التبديل ناسخ ولا تبدل آية مكان آية الا بنسخ ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمسلمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك انما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا أنزله روح القدس يقول قل جاءه جبرئيل من عند ربي بالحق وقد بينت في غير هذا الموضع معني روح القدس بما أغني عن اعادته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا جعفر بن عون العمري عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال روح القدس جبرئيل وقوله ليثبت الذين آمنوا يقول تعالى ذكره قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربي تثبيتا للمؤمنين وتقوية لايمانهم ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه ايمانا لايمانهم وهدى لهم من الضلالة وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لامر الله وانقادوا لامره ونهيه وما أنزله في آي كتابه فاقروا بكل ذلك وصدقوا به قولا وعملا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) يقول تعالى ذكره ولقد نعلم ان هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم انما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم وما هو من عند الله يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك ألا تعلمون كذب ما تقولون ان لسان الذي تلحدون اليه أعجمي يقول تميلون اليه بانه يعلم محمدا أعجمي وذلك انهم فيما

ما يحكم به شرعنا من جواز العفو وأخذ الدية وحرمه وطء الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قيل له طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المباهلة نزل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء الحكمة فيه ان رأس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي رأسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف حسه و يقل شعوره فتقل لذة الوقاع فتقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الآلات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان هذا ما قيل وعندي ان الحكمة في الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والافلعل اللذة بعد الختان أكثر لملاقاة الحامل المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه

ان مقادير العناصر لو لم تكن معادلة مكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وتنقلب الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض أقل مما هو الآن لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان أكثر استولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في أداء الطاعات بحسب الكمية و بحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ الخاصر في أداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه و بالحقيقة يدخل في الاحسان أنواع التعظيم لامر الله والشفقة على

خلق الله وأشرف أنواع الاشغال صلة الرحم بالمال فلا يحرم أفرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا تحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية وأما الثلاث الاول فتحتاج الى التأديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في آثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهي عن البغي (١١٠) اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس أهلا لذلك وأخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان أصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الآية لا جرم ختمها بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الآية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والافكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم انه لا يلزم من ارادة الله تذكر العبد وانتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد ان يطلب الله منه التذكر فان طلب ما ليس في وسعه محال أعني لعلكم تذكرون ارادة أن تكونوا على حالة التذكر لا ارادة أن تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال وأوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه أن يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله تكرارا اذ أكد وكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل وفي الآية دلالة على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وأيضا الآية من العمومات التي دخلها التخصيص لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الآية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أي شاهدا ورقيبا ان

ذكر كانوا يزعمون ان الذي يعلم محمدا هذا القرآن عبد رومي فاذلك قال تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وهذا القرآن لسان عربي مبين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون انه يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر فقال بعضهم كان اسمه بلعام وكان قينا بمكة نصرانيا ذكر من قال ذلك **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان أعجمي اللسان وكان اسمه بلعام فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فانزل الله تعالى ذكره ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * وقال آخرون اسمه يعيش ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن عكرمة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يغري غلاما لبني المغيرة أعجميا قال سفيان أراه يقال له يعيش قال فذلك قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر وقد قالت قريش انما يعلمه بشر عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش قال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وكان يعيش يقرأ الكتب وقال آخرون بل كان اسمه جبر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام نصراني يقال له جبر عبد لبني بياضة الحضرمي فكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به الا جبر النصراني غلام الحضرمي فانزل الله تعالى في قولهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير كانوا يقولون انما يعلمه نصراني على المروة ويعلم محمدا رومي يقولون اسمه جبر وكان صاحب كتب عبد لابن الحضرمي قال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي قال وهذا قول قريش انما يعلمه بشر قال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * وقال آخرون بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جبر ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي انه كان لهم عبدان من أهل عين التمر وكانا طفلين وكان يقال لاحدهما يسار والآخر جبر فكانا يقرآن التوراة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس اليهما فقال كفار قريش انما يجلس اليهما يتعلم منهما فانزل الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين **حدثني** المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن عبد الله عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حصين عن عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان

التكفيل مراعى لحال المكفول به ان الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب ذلك خيرا وشرا وفيه ترغيب وترهيب ثم أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أى من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب أنكاثا على المصدر لان معنى نقضت نكثت وزيف بان أنكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدى هو مفعول ثان كما تقول كسره أقطاعا وفرقه أجزاء أى جعله أقطاعا وأجزاء فكذا هنا أى جعلت غزلها أنكاثا قلت ويحتمل أن يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الآية متصلة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان (١١١) فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم جعلته أنكاثا فعلى هذا المشبه به امرأة غير معينة ولا حاجة فى التشبيه الى أن يكون للمشبه به وجود فى الخارج وقيل المراد امرأة معينة من قريش ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وهى الحديدة فى رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لاتتخذ أى لا تنقضوا ايمانكم متخذين دخلا بينكم أى مفسدة ودغلا وقال الواحدى أى غشا وخيانة وقال الجوهرى أى مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما أدخل فى الشئ على فساد وقوله ان يكون أى لان تكون أمة يعنى جماعة قريش هى أربى أزيد وأوفر عددا ومالا من أمة هى جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم أعز وأمنع انما يبلوكم الله به أى بما يأمركم وينهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهى وقال جار الله الضمير راجع له أى يكون لانه فى معنى المصدر أى يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم أم تغدرون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وأندرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيامة باظهار الدرجات والكرامات للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم ثم بين انه سبحانه قادر على أن يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر أبواب الايمان ولكنه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء والمعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الالجاء بدليل قوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كانت أعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا أجابت الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل روى

غلامان نكايا يقرآن كتابا لهما بلسانهما فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمر عليهما فيقوم يستمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فانزل الله تعالى ما كذبهم فقال لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وقال آخرون بل كان ذلك سلمان الفارسى ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى كانوا يقولون انما يعلمه سلمان الفارسى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر قال قول كفار قريش انما يعلم محمدا عبد ابن الحضرمى وهو صاحب كتاب يقرؤه الله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وقيل ان الذى قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب ان الذى ذكر الله انما يعلمه بشر انما افتتن انه كان يكتب الوحى فكان على عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآى ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ذلك كتبت فهو كذلك ففتنه ذلك فقال ان محمدا يكل ذلك الى فما كتب ما شئت وهو الذى ذكر لى سعيد بن المسيب من الحروف السبعة واختلف القراء فى قراءة قوله يلحدون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لسان الذى يلحدون اليه بضم الياء من ألحد يلحد الحادا بمعنى يعترضون ويعدلون اليه ويعرجون اليه من قول الشاعر

قد نى من نصر الخبيبين قدى * ليس أميرى بالشحيح الملحد

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لسان الذى يلحدون اليه بفتح الياء بمعنى يميلون اليه من لحد فلان الى هذا الامر يلحد لحدا ولحودا وهما عندى لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب فيهما الصواب وقيل وهذا لسان عربى مبين يعنى القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر هذا لسان فلان يريد قصيدته كما قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا * وجئت وما حسبتك ان تجينا

يعنى باللسان القصيدة والكلمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) يقول تعالى ان الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته فيصدقون بما دلت عليه لا يهديهم الله يقول لا يوفقهم الله لاصابة الحق ولا يهديهم لسبيل الرشد فى الدنيا ولهم فى الآخرة وعيد الله اذا

الواحدى ان عزيرا قال يارب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال ياعزير أعرض عن هذا فاعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا والاحوص اسمك عن النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان أراد أن ينهاهم عن نقض أيمان مخصوصة أقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبيلة وانما يليق بنقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم قال جار الله وحدث القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا مثل يضرب (١١٢) لمن وقع فى بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام و زلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى الدركات الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء فى الدنيا بما صددتم بصدودكم أو بصدكم غيركم عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدى به غيره واكم عذاب عظيم فى الآخرة ويحتمل أن يراد ان ذلك السوء الذى تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم أسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هنالك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان بعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الآية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والآية حجة عليه ولنجزين الذين صبروا على ما التزموه من شرائع الاسلام أجرهم باحسن ما كانوا يعملون أى بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب أو يجزيهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ثم عمم الوعد على أى عمل صالح كان فقال من عمل صالحا ولا كلام فى عمومه الا أنه زاد قوله من ذكر أو أنثى تأكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة فى تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا فى كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال وهو مؤمن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشئ مغاير لذلك الشئ واختلف فى الحياة الطيبة فقيل هى فى الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان فى الدنيا لا يخلو من مشقة وأذية ومكروه لقوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلا قيه بين ان هذا الكدح وهو التعب فى العمل باق الى أن يصل الى ربه وأما بعد ذلك فحياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدى ان هذه الحياة

وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انما أنت مفتر انهم هم أهل الغرية والكذب لانبى الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال انما يتخرص الكذب ويتقول الباطل الذين لا يصدقون بحجج الله وأعلامه لانهم لا يرجون على الصدق ثوابا ولا يخافون على الكذب عقابا فهم أهل الافك وافتراء الكذب لا من كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل وتائقا على الكذب العقاب الاليم وقوله وأولئك هم الكاذبون يقول والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اختلف أهل العربية فى العامل فى من من قوله من كفر بالله ومن قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فقال بعض نحوى البصرة صار قوله فعليهم خبر القوله ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه فاخبرهم بخبر واحد وكان ذلك يدل على المعنى * وقال بعض نحوى الكوفة انما هذان جزآن اجتمعا أحدهما منعقد بالآخر فجوابهما واحد كقول القائل من يأتنا فان يحسن نكرمه بمعنى من يحسن ممن يأتنا نكرمه قال وكذلك كل جزاء ين اجتمعا الثانى منعقدا بالاول فالجواب لهما واحد * وقال آخرون من أهل البصرة بل قوله من كفر بالله مرفوع بالدال على الذين فى قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ومعنى الكلام عنده انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره من هؤلاء وقلبه مطمئن بالايمان وهذا قول لا وجه له وذلك ان معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افترى الكذب فى هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ولم يؤمنوا قط وخص به الذين قد كانوا آمنوا فى حال ثم راجعوا الكفر بعد الايمان والتنزيل يدل على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين وذلك انه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب فقال واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون وكذب جميع المشركين بافترائهم على الله ثم أخبر انهم أخق بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد ايمانهم وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت مفترحين بدل الله آية مكان آية كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الايمان خاصة دون غيرهم من سائر المشركين لان هذه فى سياق الخبر عنهم وذلك قول ان قاله قائل فبين فساده مع خروجه عن تاويل جميع أهل العلم بالتأويل والصواب من القول فى ذلك عندى ان الرافع لمن الاولى والثانية قوله فعليهم غضب من الله والعرب تفعل ذلك فى حروف الجزاء اذا استأنفت أحدهما على الآخر وذكر ان هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم

في القبر والاكثرون على انها في الدنيا لقوله بعد ذلك ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعلى هذا فما سبب طيب الحياة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع أكل الحلال وقيل القناعة أو رزق يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فعه من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه وأما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه أبدا ويعظم أسفه على ما يفوته لانه عاشق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما ينزع لحب الدنيا مالها وجاهها ويستوي عنده وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلاح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من أهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضي ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على أن العمل الخير مطلقا يفيد أثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال واذا قرأت القرآن أي أردت قراءته اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقدم مبحث الاستعاذة مستوفى في أول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس أي يطيعونه يقال توليته أي أطعته وتوليت عنه أي أعرضت عنه أما الضمير الواحد في قوله والذين هم به مشركون فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان أي بسببه * التأويل ويوم نبعث فيه اشارة الى أن لارواح الانبياء اشرافا على أممهم في حال حياتهم وبعد وفاتهم وفيه ان الدنيا مزرعة الآخرة فلا يقبل في القيامة اعتذار واذا رأى الذين ظلموا أي وضعوا الكفر وأعمال الطبيعة موضع الايمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عن أرواحهم أثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا رأى الذين أشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في أنا دعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذاب الحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بافساد الاستعداد الفطري وجئنا بك شهيدا الان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب

دينهم فثبت على الاسلام بعضهم وافتتن بعض ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان الى آخر الآية وذلك ان المشركين أسمعوا عمار بن ياسر فعذبوه ثم تركوه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي لقي من قريش والذي قال فانزل الله تعالى ذكره عذره من كفر بالله من بعد ايمانه الى قوله ولهم عذاب عظيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ذكر لنا انهم انزلت في عمار بن ياسر أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فانزل الله تعالى ذكره الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكى ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم فان عادوا فعد **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك في قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال نزلت في عمار بن ياسر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال لما عذب الاعبد أعطوهم ما سألوا الا خباب بن الارت كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيأ فتأويل الكلام اذا من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان موقن بحقيقته صحيح عليه عزمه غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الايمان وباح به طائعا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر عن ابن عباس **حدثني** علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فاخبر الله سبحانه انه من كفر من بعد ايمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فاما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالايمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لان الله سبحانه انما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يقول تعالى ذكره حل بهؤلاء المشركين غضب الله ووجب لهم العذاب العظيم من أجل انهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ولان الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع اصرارهم على جحودها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركون

والنفوس لقوله أول ما خلق الله نوري وحي تبيانا لكل شيء يحتاج اليه السالك في أثناء سلوكه ان الله يأمر بالعدل وهو وضع الآلات وأسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال والاحسان وهو ان تحسن الى الخلق بما أعطاك الله كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك وفي قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى أن من جملة العدالة رعاية حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ثم بما هو أقرب اليه قربا معنويا لا صوريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما آتاه الله في غير مصرفها والمنكر وهو ضد المعروف وهو أن لا يحسن الى غيره والبغي وهو أن لا يراعي الترتيب المذكور (١١٤) في باب الارشاد والتكميل وأوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المرتدان تكون أمة هي أهل الدنيا في الدنيا أعلى حالا من أمتهم أهل الآخرة ولا تتخذوا أيمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل أقدامكم عن صراط الطلب من ذكر أو أنثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحياة الطيبة للنفس ان تصبر مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب أن يصير فانيا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله وحينئذ يطيب عن دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ظاهرا وبالحقيقة هو لامته لان شيطانه أسلم على يده فلم يحتج الى الاستعاذة من شيطانه بل هو وخواص أمته كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وفيه ان الشيطان ليس له تسلط على أولياء الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة وملازمة الذكر حتى تنمحي تلك البقايا والله تعالى أعلم بالصواب

(واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا

الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم فختم عليها بطابعه فلا يؤمنون ولا يهتدون وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعي الله الى الهدى وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله ابصار معتبر ومتعظ وأولئك هم الغافلون يقول وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الافعال هم الساهون عما أعد الله لامثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم وقوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون الهالكون الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى

القول في تأويل قوله تعالى (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره ثم ان ربك يا محمد للذين هاجروا ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين وانتقلوا عنهم الى ديار أهل الاسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بايديهم بالسيف وبالسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله وصبروا على جهادهم ان ربك من بعدها لغفور رحيم يقول ان ربك من بعد فعالتهم هذه لهم لغفور يقول لذو ستر على ما كان منهم من اعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بالسنتهم وهم لغيرها مضمرون وللايمان معتقدون رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع انابتهم الى الله وتوبتهم وذكر عن بعض أهل التأويل ان هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم فآيسوا من التوبة فانزل الله فيهم هذه الآية فهاجروا والحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش بالطريق ففتنوهم وكفروا مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج قال الله تعالى ذكره من كفر بالله من بعد ايمانه ثم نسخ واستثنى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ذكر لنا انه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فخرجوا فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله تعالى ثم ان ربك للذين

على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم (١١٠) الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) القراآن بما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلى وخلف فتنوا مبينا للفاعل ابن عامر والكوفي بالنصب عباس ابراهام هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل الآخرون بالفتح * الوقوف مكان آية لا لان جواب اذا هو قالوا وقوله والله أعلم بما ينزل جملة معترضة مفتر ط لا يعلمون ه للمسلمين ه بشر ط مبين ه بآيات الله لا لان ما بعده خبر ان أليم ه بآيات الله ج لاختلاف الجملتين مع العطف الكاذبون ه غضب من الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ه على الآخرة لا للعطف على الكافرين ه وأبصارهم ط لاختلاف الجملتين الغافلون ه الخاسرون ه وصبروا لان ان

الذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية **حدثنا** أحمد بن منصور قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى آخر الآية قال وكتب الى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم ثم نجى من نجى وقتل من قتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ** وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح ذكر من قال ذلك **حدثني** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو ايمان أو كفر وتوفى كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة ومعصية وهم لا يظلمون يقول وهم لا يفعل بهم الا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يجزى المحسن الا بالاحسان ولا المسيء الا بالذي أسلف من الاساءة لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء احسانه ولا يثاب مسيء الاثواب عمله واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل تجادل فأنث الكل فقال بعض نحوي البصرة قيل ذلك لان معنى كل نفس كل انسان وأنث لان النفس تذكر وتؤنث يقال ما جاءني نفس واحد وواحدة وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول كل اذا أضيفت الى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة كل امرأة قائمة وكل رجل قائم وكل امرأتين قائمتان وكل رجلين قائمان وكل نساء قائمات وكل رجال قائمون فيخرج على

الثانية تكرار الأولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم ۝ لا يظلمون ۝ يصنعون ۝ ظالمون ۝ طيبا ص لعطف المتفقتين تعبدون ۝ لغير الله به ج رحيم ۝ على الله الكذب ط لا يفلحون ط قليل ص لعطف المتفقتين ولا سيما اذا قدر لهم متاع أليم ۝ من قبل ج لابتداء النفي مع العطف يظلمون ۝ وأصلحوا لا لما مر رحيم ۝ حنيفا ط من المشركين ۝ لا لان شاكرا وصف آخر وبدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ۝ حسنة ط الصالحين ط لان ثم لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ط اختلفوا فيه ط يختلفون ۝ أحسن ط بالمهتدين ۝ عوقبتم به ط للصابرين ۝ يمكرون ۝ محسنون ۝ *التفسير هذا شروع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا أنزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا ومعنى التبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها والله أعلم بما ينزل شيأ فشيأ على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا أو بالعكس بل أكثرهم لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال أبو مسلم أراد تبديل آية مكان آية مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء أطبقوا على أن المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى أخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بانه لا يلزم من وجود التبديل بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله أي القرآن روح القدس هو جبريل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله أي ابتداء تنزيله من عنده وقوله بالحق حال أي متلبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين آمنوا كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقول كل من الناسخ والمنسوخ من عندنا وكل منهما في وقته خير وصلاح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في أوانه وصواب بالنسبة الى المكلف حين ما يكلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة أخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عايش أو يعيش

عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ولا حاجة به الى تأنيث النفس وتذكيرها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) يقول الله تعالى ذكره ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة وكان أمنها ان العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا وأهل مكة لا يغار عليهم ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها وقوله مطمئنة يعني قارة بأهلها لا يحتاج أهلها الى النجع كما كان سكان البوادي يحتاجون اليها يأتيها رزقها رغدا يقول يأتي أهلها مغايشهم واسعة كثيرة وقوله من كل مكان يعني من كل فج من فجاج هذه القرية ومن كل ناحية فيها وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان يعني مكة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قرية كانت آمنة مطمئنة قال مكة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة قال ذكر لنا انها مكة **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قرية كانت آمنة قال هي مكة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى آخر الآية قال هذه مكة * وقال آخرون بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال ثني عبد الرحمن بن شريح ان عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه أنه سمع مسرح بن هاعان يقول سمعت سليمان بن عنز يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل حتى رأت راكبين فارسلت اليهما تسألهما فقالا قتل فقالت حفصة والذي نفسي بيده انها القرية تعني المدينة التي قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فراها قال أبو سريح عبد الله بن المغيرة عمن حدثه انه كان يقول انها المدينة وقوله فكفرت بأنعم الله يقول فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها واختلف أهل العربية في واحد الانعم فقال بعض نحوي البصرة جمع النعمة على أنعم كما قال الله حتى اذا بلغ أشده فزعم انه جمع الشدة وقال آخر منهم الواحد نعم وقال يقال أيام طعم ونعم أي نعيم قال فيجوز أن يكون معناها فكفرت بنعيم الله لها واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وعندي

وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي ثم أجاب عن شبهتهم فقال مستأنفا لسان الذي والسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يلحدون يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقدم في آخر الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها قال أبو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح

ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجماء البهيمة وصلاة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية وأعجمت الكتاب أي أزلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم أعجميا وقالوا زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هو ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا أنه لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية أيضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بان الله لا يهديهم الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب أصول المعتزلة فلا أدري كيف مال اليه ثم لما بين انهم ليسوا مظاهر اللطف وكان قد بنى الامر في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من أنه يتعلم من ذلك البشر أراد أن يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب وفيه أيضا رد لقولهم انما أنت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء وأولئك اشارة الى قريش أو الى الذين لا يؤمنون أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر ومما يدل على كذبهم عقلا انهم أعداؤه وكلام العدى ضرب من الهذيان ولا شهادة لهم وأيضا ان أمر التعليم والتعلم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج الى أزمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وأيضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب أن يكون أعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي صلى الله عليه وسلم موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله ومال الناس اليه

وعندي فروض الخير والشر كله * فبؤس لذي بؤس ونعم فانعم

وكان بعض أهل الكوفة يقول أنعم جمع نعماء مثل باساء وأبوس وضراء وأضر فاما الاشد فانه زعم انه جمع شدو قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف يقول تعالى ذكره فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها وذلك انهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العلهز والجيف قال أبو جعفر والعلهز الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه وأما الخوف فان ذلك خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم وقوله بما كانوا يصنعون يقول بما كانوا يصنعون من الكفر بانعم الله ويجحدون آياته ويكذبون رسوله وقال بما كانوا يصنعون وقد جرى الكلام من ابتداء الآية الى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية لان الخبر وان كان جرى في الكلام عن القرية استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها فان المراد أهلها فلذلك قيل بما كانوا يصنعون فرد الخبر الى أهل القرية وذلك نظير قوله فجاءها بأسنا بياتا وأهم قائلون ولم يقل قائلة وقد قال قبله فجاءها بأسنا لانه رجع بالخبر الى الاخبار عن أهل القرية ونظائر ذلك في القرآن كثيرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) يقول تعالى ذكره ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية رسول منهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم يقول من أنفسهم يعرفونه ويعرفون نسبه وصدق لهجته يدعوهم الى الحق والى طريق مستقيم فكذبوه ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله فأخذهم العذاب وذلك لباس الجوع والخوف مكان الامن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه وقتل بالسيف وهم ظالمون يقول وهم مشركون وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد جاءهم رسول منهم أي والله يعرفون نسبه وأمره فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) يقول تعالى ذكره فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الانعام التي أحلها لكم حلالا طيبا مذكاة غير محرمة عليكم واشكروا نعمة الله يقول واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحل لكم من ذلك وعلى غير ذلك من نعمه ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم وكان بعضهم يقول انما عنى بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين من قومه في سني الجدب والقحط رقة عليهم فقال الله تعالى للمشركين فكلوا مما رزقكم

دون النبي قال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية التي هي قوله وأولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية دالة على ان من أقدم على الكذب فانه دخل في الكفر تنبيها على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما تقول كذبت وأنت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء أعظم من انكار الالهية والنبوة روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته أراد أن يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على انه بدل (١١٨) اما من الذين لا يؤمنون بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طاب منه نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدأ الذي هو أولئك أو من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم أي أخص وأعني من كفر وجوز بعضهم أن تكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك أسلمت من أجل الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال صلى الله عليه وسلم ان عادوا لك فعد لهم ما قلت فمن هنا حكم العلماء بان الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه أن يعذبه بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الالجاءات القوية وأجمعوا على ان قلبه عند ذلك يجب أن يكون مطمئنا بالرضا بالكفر وان يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول ان محمدا كذاب يعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا أقدم من أكرهه من احضار هذه النية أولا لما عظم خوفه زال عن

الله من هذا الذي بعث به اليكم حلالا طيبا وذلك تاويل بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل وذلك ان الله تعالى قد اتبع ذلك بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية والتي بعدها فبين بذلك ان قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اعلام من الله عباده ان ما كان المشركون يحرمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما قد بينا قبل فيما مضى لا معنى له اذ كان ذلك من خطوات الشيطان فان كل ذلك حلال لم يحرم الله منه شيئا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره مكذبا المشركين الذين كانوا يحرمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك ما حرم الله عليكم أيها الناس الا الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للانصاب فسمي عليه غير الله لان ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته فمن اضطر الى ذلك أو الى شئ منه لمجاعة حلت فاكله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم يقول ذو ستر عليه أن يؤاخذه باكله ذلك في حال الضرورة رحيم به أن يعاقبه عليه وقد بينا اختلاف المختلفين في قوله غير باغ ولا عاد والصواب عندنا من القول في ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية وان الاسلام دين مطهرة الله من كل سوء وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة اذا اضطررت الى شئ من ذلك قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدى حلالا الى حرام وهو يجد عنه مندوحة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتكون تصف الكذب بمعنى ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فتكون ما بمعنى المصدر وذكر عن الحسن البصري انه قرأ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم هذا الكذب بخفض الكذب بمعنى ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام فيجعل الكذب ترجمة عن ما التي في لما فتخفضه بما تخفض به ما وقد حكي عن بعضهم لما تصف ألسنتكم الكذب برفع الكذب فيجعل الكذب من صفة الالسنة ويخرج على انه جمع كذوب وكذب مثل شكور وشكر * والصواب عندي من القراءة في ذلك نصب الكذب لاجماع الحجة من القراء عليه فتاويل الكلام اذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم هذا حلال وهذا حرام كي تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذب فان الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون ولا أحل كثيرا مما تحلون ثم تقدم اليهم بالوعيد على كذبهم عليه فقال ان الذين يفترون على الله الكذب يقول ان الذين يتخرصون على الله الكذب ويختلقونه لا يخلدون في الدنيا ولا يبقون فيها انما يتمتعون فيها قليلا وقال متاع قليل فرفع لان معنى الذي هم

قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير توريه وطلب منه أن يقول لا أريد بقلبي سوى ما أذكره بلساني فههنا يتعين اما الكذب واما توريط النفس كذبا العذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها ان يجب الفعل المكره عليه كما لو أكره على شرب الخمر وأكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا (١١٦) اهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا

فيه من هذه الدنيا متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا وقوله ولهم عذاب أليم يقول ثم الينا مرجعهم ومعادهم ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم اليه أليم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام في البحيرة والسائبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال البحائر والسوائب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره وحرمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل في سورة الانعام وذلك كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وما ظلمناهم بتحريمنا ذلك عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بخزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم وظلمهم أنفسهم بمعصية الله فاورثهم ذلك عقوبة الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن عكرمة في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال ما قص الله تعالى في سورة الانعام حيث يقول وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره ان ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله وسفهوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها والاستغفار والتوبة منها من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية وأصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه ان ربك من بعدها يقول ان ربك يا محمد من بعد توبتهم له لغفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره ان ابراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى قانتا يقول مطيعا لله حنيفا يقول مستقيما على دين الاسلام ولم يك من المشركين يقول ولم يك يشرك بالله شيأ فيكون من أولياء أهل الشرك به وهذا اعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش ان ابراهيم منهم برىء وأنهم منه برآء شاكرا لانعمه يقول كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الالهة والانداد وغير ذلك كما يفعل مشركو قريش اجتباه يقول اصطفاه واختاره لخلته وهداه الى صراط مستقيم

كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روى ان بلالا صبر على العذاب وكان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما فعلت بل عظموه ولان في ترك التقية والصبر على القتل أو التعذيب اعزاز الاسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا أكره على قتل انسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الاصلية وحينئذ لو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه لانه قتله دفعا عن نفسه فاشبه قتل الصائل ولانه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال أحمد والشافعي في أصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه وهو الزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلو دخل الزنا في الوجود علم انه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح ان الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط حينئذ وعن أبي حنيفة انه ان أكره السلطان لم يجب الحد وان أكره بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على ان محل الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة ولبناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله ذلك بانهم أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة ولاجل انه تعالى لا يهدي الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيره بين الاشاعرة والمعتزلة قدم في أول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة وأولئك هم

الغافلون أي الكاملون في الغفلة لذهابهم عن تدبر العواقب لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وقال في أوائل سورة هود هم الاخسرون لان أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء صدوا بانفسهم فهم الخاسرون ويمكن أن يقال ان ماقبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ماينا سبها ولما ذكر حال من أكره اتبعه حال من هاجر من بعد ما فتنوا قال جار الله معنى ثم ان ربك لهؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لاعليهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير ان لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهه ان

يقول وأرشده الى الطريق المستقيم وذلك دين الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية وبنحو الذي قلنا في معنى أمة قانتا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** زكريا بن يحيى قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الخزاز عن أبي العبيدين انه جاء الى عبد الله فقال من نسأل اذا لم نسأل فكان ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الامة قال الذي يعلم الناس الخير **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين انه سأل عبد الله بن مسعود عن الامة القانت قال الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن منصور يعني ابن عبد الرحمن عن الشعبي قال حدثني فروة بن نوفل الاشجعي قال قال ابن مسعود ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقلت في نفسي غلط أبو عبد الرحمن انما قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال ندري ما الامة وما القانت قلت الله أعلم قال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكذلك كان معاذ بن جبل كان يعلم الخير وكان مطيعا لله ولرسوله **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت فراسا يحدث عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود انه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله قال فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل نسي انما ذاك ابراهيم قال فقال عبد الله من نسي انما كنا نشبهه بابراهيم قال وسئل عبد الله عن الامة فقال معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبي عن مسروق قال قرأت عند عبد الله هذه الآية ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال كان معاذ أمة قانتا قال هل تدري ما الامة الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت الذي يطيع الله ورسوله **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا بيان بن بشير البجلي عن الشعبي قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين فقال له رجل نسيت قال لا ولكنه شبيه ابراهيم والامة معلم الخير والقانت المطيع **حدثني** علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن عون عن الشعبي في قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال مطيعا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا معلم الخير وذكر في الامة أشياء يختلف فيها قال واذكر بعد أمة يعني بعد حين وأمة وسطا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن سعيد بن سابق عن ليث عن شهر بن حوشب قال لم تبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الارض وتخرج بركتها الا زمن ابراهيم فانه كان وحده **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبي قال وأخبرنا زكريا ومجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن

فتن وافتتن بمعنى واحد والمراد ان أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكانهم فتنوا أنفسهم لان الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد أو أراد ان أكابر المشركين الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد ان المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في أمر الرسول الا أنه سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله ابن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روي عن قتادة انه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام مسعود حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتابعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الآية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل ان الآية اما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجر وجاهد واما نازلة فيمن أظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده

الله تذكرة والرحمة قال الزجاج يوم تأتى منصوب بقوله رحيم أو باضمار اذكر أو ذكرهم وأنذرهم ومعنى الآية ظاهر الا ان فى قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس وأجيب بان المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحى وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو وذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا لركبتيه يقول يارب نفسى حتى ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ثم أوعد الكفار بما آفات الدنيا أيضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل أن تكون مقدرة وان تكون معينة موجودة اما مكة أو غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة والاقرب انها غيرها لان مثل مكة يكون غير مكة فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمئنان اشارة الى أن هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجة أهليه حتى اطمأنوا واستقروا ولم يخرجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها رزقها رغدا من كل مكان دلالة على حصول الكفاف لهم بايسر وجه قال فى الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا أطلق الاكثرون ان جمع فعلة يجىء على أفعل قيل انما ذكر جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى يعنى ان كفران النعمة القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لاهل مكة كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بها وبالغوا فى ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والفرو وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندى قال لابن الاعرابى الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابى لا باس أيها النسناس هب ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا كانه طعن فى الآية ان المناسب هو أن لو قيل فكساها الله لباس الجوع أو فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابى والذى أجاب به علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك أنه استعار اللباس لما غشى الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت

مسعود نحو حديث يعقوب عن ابن علية وزاد فيه الامة الذى يعلم الخير ويؤتم به ويقتدى به والقانت المطيع لله وللرسول قال له أبو فروة الكندى انك أوهمت **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان ابراهيم كان أمة على حدة قانتا لله قال مطيعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال مطيعا لله فى الدنيا قال ابن جريج وأخبرنى ابن عويمر عن سعيد بن جبير انه قال قانتا مطيعا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله قال كان امام هدى مطيعا تتبع سنته وملته **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان ابن مسعود قال ان معاذ بن جبل كان أمة قانتا قال غير قتادة قال ابن مسعود هل تدرون ما الامة الذى يعلم الخير **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن فراس عن الشعبى عن مسروق قال قرأت عند عبد الله بن مسعود ان ابراهيم كان أمة قانتا فقال ان معاذا كان أمة قانتا قال فاعادوا فاعاد عليهم ثم قال أتدرون ما الامة الذى يعلم الناس الخير والقانت الذى يطيع الله وقد بينا معنى الامة ووجوهها ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه فى غير هذا الموضع من كتابنا بشواهده فاغنى بذلك عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يقول تعالى ذكره وآتينا ابراهيم على قنوته لله وشكره له على نعمه واخلاصه العبادة له فى هذه الدنيا ذكرا حسنا وثناء جميلا باقيا على الايام وانه فى الآخرة لمن الصالحين يقول وانه فى الدار الآخرة يوم القيامة لممن صلح أمره وشأنه عند الله وحسنت منه منزلته وكرامته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآتيناه فى الدنيا حسنة قال لسان صدق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه فى الدنيا حسنة فليس من أهل دين الا يتولاه ويرضاه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أوحينا اليك يا محمد وقلنا لك اتبع ملة ابراهيم الحنيفية

مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح فى المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا أن التجريد ترجيحا من حيث انه روعى جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف والاختبار فتقول أنا ظرفلانا فاذوق ما عنده شعر ومن يذق الدنيا فانى طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها فمعنى ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوبة اللون وتغير الحال وكسوف البال فمعوى لاية عرفها الله اثر لباس الجوع وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد شغلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم من التكذيب والهم (١٢٢) بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات أجريت على القرية الا قوله

يصنعون تنبيها على ان المراد فى الحقيقة أهلها ولما ذكر المثل والممثل قال ولقد جاءهم يعنى أهل مكة رسول منهم من أنفسهم يعرفونه بامه ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم متلبسون بالظلم قال ابن عباس يعنى بالعذاب الجوع الذى كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس أولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فاتركوا الكفر فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبى ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا اعاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن فى الحمل فحمل الطعام اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بانه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم اوانه سبحانه أعاد تحريم هذه

المسلمة حنيفا يقول مسلما على الدين الذى كان عليه ابراهيم بريأ من الاوثان والانداد التى يعبدها قومك كما كان ابراهيم تبرأ منها وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يقول تعالى ذكره ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت الا على الذين اختلفوا فيه فقال بعضهم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت وقال آخرون بل أعظم الايام يوم الاحد لانه اليوم الذى ابتدأ فيه فى خلق الاشياء فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذى فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اتبعوه وتركوا الجمعة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما جعل السبت قال أرادوا الجمعة فاخطؤا فاخذوا السبت مكانه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه استحله بعضهم وحرمه بعضهم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك وسعيد بن جبير انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال باستحلالهم يوم السبت **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال كانوا يطلبون يوم الجمعة فاخطؤه وأخذوا يوم السبت فجعل عليهم وقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم فى استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم اليه يوم القيامة فيقضى بينهم فى ذلك وفى غيره مما كانوا فيه يختلفون فى الدنيا بالحق ويفصل بالعدل بجزاة المصيب فيه جزاءه والمخطئ فيه منهم ما هو أهله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع يا محمد من أرسلك اليه ربك بالدعاء الى طاعته الى سبيل ربك يقول الى شريعة ربك التى شرعها لخلقه وهو الاسلام بالحكمة يقول بوحى الله الذى يوحيه اليك وكتابه الذى ينزله عليك والموعظة الحسنة يقول وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله

لاشياء فى البقرة وفى المائدة والانعام وفى هذه السورة قطعا للاعلام وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار كالتى

فى الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفى النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب قال الكسائى والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لاجل وصف ألسنتكم قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية أيضا أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بوصف ألسنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا الاجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ودليل ويجوز أن تكون ما موصولة أى ولا تقولوا للذى تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام لحذف لفظة فيه لكونه معلوما وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان ماهية الكذب

مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض والمقصود من ذكره بيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم أوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون الآية وقوله متاع قال الزجاج أي متاعهم وعن ابن عباس أراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية أو أن نعيم الدنيا كلها يزول عنهم عما قريب ويبقى العقاب الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم بقوله هناك ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة أمره لا يمنعهم من التوبة (١٢٣) وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متأملين في وخامة عاقبته لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك السيئة أو التوبة أو الجهالة ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم رئيس الموحدين وقدوة أكابر النبيين ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة قائلا ان ابراهيم كان أمة أي هو وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الاوفيه أربعة عشر يدفع بهم الله عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه وحده وقيل أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه أفعال الخير أو بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب لانه حصل لامته الامتياز عن سواهم قانتا لله قائما بما يأمره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا ما لا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد انه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم أي ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله تعالى حببه الى أهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل قول الصلى منا كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين في أعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا لدعائه وألحقني بالصالحين قال في الكشاف

كما تى عدد عليهم في هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه وجادلهم بالتي هي أحسن يقول وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها ان تصفح عما نالوا به عرضك من الاذى ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وجادلهم بالتي هي أحسن أعرض عن أذاهم اياك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في الدين وغيره من خلقه وحاد الله وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق وهو مجازي جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين وان عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ووكلتم أمره اليه حتى يكون هو المتولي عقوبته لهو خير للصابرين يقول للصبر عن عقوبته لذلك خير لاهل الصبر احتسابا وابتغاء ثواب الله لان الله يعوضه من الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه اياه من لذة الانتصار وهو من قوله لهو كناية عن الصبر وحسن ذلك وان لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله ولئن صبرتم عليه * وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية وقيل هي منسوخة أو محكمة فقال بعضهم نزلت من أجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوز وا فعلهم في المثلة بهم ان رزقوا الظفر عليهم يوما فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم ان يقتصروا في التمثيل بهم ان هم ظفروا على مثل الذي كان منهم ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل وايثار الصبر عنه فنسخ بذلك عندهم بقوله واصبر وما صبرك الا بالله ما كان أذن لهم فيه من المثلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود بن عامر ان المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد لئن ظهرنا عليهم لنفعلن ولنفعلن فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

معنى ثم فى قوله ثم أوحينا اليك تبعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التى أثنى الله بها على ابراهيم ليعلم ان أجل ما أوتى خليل الله اتباع نبينا له فى الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال أهل النظم كان لسائل أن يسأل لم اختار اليهود السبت مع أن ابراهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس انه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا فى كل سبعة أيام يوما واحدا فابوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة أيضا فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم (١٢٤) بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغة ويمكن أن يقال لعل فيهم من اختار الجمعة فى قديم الدهر ثم وقع الاختلاف ٧ سؤال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبتدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه أهل الملل انه تعالى خلق العالم فى ستة أيام أولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذى قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فما وجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو أن يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا أولى ثم أوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم الخ ولما أمر محمدا باتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم وجه المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الآية وفيه ان طريقة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فى الدعوة كانت هكذا وتقرير ذلك ان الداعى الى مذهب ونحلة لا بد أن يكون قوله مبنيا على حجة وهى اما أن تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما أن تكون مفيدة للظن القوى والاقناع التام والاول لم يكن ملتفتا اليها فى العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزامه والخامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور أو الى مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما تكون مع الطالبين البالغين فى الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق

قالوا بل نصبر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر قال لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة قالوا لئن أظفرنا الله عليهم لنفعلن ولنفعلن فانزل الله فيهم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهى مكية الا ثلاث آيات فى آخرها نزلت فى المدينة بعد أحد حيث قتل حمزة ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما سمع المسلمون بذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب باحد قط فانزل الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الى آخر السورة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال ٧ المسلمين يوم أحد فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى قوله لهو خير للصابرين ثم قال بعد واصبر وما صبرك الا بالله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما أصيب فى أهل أحد المثل فقال المسلمون لئن أصبنا هم لنمثلن بهم فقال الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ثم عزم وأخبر فلا يمثل فنهى عن المثل قال مثل الكفار بقتلى أحد الا حنظلة بن الراهب كان الراهب أبو عامر مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك * وقال آخرون نسخ ذلك بقوله فى براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قالوا وانما قال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به خبرا من المؤمنين أن لا يبدؤهم بقتال حتى يبدؤهم به فقال وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال هذا خبر من الله نبيه أن يقاتل من قاتله قال ثم نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم قال فهذا من المنسوخ * وقال آخرون بل عنى الله تعالى بقوله واصبر وما صبرك الا بالله نبى الله خاصة دون سائر أصحابه فكان الامر بالصبر له عزيمة من الله رزقهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين فاسلم رجال لهم منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب فنزل القرآن وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو

٧ بياض بالاصل

بمقدمات مقبولة وأهل هذه المكالمة أقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا أنهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان ولكن الداعى قد يضطر مع الخصم الالدّ الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتى أى بالطريقة التى هى أحسن فكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعى اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعى محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا وأراد تغليط السامع لم يكن جداله حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغى أن يتصور تفسير هذه الآية فان كلام المفسرين الظاهريين فيه غير مضبوط وجوز فى الكشاف أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق (١٢٥) المذكورة بين أن الهداية والرشد ليس الى النبى وانما ذلك الى الله تعالى فقال ان ربك هو أعلم الآية أى هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها وبمن جعل الدعوة سببا لسعادتها أو واسطة لشقائها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعو بالرجوع عن الدين المألوف والقيام منه شديد وربما تجر المقاولة الى المقابلة فحينئذ أمر الداعى واتباعه برعاية العدل والانصاف فى حال القتال قائلا وان عاقبتم أى ان رغبتم فى استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والآية عامة وقد يخصصها رواة أسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقورا البطن فقال أما والذى أحلف به ان أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده قاله ابن عباس فى رواية عطاء وأبى بن كعب ومن هذا ذهبوا الى أن خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد والنخعى وابن سيرين انه نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفى قوله وان عاقبتم رمز الى أن الاولى له أن لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح قائلا وان صبرتم لهو خير أى صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم أو وصفا لهم بالصفة التى تحصل لهم أو جنس الصبر خير للصابرين من جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال وما صبرك الا بالله أى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلى مفيد للصبر وأما السبب الجزئى القريب فذلك قوله ولا تحزن عليهم ولا تك وذلك أن اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب

خير الصابرين واصبر أنت يا محمد ولا تكن فى ضيق ممن ينتصر وما صبرك الا بالله ثم نسخ هذا وأمره بجهادهم فهذا كله منسوخ * وقال آخرون لم يعن بهاتين الآيتين شئ مما ذكر هؤلاء وانما عنى بهما ان من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه وقالوا الآية محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن خالد عن ابن سيرين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به يقول ان أخذ منك رجل شيأ فخذ منه مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم قال ان أخذ منك شيأ فخذ منه مثله قال الحسن قال عبد الرزاق قال سفيان ويقولون ان أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه الا دينارا وان أخذ منك شيأ فلا تأخذ منه الا مثل ذلك الشئ **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولا تعتدوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذى عوقب به ان اختار عقوبته وأعلمه ان الصبر على ترك عقوبته على ما كان منه اليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصبر وذلك ان ذلك هو ظاهر التنزيل والتأويلات التى ذكرناها عن ذكرها عنه محتملها الآية كلها فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن فى الآية دلالة على أن ذلك عنى به من خبر ولا عقل كان الواجب علينا الحكم بها الى ناطق لا دلالة عليه وان يقال هى آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس الحق الذى جعله الله له الى غيره وانها غير منسوخة اذ كان لا دلالة على نسخها وأن القول بانها محكمة وجها صحيحا مفهوما * القول فى تأويل قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى فى الله وما صبرك الا بالله يقول وما صبرك ان صبرت الا بمعونة الله وتوفيقه اياك لذلك ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم

وانه لايهيج الاعند فوات نفع وأشار اليه بقوله ولاتحزن عليهم قيل أى على قتلى أحد واما على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين والاحين توقع مكروه فى المستقبل وأشار الى ذلك بقوله ولاتك فى مرية ضيق من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذى يشجع عليه أمن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون فى الانسان ولايكون الانسان فيه وفيه لطيفة أخرى وهى أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على أنه مصدر أيضا أو على أنه مخفف ضيق فمعناه فى أمر ضيق وانما لم يقل ولاتكن بالنون كما فى آخر النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن ههنا أكثر بناء على أنها وردت فى قتل حمزة فبولغ بالحذف فى النهى عن الحزن ثم ختم السورة بآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين اتقوا المعاصى كلها والذين هم محسنون فى الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء

وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون فى ترك أصل الانتقام فان أردت أن أكون معك بالنصر والتاييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب أن يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضرهرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما الوصية من المال ولامال لى أوصيكم بخواتيم سورة النحل * التأويل واذا بدلنا آية انه تعالى يعالج بدواء القرآن أمراض القلوب فى كل وقت بنوع آخر على حسب مايعلمه من المصالح فلذلك قال والله أعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر ففيه انكار ان طب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبنى على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الامزجة واختلاف أحوالها وأن القلوب بيد الله يقلبها وكيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك مالم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر ونحدون اليه أعجمى هو الذى لايفهم من كلام الله أسراره وحقائقه والعربى نده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفترى الكذب لان الافتراء من شأن النفس الامارة الكافرة التى لاتؤمن بآيات الله وأولئك هم الكاذبون أى هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب فى بعض الاحوال الا أنه لايصر على ذلك وهكذا فى جميع المعاصى ولهذا لايخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى أصله قال النبى صلى الله عليه وسلم مايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بتسنيم روائح نفحات الحق بشام قلبه عند هبوبه واصطكاك أهوية سالم الباطن وانخراق نجب البشرية فلمع له برق أضاءت به آفاق سماء القلب وأشرقت أرض النفس فآمن

به فى ان ولواعنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ولاتك فى ضيق مما يمكرون يقول ولايضيق صدرك بماية ولون من الجهل ونسبتهم ماجئتهم به الى أنه سحر أو شعر أو كهانة مما يمكرون مما يحتالون بالخدع فى الصد عن سبيل الله من أراد الايمان بك والتصديق بما أنزل الله اليك واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء العراق ولاتك فى ضيق بفتح الضاد من الضيق على المعنى الذى وصفت من تاويله وقرأه بعض قراء أهل المدينة ولاتك فى ضيق بكسر الضاد * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا قراءة من قرأه فى ضيق بفتح الضاد لان الله تعالى انما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه اياهم وحى الله وتنزيله فقال له فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وقال فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير واذ كان ذلك هو الذى نهاه تعالى ذكره بفتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب فى ذلك المعنى تقول العرب فى صدرى من هذا الامر ضيق وانما تكسر الضاد فى الشئ الذى يتسع أحيانا ويضيق من قلة المعاش وضيق المسكن ونحو ذلك فان وقع الضيق بفتح الضاد فى موضع الضيق بالكسر كان على أحد وجهين اما على جميع الصفة كما قال أعشى بنى ثعلبة

فلئن ربك من رحمته * كشف الضيقة عنا وفسح

والآخر على تخفيف الشئ الضيق كما يخفف الهين اللين فيقال هو هين لين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد مع الذين اتقوا الله فى محارمه فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها فاجتمعوا عن التقدم عليها والذين هم محسنون يقول وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن سفيان عن رجل عن الحسن ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال اتقوا الله فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما افترض عليهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن الحسن مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان هرم بن حيان العبدى لما حضره الموت قيل له أوص قال ما أدرى ما أوصى ولكن بيعوا

بحقيقة الطلب واحتمال التعب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما أضاءت ما حوله وبذل في الاجتهاد جده وحوله هبت نكباء النكبات فصدئت مرآة قلبه وذهب الله بنوره وانخمدت نار الطلب وآل المشوم الى طبعه الامن أكره على مباشرة فعل أو قول يخالف الطريقة من معاملات أهل الطبيعة فيوافقهم فيها في الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شؤم صحبتهم اسخبوا واختاروا محبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدي الى حضرته القوم الكافرين بنعمته وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة أوامر الحق ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم يأتي أرباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفعا لمضادها وجذبا لمنافعها حتى أن كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول أمتي أمتي لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم في (١٢٧) الدنيا والمتأخر في الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ واجهه بخطاب سلام عليك أيها النبي ففني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة ببركاته الى الناس كافة ولكن رفع الذلة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعني الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود قرية هي قرية شخص الانسان كانت آمنة أي آهلة وهو الروح الانساني مطمئنة بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق فاكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني فاستخلقوا باخلاقه وكلوا مما رزقكم الله من أنوار الشريعة وأسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة أهل الاباحة وعلى الذين هادوا أي تابوا حرمنا من موانع الوصول ما قصصنا عليك

درعي فاقضوا عني ديني فان لم يف فبيعوا فرسي فان لم تف فبيعوا غلامي وأوصيكم بخواتيم
سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين ذكر لنا ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم لما نزلت هذه الآية
قال بل نصبر آخر
تفسير سورة
النحل

*(تم الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الخامس عشر
أوله القول في تأويل قوله تعالى (سبحان الذي أسرى)*

في بدو نبوتك حتى كنت محتارا عن صحبة خديجة وتحنيثي الى حراء أسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل أنعمنا به عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين ممن له شركة مع الله في الوجود اتبع ملة ابراهيم في الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن وهذا ذهب الى ربه ماشيا الى ذاهب الى ربي وأسرى بمحمد راكبا سبحان الذي أسرى بعبده فهو خليل وأنت حبيب اتبعت الخليل في الدنيا فيتبعك الخليل في الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتي يوم القيامة حتى ابراهيم عليه السلام وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا أي بالغوا في عقابهم بالانقطاع عن ما لوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عقاب الحبيب على قدر عقاب العدو وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته الا به بان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاحهم وما آلهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه